وراء المشرقين

رحلة حول العالم، وحديث في أحوال المسلمين

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

ⓒ محمد ناصر العبودي ، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد ناصر

وراء المشرقين .- الرياض.

٣٥٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٧ - ٥٩٣ - ٤١ - ٩٩٦٠

١- الولايات المتحدة - وصف ورحلات

٢- المسلمون في العالم أ- العنوان

ديوي ٩١٧,٣٠٤ ٢٣/١٩٦٨

رقم الايداع ٢٣/١٩٦٨

ردمك : ٧ - ٥٩٣ - ٤١ - ٩٩٦٠

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت دار الثقافة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا -الرياض دار العلوم ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض النادي الأدبي١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان - الرياض - جمعية الثقافة والفنون ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - نشرته دار العلوم في الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين - نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة - نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية - طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين - الرياض - المطابع الأهلية ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال، رحلة وحديث في شؤون المسلمين - الرياض - مطابع الفرزدق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى - المطابع الأهلية للأوفست في الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي - الرياض ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل - نشره النادي الأدبي في أبها ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز - الرياض مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل - الرياض - مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر - طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٢هـ.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي - مطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٥) جمهورية أذربيجان - طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية - نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان - طبع بيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال - طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين - طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألبانيا - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية - محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكرى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر - مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير - مطابع الفرزدق عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية - مطابع الفرزدق عام ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القرم - نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجيريا (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان - نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية - نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند، من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غيانا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا - طبع في مطابع التقنية للأوفست - الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند - من سلسلة الرحلات الهندية - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور - مطابع النرجس التجارية بالرياض عام ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك من سلسلة الرحلات الهندية - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند، من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين، من سلسلة الرحلات الصينية - طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية - طبع في مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز)، مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي، من سلسلة الرحلات القوقازية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض، عام ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار، من سلسلة رحلات الشمال - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي - طبع مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي - طبعته مطابع التقنية بالرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة. مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفييتي. مطابع النرجس بالرياض عام ١٤٢٠هـ

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي. طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٩) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت، عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين. طبع في مطبعة النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٧١) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا، من سلسلة الرجلات الكاريبية، مطبعة العلا في الرياض ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٦) في جنوب البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس في الرياض ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا، من سلسلة رحلات في بلاد البلقان، طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر في الرياض، عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور - رحلات في جمهوريات الموز -، طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م..

(٨١) ((العودة إلى ما وراء النهر)) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطبعة المسموعة في الرياض، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م..

(٨٢) ((على سقف العالم)) رحلة إلى التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة عام ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس في الرياض ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٨٤) بلاد العربية الضائعة ((جورجيا)).

(٨٥) الاعتبار في السفر إلى ماليبار، (من سلسلة الرحلات الهندية).

(٨٦) ذكريات من خلف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٢هـ.

(٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

(٨٩) في جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا في الرياض عام ١٤٢٣هـ.

(٩٠) وراء المشرقين، رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين. وهو هذا الكتاب.

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(٩١) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات) - نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست بالرياض عام ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(٩٢) أخبار أبي العيناء اليمامي - طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(٩٣) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبد العزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(٩٤) كتاب الثقلاء - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٩٥) نفحات من السكينة القرآنية - طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس - نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٣هـ.

(٩٦) مأثورات شعبية - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٩٧) سوانح أدبية - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٩٨) صور ثقيلة - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٩٩) العالم الإسلامي والرابطة - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(١٠٠) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء - مطابع التقنية في بالرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(١٠١) المقامات الصحراوية - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(١٠٢) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة - بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية - نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي في الرياض ١٤١٩هـ.

(١٠٣) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(١٠٤) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة) - ونشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة عام ١٤١٩هـ.

(١٠٥) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٠٦) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(١٠٧) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم. نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(١٠٨) واجب المسلم في بلاد الأقليات. نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(١٠٩) « العالم الإسلامي: واقع وتوقعات » نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١١٠) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(١١١) ((حِكَمُ العوام))، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(١١٢) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبد العزيز في الرياض، في أربعة مجلدات.

(١١٣) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

(١١٤) أثر الأقليات المسلمة في الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

(١١٥) الكناية والمجاز في اللغة العامية، نشرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض عام ١٤٢٣هـ.



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وخاتم النبيين، سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبع هداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنني أصدرت كتابي ((في إفريقية الخضراء، مشاهدات وانطباعات عن الإسلام والمسلمين))، فاستقبله القراء والباحثون استقبالاً لم يكن تفاؤلي يصل إليه؛ بل لم يكن يصل إلى معشاره. وبلغت تقاريظه والكلام عليه من الشعر والنثر حجماً ما لو شئت أن أجمعه كله لكان كتاباً قائماً بذاته، وهذا قول ليس فيه من المبالغة شيء، غير أن جمع ما قيل في الكتاب ونشره أمر لا يخطر لي ببال.

كيف لا، وأنا لم يكن لدي عزم على نشر الكتاب نفسه، لولا إلحاح من بعض إخواني من الأدباء، الذين أُعلي قدرهم في الأدب، وأحل رأيهم محل الاعتبار.

هذا بالنسبة لما كتب الكاتبون عن كتاب ((في إفريقية الخضراء)).

أما بالنسبة لما رآه القارئون، فإن الأمر أكثر من ذلك بطبيعة الحال، لأن نسبة الذين يقرؤون ثم يتحدثون عما قرؤوه بألسنتهم، تفوق أضعافاً مضاعفة نسبة الذين يقرؤون ثم يكتبون عما قرؤوه، ثم يتبعون ذلك بأن ينشروا ما كتبوه.

ولقد سمعت من عدد من القارئين من مختلف الطبقات الاجتماعية من الأمراء والوزراء، إلى القضاة والعلماء، إلى الكتاب والأدباء، ومن الأساتذة والمعلمين، إلى الطلاب المتعلمين، إلى جمهرة العامة من متعلمين وأنصاف متعلمين، سمعت من أولئك ومن غير أولئك من الثناء على الكتاب ما ظننته مجاملة، لولا أنه ليس بهم إلى مجاملتي من حاجة، ومن الإطراء ما حسبته مبالغة، لولا أنه لا داعي في الأمر إلى المبالغة.

ولم يكن ذلك أول الأمر ليغير رأيي في الكتاب، ولا في اعتقادي أن ما جاء فيه إنما هو طبقاً لما ورد في طرّته لا يعدو أن يكون حديثاً من الحديث، وملاحظات عابرات من عابر سبيل، اقتنصها من خلال الارتحال، وانشغال البال، فقيدها لنفسه، ليستعيدها ذكريات، فيما يأتي عليه من أوقات أن قدر له أن يعيش في هذه الدنيا إلى أوقات تكون فيها تلك الأحداث ذكريات بعيدات.

ولكن ابن آدم ضعيف ﴿ وخلق الإنسان ضعيفاً ﴾ وضعفه ليس في بدنه فقط، وإنما في نواحٍ أخرى من فكره وعاطفته.

لذلك عندما أكثر عليَّ القوم من ذكر الكتاب، يسألونني عما فعلت في رحلاتي التي تلت رحلتي إلى إفريقية، ويسألونني أين أشقاء هذا الكتاب ؟ ولماذا يكون فرداً ومؤلفه قادر على الإنجاب؟ وكيف تذره دون شقيق يشد عضده، ويستمر في ما بعده؟

فأقول لهم: يا قوم، إن للكتاب إخوة آخرين ولله الحمد، ولكنهم من أم غير أمه، وفي موضوع غير موضوعه، كبر من أولئك الإخوة ما كبر، وصدر منها عن المطابع ما صدر.

ولكنهم يتساءلون عن هذا الموضوع بالذات: موضوع الرحلات، وموضوع الحديث عن المسلمين في أقطارهم البعيدة، وأمصارهم العديدة.

فلم أصْحُ إلا بتفكيرهم قد غلب تفكيري، وبقولهم قد أثر عن طريق الإيحاء النفسي في نفسي، فساءلتني: لماذا لا يكون الأمر كذلك؟ ولماذا أحجمت؟ بعد أن أقدمت؟

وكان الجواب: ألم تكن تعتقد أن ما كتبته، وما سوف تكتبه في هذا الباب لا يستحق أن يُرى ويُقرأ، فضلاً عن أن يُذاع ويُشاع؟

ورحت إلى العقل بعد العاطفة، فرجعت إليه، ألتمس النصيحة لديه، ولكنه كان عليَّ لا معي، فكان ضد ترددي وتمنعي.

قال العقل: لنفرض أن الأمر كما ذكرت، وأن حقيقته كما قررت، إلا أنه ما دام الأمر كما قاله القائلون، فلماذا لا يكون ما يريدون؟ والعهدة كل العهدة إنما هي عليهم لا عليك، والعتب مردود إليهم لا إليك، وهو كله بعد ذلك لا يخلو من أن يكون أمراً من أمرين: إما أن يكون ما تكتبه يستحق في الحقيقة أن يذاع ويشاع، فتكون قد استغنيت عن الإقناع والاقتناع، وإما أن يكون على خلاف ذلك، فتكون التبعة على من أغراك بمدح الكتاب السابق، على إخراج الكتاب اللاحق، ويكون عذرك في الحالين مقبولاً، ومسلكك على الوجهين كليهما معقولاً، وهكذا كان ما كان. وبدأت بتسويد هذه الأوراق بأحاديث لا أزعم فيها الأصالة، ولا أبرئها من الضحالة، وإنما أبرئها من الإعجاب، ومن القصد إلى غير الصواب.

وبالنظر إلى كون الرحلات المشار إليها تشمل الطواف حول العالم، وتدور مع وجه الأرض حيث دار، ومراعاة لكون الجامع بين تلك الرحلات -في الأغلب الأعم- هو النظرة إلى الأشياء والبلدان نظرة إسلامية، إلى جانب الاهتمام بالناس من النواحي الإنسانية الأخرى، فقد أسميته اسماً يوحي بذلك، وهو: ((وراء المشرقين: رحلة حول العالم، وأحاديث عن

الإسلام والمسلمين)).

وقد تحريت فيه الصدق قبل العمق، ونشدت الحقيقة دون أن أنشد البحوث العميقة؛ رجاء أن يعرف القراء ذلك، فلا يتطلعوا فيه إلى دراسات تعتمد على المصادر، وإحصاءات منسوبة إلى المراجع، ومعادلات رياضية، وقضايا منطقية مبسوطة المقدمات، مرتبة النتائج.

وإنما الذي ينبغي أن يتطلعوا إليه، ويبحثوا عنه فيه هو أراء المؤلف وملاحظاته، فيما شاهده وسمعه مما يتصل بما شاهده عن أحوال البلاد، ومن يسكنها من العباد، وما لاحظه من سلوكهم، وما ارتسم في ذهنه عن مظاهرهم ومناظرهم، حتى إنه ليسجل في بعض الأحيان أشياء من مشاهداته أو استنتاجاته، مما يرى بعض الناس ألا تكون في كتاب، وربما سمى بعضهم بعض موضوعاته موضوعات دينية، ولكن المؤلف يعتذر لمن يخالفه الرأي في ذلك أن الرحلات تبنى على المشاهدات الشخصية، أو الماجريات التي صادفت المرتحل، أو صادفته مظاهرها، فإذا وافق ذوقه وهواه في صياغة الكتاب ذوق القارئ وهواه، فهذا هو المطلوب، وإن كانت الأخرى، فإنه يمكن أن يقول ما قال الأولون: ((خذ، ودع))، فيأخذ ما راق، ويترك ما ليس في نظره براقٍ، فلعل فيما جاء في السياق من ذلك ما يعجب غيره، ويوافق هوى غير هواه.

والمقصود هنا بالدرجة الأولى تسجيل المشاهدات تسجيل التقرير، وإبلاغ الواقع إلى من لم يستطع أن يطلع عليه بنفسه، وإذا رافق هذا إمتاع لبعض القراء، أو حصول فائدة، لمن يريد من الباحثين، فذلك نفل، وهو زيادة وفضل.

كما أن المؤلف يود أن يهمس في آذان الذين يريدون أن يكون هذا الكتاب سجلاً لمشاهدات في مواطن أخرى من البلاد التي زارها، غير

المساجد والمدارس الإسلامية، وغير الشوارع والمناظر الطبيعية، من مقاصف وملاه، ومعاشرات ومهاترات، وما وراء المظاهر من أحوال النساء، ومرابع المساء، بأن المؤلف لم يصف إلا ما شاهده، ولم يهتم إلا بما كان من هواه أن يهتم به، فهو لم يرحل ليصف ماخوراً، أو يُقَرِّض مأجورة أو مأجوراً، أو يتكلم بإسهاب عن نزوات الشباب، وإنما سافر لغرض، لاحظ ما لاحظ في الطريق إلى تحقيقه، وترك ما ترك مما ليس يعنيه.

وقد أعقبت اليوميات في بعض البلدان بحديث مختصر عن الإسلام، وأوضاع المسلمين في تلك البلدان، وإن يكن ذلك في غير توسع، لأن المقصود في هذا الكتاب هو عرض فكرة عن ذلك، يستطيع القارئ أن يربط بها بين ما قرأه في اليوميات من حديث يتصل بالإسلام والمسلمين بالحديث العام عن ذلك في آخر ذكر كل بلد على حدة، ما عدا الولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث الحركة الإسلامية فيها في تحرك مستمر إلى الأمام، ويحتاج الإلمام فيها مجرد إلمام إلى المزيد من الكلام، وقد سجلت ذلك في كتاب عن رحلة بعد هذه الرحلة عنوانه: ((مع العمل الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية)).

والله يحسن لي ولك النية

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

تعقيب:

كتبت هذه المقدمة عند تأليف الكتاب الذي كان في وقت مبكر بالنسبة إلى كتبي في الرحلات، فهو الكتاب الثاني بعد ((في إفريقية الخضراء))، وقد كتبت بعده ١٧٢ كتاباً في هذا الفن، شملت الحديث عن جميع أنحاء الأرض على وجه التقريب، غير أنني لسبب لا أعرفه طبعت حتى كتابة هذا التعقيب (٩٠) كتاباً، دون أن يكون معها هذا الكتاب.

فكنت أنساه عندما أفكر في طبع كتاب جديد من كتبي، إلا إن ذكرني به مُذَكِّر من حديث أو واقعة، أو نحو ذلك.

وعندما امتد به العمر وهو مخطوط، خامرني شك في كونه يصلح للنشر بعد مضي المدة الطويلة على كتابته، إلا أنني رأيت أنه يؤرخ في الحقيقة لحقبة من تاريخ العمل الإسلامي، ويذكر أشخاصاً ومؤسسات كانت مهمة، وبعضها لا يزال كذلك، لذلك رأيت نشره مع عدم إضافة شيء إليه، لأن البلاد التي تحدث عن زيارتها قد نمت فيها الدعوة الإسلامية، وكثرت المؤسسات الإسلامية، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، لأنه كما قلت يذكر واقعاً لا ينبغي الحديث عن غيره، وأما ما جدَّ من أمور سارة في العمل الإسلامي، فإن الحديث عنه في كتب أخرى للمؤلف وغيره.

وبالله التوفيق.

يوم الإثنين ٥/ ٦/ ١٣٩٧هـ الموافق ٢٣/ ٦/ ١٩٧٧م

حول العالم:

يشعر المرء وهو يبدأ رحلة حول العالم، بمعنى أنه يذهب من بلاده جهة الغرب ويعود إليها من جهة الشرق، مخترقاً الكرة الأرضية، يشعر بشيء من الزهو مع شيء من الرهبة، ذلك بأنه لا بد أن يكون قد قرأ عن سعة هذا الكون، وتباعد أطرافه، واختلاف المناخ فيه، فضلاً عن تباين أناسيه في المظاهر والمخابر، والعادات والتقاليد، والديانات والمثل، ولأنه يكون في ذهنه رواسب مما سمعه عن مشقة السفر إلى الأقطار التي هي الآن قريبة كل القرب منه، كما في المثل: ((أبعد من مصر))، وكقول العرب القدماء: مثل ما بين الشام واليمن، وكلامهم عن بعد الهند والسند والأهوال التي يصادفها المسافر إليها من بلاد العرب، فإذا ذكر في ذهنه أنه سيسافر فيما سيسافر إليه حول العالم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وإلى اليابان وإلى الصين التي ضرب به المثل في البعد في هذا الأثر: ((اطلبوا العلم ولو في الصين)).

إذا ذكر المسافر ذلك في ذهنه أصابه شيء من الفزع والخوف، ولكنه إذا تذكر أن السفر في هذه الأيام حول العالم هو أسهل عشرات المرات من السفر إلى تلك البلاد القريبة في الأزمان القديمة، فإن فزعه سوف يخف، وإن خوفه سيزول، فقد اختصرت المسافات من حيث الأوقات بين البلدان، وانمحت العقبات من حيث المشقات إلى أكثر البلدان.

وأذكر بهذه المناسبة أن أول مدينة سافرت إليها في صباي كانت مدينة عنيزة، وتبعد عن مدينة بريدة التي ولدت فيها بمسافة ٢٩كيلومتراً، إلا أن جزءاً من هذه الكيلات تكسوه الكثبان الرملية، وكانت وسيلة النقل بين البلدين هي الدواب، فكان الجَمَّال يأخذ من الراكب ريالاً

فضياً أجرة إيصاله من إحدى المدينتين إلى الأخرى.

وكنا قد بدأنا بطلب العلم، فسمعنا أن في مكتبة الجامع في مدينة عنيزة نسخة مخطوطة من كتاب ((الإنصاف في مسائل الخلاف)) في فقه الإمام أحمد، للمرداوي، وكان آنذاك لا يزال مخطوطاً لم يطبع، فعزمنا على السفر إلى عنيزة لرؤية هذا المخطوط.

فحزمنا أمرنا أنا وزميلي الشيخ عبد الله بن محمد البقيشي، الذي أصبح الآن مدرساً بالمسجد الحرام، وسافرنا مشياً على الأقدام إلى عنيزة، فغادرنا بريدة عصراً، ونمنا أثناء الطريق، ثم وصلنا عنيزة في صباح اليوم التالي. أي إن السفر استغرق من الوقت ضعف ما يأخذه السفر من الرياض إلى لندن، ونالنا من التعب أضعاف أضعاف ذلك.

والآن ومن ظهر طائرة الخطوط السعودية الترايستار، أو قل من أحنائها أكتب هذه الكلمات، ونحن في طريقنا من الرياض إلى لندن، ولا أشعر بأنه مشقة – ولله الحمد-، بل إنني اشعر أنني مسافر في رحلة إلى بلدة مجاورة، ذلك بأن لندن هي أول منزل لنا في رحلتنا المرسومة هذه حول العالم، والتي ستمتد بعد لندن إلى الولايات المتحدة الأمريكية، مخترقة إياها من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، ثم تمضي وجهتها مخترقة المحيط الهادئ العظيم، حتى تصل اليابان، ومن اليابان إلى كوريا، ومنها إلى الصين، وربما يشعر المرء إذا وصل الصين بعد تلك الرحلة الطويلة أنه قد وصل إلى بلد مجاور لبلاد العرب.

وبعد الصين تأتي هونغ كونغ، ثم تايلاند، وبعد تايلاند هناك سيلان، والبحرين، فالرياض.

إنها رحلة كانت خيالية مرعبة في الماضي، ولكنها الآن إذا سلمت من العوارض التي قد يعرض مثلها للمرء وهو في بلاده، فإنها تكون رحلة

ممتعة شيقة.

فلنقص قصة هذه الرحلة حول العالم بإذن الله كما تقع، وليس كما تخيل كاتبها أنها ستكون عليه، ومن غير أن يضيف إليها شيئاً مما عنده من محسنات أو من منفرات، ولنرَ ماذا تكون.

بدء الرحلة:

بدأناها صباح هذا اليوم في الساعة الثامنة والنصف بالقيام من مدينة الرياض إلى جدة، ووصلناها بعد ساعة وعشر دقائق، فانتقلنا – معشر الركاب العابرين- إلى قائمة العابرين في المطار، ثم افرجوا عنا بعد نحو ساعة وربع.

وفي الساعة الحادية عشرة والنصف وسبع دقائق بتوقيت المملكة تحركت الطائرة، وأعلن المضيف أن الرحلة ستكون إلى باريس أولاً، ولمدة ست ساعات من الطيران المتواصل.

كان رفيق السفر صديقي الشيخ الجليل عبد الله بن سليمان بن منيع نائب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ونعم الرفيق في السفر هو.

أنت أم هارون الرشيد؟

أنت في هذه الطائرة وأمثالها، وبخاصة إذا كنت مثلي راكباً في الدرجة الأولى هارون الرشيد الثاني، نعم هارون الرشيد الذي نسبوا إليه من التمتع بالنعم، ومن المحبة لرفاه العيش، ومن كثرة الخيرات، بل المتع التي تجلب إلى قصره في بغداد حاضرة الدنيا، ما لم ينسبوه إلى غيره من الخلفاء.

بل أنت أكثر تمتعاً منه.

فمن أين لهارون الرشيد أن يجد قصراً يطير به فوق السحاب، متخطياً حدود البلاد، ومتجاوزاً رؤوس العباد؟ ومن أين له تلك المتع التي في ذلك القصر من التمتع بفصل الربيع، ولو كنت في فصل الشتاء، أو فصل الصيف؛ بل من التمتع بتغير الفصول من فصل الصيف الذي يكافح بالتبريد، إلى فصل الشتاء الذي يعالج بالتدفئة، ذلك بأن الجو في خارج قصرنا هذا الطائر المسمى بالترايستار تتدنى درجة حرارته، أو على الأصح برودته عن أربعين درجة مئوية تحت الصفر.

وفي هذا القصر الطائر يمتعوننا بأصناف من الموسيقى التي تشنف الأسماع من شرقية وغربية وأجنبية، دون أن تطغى بعضها على بعض، ودون أن يشعر أحد منا بأنه قد ضايق مُجالسه أو رفيقه، وذلك لأنه يستمع إلى الموسيقى من خلال مسماع له خاص.

وفي هذا القصر الطائر يسعى بين يديك بالخدمة حسان من شقراوات وسمراوات وما بين ذلك، وهن ينظرن إلى ما يخرج من بين شفتيك من كلمات تعبر عما لك من رغبات في أكل أو شرب أو غير ذلك من حاجات تقضى بين الرفاق.

أما الطعام الذي يقدمنه إليك مع الابتسامات وأنواع المجاملات، فهو أخر ما في الطعام من ملذات، فهو بين حار شديد الحرارة، وبارد لذيذ البرودة. وهو يتضمن صيد البر مع صيد البحر، إلى جانب أنواع من الأفاويه والأبازير، تستعملها إذا شئت، وترفضها إذا أردت، أما الماء، وما أدراك ما الماء؟ فإنه يجلب إليك من أقاصي البلاد، من مائها المعدني المختار، بعد أن يكونوا قد حبسوه في القماقم، وطهّروه من الجراثم، ثم أحضروه إليك بارداً كأنما هو ثلج مذاب، صافياً كأنما قطر لتوِّه من السحاب، وقد

أحضروا لك مع الطعام مقبلات ومشهيات وخضروات من أنواع مختلفات، ولا بد للطعام من فاكهة أو فواكه من المناطق الحارة الاستوائية، أو من البلاد المعتدلة الشمالية.

ثم إذا كنت من أصحاب الكيف، فلك أن تختار بين القهوة مرة إذا كنت تصبر على المر، وحلوة إذا كنت تستطيب القهوة حلوة، وبين الشاي اسود كعين حبيبتك الشرقية، أو أصهب كخد مضيفتك الغربية.

أما إذا كان الراكب - والعياذ بالله - ممن يعاقرون ربيبة الحان، ويصاهرون ابنة الدنان، وكان في طائرة تتبع شركة غير السعودية من الشركات، فإنه سيكون له معهم شأن وأي شأن ! إذ سيعرضون عليه من أصنافها ما لا يعرفه إلا من يكون بها خبيراً، وعلى بلائها ومصاعبها قديراً.

إذاً من أين لهارون الرشيد كل ذلك القصر؟

وهناك شيء لم يصل إليه حلم هارون الرشيد، ولا قاربته أمانيه، مع أنها أماني الخلفاء، وأحلام العظماء، ألا وهو أنك في هذا القصر الطائر تطالعك أخبار العالم سارها ومسيئها، قاصيها ودانيها، سياسيها وعاميها، كل ذلك بين يديك قد تعب عليه القائمون به، وشقي به ثم بوضعه وطبعه الجامعون، إلى أن وصل إليك في صحيفة منسقة أبدع تنسيق، مرصعة أجمل ترصيع، ليس لهم من رغبة إليك إذا فرغت من قراءتها إلا أن تكون عنها راضياً، وأن تصير لهم مادحاً.

فإذا ضجرت من هذه الأمور، وبرمت بمناظر الغيد الذاهبات الآيبات، فإنهم قد خبؤوا لك شيئاً سيعرضونه عليك حتى يطرد سأمك، ويعالج ملالتك، ألا وهو الخيّالة، أو قل هي السينما، نعم إنهم يعرضون عليك شريطاً قد صوروه بالألوان، وأحضروا فيه مما أعجبهم من غرائب

الأكوان، تراه وتسمعه، وتكاد تلمسه.

أما إذا كان ذلك لم يثر عجبك، ولم ينل استحسانك، فإنهم قد استعدوا لك بأن أعدوا غطاء حريرياً يغطي عينيك، كما تغطيها النظارة، إلا أنه يمنع عنك كل الضوء الذي لا ترغب فيه، فتحس كأنك في غرفة مظلمة هادئة تريح أعصابك، وتبعد ما أصابك، فتنام نوماً هانئاً إذا كان بالك خالياً.

كل ذلك، وأكثر من ذلك في هذا القصر الطائر، فمن أين لهارون الرشيد مثله، بل من أين لأماني هارون الرشيد أن تصل إلى مثله.

هذا مع تذكيرنا لك بأنك ربما كان أبوك صعلوكاً ابن صعلوك، أو قد تكون من أبناء العامة التي لا يحلم أبوك ومعه أمك، وربما ذووك بأنك في يوم من الأيام ستنال كفايتك من الطعام، فضلاً عن أن تحظى بكل هذا الإنعام.

ومع ذلك أين الشكر؟

ومع ذلك فالشكر على تلك النعم يكاد يكون معدوماً، ومعرفة قدرها أقل من ذلك، بل ربما قابلتَ هذه النعم العظيمة بشكواك وضجرك من السفر المتعب، أو من الخدمة التي زعمت أنها ناقصة، أو من المضايقات التي توهمت أنها خدشت شعورك الشفاف.

ونسيت أو تناسيت أن آباءك وأجدادك، بل إنك أنت ذاتك، ربما لم تكن تطمع في أن تملك بعيراً إذا كنت ممن يركبون البعير، وقد تفرح إذا ملكت حماراً إن كنت ممن يمتطون الحمير، وقد تكون من أبناء الصحراء التي ربَّت أبناءها على شظف العيش وخشونة الحياة.

ونحن إذ نعرض لذكر هذه النعم، لا نريد منك أن تتركها

وتتجنبها، وإنما نرغب إليك في أن تذكرها فتشكرها، وأن يكون شكرها ليس باللسان، وإنما يكون مع اللسان الاعتراف لولي النعم بالجَنان، وإطلاق اليد بالإحسان، إلى من يستحقون الإحسان، وعدم بذل المال فيما لا يجوز أن يبذل فيه المال، مما يحظره الدين، أو يمنعه الحياء، أو تأباه المروءة، أعانك الله على ذلك، وسدد خطاك إلى أفضل المسالك.

نعود إلى حديثنا عن الطائرة فنقول: إنها من طراز (لوكهيد ترايستار) ذات المحركات الثلاثة النفاثة الضخمة، وكنت في الدرجة الأولى التي تشبه قاعة فخمة واسعة، فيها المقاعد صفوف متناسقة.

والخدمة ممتازة جداً، ومما يجدر ذكره أن المضيفات معظمهن أو كلهن من العربيات، اللاتي يتكلمن العربية، وكذلك المضيفون، أما الطعام فكان عربياً ممتازاً أيضاً، يتسم بكرم الضيافة العربية.

وإن المرء يشعر بالفخر وهو في هذه الطائرة السعودية، إلا أن مما يعكر صفوه هنا أنه يتذكر أنه لم يصنع من أجزائها شيئاً، حتى ما تحتاج إليه من القطع التي لا بد من تغييرها، كلها تأتي من الخارج، وإذا ورد على خاطره أن كثيراً من الأمم تكون كذلك، تمتلك وتستعمل طائرات صنعها أناس من غير تلك الأمة، فإن الخاطر الذي يعكر الصفو يرد أيضاً ويقول: إن تلك الأمة قد يحق لها أن تفخر بكونها قد حصلت على ثمن هذه الطائرة بالكد والنصب حتى اشترتها، أما نحن فإننا رزقنا مالاً بدون حول منا ولا قوة، وبدون مجهود أو مشقة، هذا شيء مما يستحق عليه الحمد والشكر لله تعالى، وحسبنا أن نفعل ذلك، لا أن نفخر، ولا أن ندعي ما ليس لنا.

هذا وقد أعلن قائد الطائرة وهو طيار سعودي اسمه يوسف إسكندر بعد مضي نحو الساعة على إقلاعها أننا سنطير بعد خمس دقائق فوق

مدينـة الأقصـر في جنوب مصـر، وأننـا سـنمر إلى الغـرب مـن مدينـة الإسـكندرية، ثم نعبر البحر الأبيض المتوسـط إلى إيطاليـا، ثـم نمـر بمدينـة جنيف، فباريس.

وقد رأينا مدينة الأقصـر، ورأينـا نهر الميل وسـط وادي النيـل الـذي لا يكـاد المرء يـرى منـه إلا شـريطاً مـن الميـاه، تحـف بـه حاشـية ضيقـة مـن الخضرة، أما الباقي فجبال صحراوية قفرة.

أمـا ركـاب الدرجـة الأولى في الطـائرة، فـهم مختلطـون مـن العـرب والإفرنج، والعرب أكثر من الإفرنج، والسعوديون هم الأغلبية بين العرب.

اللوحة الفنية الكبيرة:

عندما قاربنا باريس، ونزلت الطائرة قليـلاً، تبينـا الأرض من تحتنـا، فإذا هي على سعتها أشبه بلوحة فنية كبيرة، كأنمـا خططهـا فنـان واحـد بارع، فالأرض المحروثة تكاد تكون بأبعاد متساوية، والأرض التي حصـد زرعها كالقمح، وصارت تبـدو للنظـر كأنـها فارغـة، يبـدو شـكلها أيضـاً منسجماً مع شكل بقية القطع في الأرض.

ومن حسن حظنا أن الجو في منطقة باريس كان مشمساً تماماً، على عكـس مـا كـان متوقعـاً، بـل يصـح القـول إن الجـو في الريـاض عندمـا تركناهـا صباح اليوم كـان عكـس بـاريس، وهـذا نـادر، فكـان أكـثر غيمـاً ومطـراً، وهـذا الجـو المشـمس في بـاريس مكننـا مـن أن نمتـع الطـرف بهذه اللوحة العظيمة التي أعطاها الله للفرنسيين، فتناولوها يعمرونها بأيدٍ فنية ماهرة، مما جعلني أكرر هنا ما كنت أشعر به عندما أزور فرنسا في أنـني لا أعلـم شـعباً علـى وجـه الأرض اسـتطاع أن يمـزج الجمـال الطبيعـي بالجمـال الصنـاعي، أو لنقـل الجمـال المطبـوع بالجمـال المصنـوع، مثـل

الفرنسيين، وتجلى لنا ذلك أكثر عندما حامت بنا الطائرة فوق باريس، واتضح لنا الذوق الرفيع في البناء والتخطيط ونحن على متن الطائرة.

وقد هبطنا في مطار (شارل ديغول) في باريس، بعد ست ساعات من الطيران، وهو مطار أعرفه ونزلت فيه قبل ذلك، بل إنني سبق لي أن نزلت في مطارات باريس الشهيرة كلها، مثل أورلي، وبورجيه، وطرت منها.

ولهذا لم آسف حين أعلن مكبر الصوت في الطائرة أن على الركاب الذين سيواصلون سفرهم إلى لندن أن يبقوا في الطائرة، وألا يغادروها.

ومطار (شارل ديغول) لا يشذ عن القاعدة التي ذكرناها، وهي المزج ما بين الحاجات المادية والرغبات الفنية للإنسان، فهو لوحة فنية جميلة، وهو وافٍ باحتياجات الطائرات الكبيرة التي تنزل فيه، وحاجات ركابها.

ولهذه الناحية الموجودة عند الفرنسيين أظهر وأكثر من غيرهم، صرت أشعر أنه إذا أتيح لي الخيار في قضاء إجازة لي في أحد أقطار أوربا، فإنني لن أختار منها غير باريس، لولا شيء واحد هو الذي ينقص عندي من الاستمتاع بباريس، ذلك هو اللغة، فأنا لا أعرف الفرنسية، ولا أشعر بأنني إذا بذلت جهداً كبيراً فتعلمتها أو تعلمت شيئاً منها أكون قد استفدت بقدر ذلك الجهد.

هذا وقد لبثنا في مطار باريس قرابة الساعة، ثم أعلن المضيف أن الطائرة تستأنف السفر إلى لندن، وأن مدة الطيران ستكون خمسين دقيقة.

وهكذا انطلقت الطائرة بعد وقفة قليلة في المدرج، انتظاراً لخلوه من طائرة أخرى مقبلة، ففارقنا بلاد الذوق الجميل (فرنسا)، إلى بلاد المجاملة الزائفة (بريطانيا).

إن بريطانيا متخلفة عن فرنسا في الاقتصاد في الوقت الحاضر، أما في الذوق والحس الفني، فإنها كانت متخلفة عنها في القديم ولا تزال.

ومن الأمور غير المفهومة أن الناس عندما كانت بريطانيا وفرنسا في أوج قوتهما الاستعمارية قبل الحرب العالمية الثانية، كانوا يصفون الفرنسيين بأنهم أقصر نظراً، وأقل مراعاة لمشاعر الناس، وأبعد عن النزول عن شيء من رغباتهم في تحقيق مصلحة فرنسية كبيرة، وكانوا يصفون البريطانيين بعكس ذلك، بأنهم قوم يستطيعون أن يتحملوا كل شيء، بما في ذلك مراعاة مشاعر الآخرين، إذا كان هذا يجر لهم منفعة.

ولكن ما أن انتهى عهد النفوذ الاستعماري، وبدأ عهد التأثير الاقتصادي، حتى انعكست الآية، فإذا بالفرنسيين قوم مجاملون للدول المتخلفة مادياً أو إدارياً، ومنها الدول العربية، في سبيل مصلحة فرنسا العليا، وإذا بالبريطانيين يقفون دونهم بمراحل في هذا الأمر، بل إنهم استمروا فترة طويلة وهم سائرون على نمط المعاملة التي كانوا يعاملون بها الناس عندما كانوا مستعمرين أقوياء، وربما لا يزالون على شيء من ذلك حتى الآن.

في مطار لندن:

نزلنا في المطار، وهو مطار كبير، ولكنه ليس فخماً رائعاً، إذ روعي فيه الاقتصاد فيما يحتاج إليه، مع ما لا يتنافى مع الذوق السليم.

وكانت الإجراءات سهلة، وسألني ضابط الجوازات عن أي بلد أقصده بعد بريطانيا، فقلت: إنه الولايات المتحدة الأمريكية، فقال: إذاً عليك أن تحصل على تأشيرة إذا غدت إلى بريطانيا، لأن تأشيرتك هذه إنما هي لسفرة واحدة، فقلت: أعرف ذلك، وشكرته، ولا تفتيش للأمتعة.

وقد وجدنا عدداً من إخواننا المسلمين من أصل هندي وإفريقي في انتظارنا، إذ أبلغهم أحد الإخوان من الرياض بذلك، فأخذونا إلى فندق اعتدنا أن نسكن فيه في لندن، وهو فندق (فاند ربلت) في شارع كروموبل، أو ((كرمويل رود)) كما يسمونه.

وبعد وقت أنفقناه مع إخواننا في بحث الأمور الإسلامية في هذه البلاد، خرجنا في جولة على الأقدام، لأجدد العهد ببعض الأماكن التي كنت قد رأيتها من قبل، ثم نمنا في الساعة العاشرة بتوقيت لندن، وهي تساوي الثانية عشرة بتوقيت الرياض، وعلى هذا نكون قد أمضينا منذ أن قمنا لصلاة الفجر في الرابعة عشرين ساعة دون نوم أو استراحة.

يوم الثلاثاء ٦/ ٦/ ١٣٩٧هـ الموافق ٢٤/ ٥/ ١٩٧٧هـ.

جولة في لندن:

خرجنا من الفندق في الصباح الباكر مع أخينا الشيخ صهيب حسن، وهو داعية باكستاني الجنسية، متعاقد مع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والإرشاد في المملكة العربية السعودية للعمل في بريطانيا، فجال بنا في سيارته في بعض أنحاء لندن، فزرنا جزءاً من حديقة ((هايد بارك))، وميدان الطرف الأغر، ودخلنا المتحف البريطاني، فشاهدنا القسم المصري بمعروضاته التي لا تقدر بثمن، من جثث محنطة، إلى مخلفات قديمة من حبوب ولحوم ونبات وأدوات، كلها يرجع أحدثها عهداً إلى ثلاثة آلاف سنة، إلى جانب بعض الوثائق والمخطوطات الفرعونية التي لا تزال بحالة جيدة من حيث إمكان قراءتها للمختصين.

ثم شاهدنا المخلفات السورية القديمة، وكذلك آثار من العراق، وأخرى من جنوب الجزيرة العربية.

ومن المتحف البريطاني ذهبنا إلى قصر الملكة في باكنجهام، فشاهدنا بواباته وأقسامه الظاهرية، ومررنا بميدان الطرف الأغر الذي هو عربي التسمية.

وفي الأخير انطلقنا في شارع أكسفورد، وهو الشارع الرئيسي الفخم في لندن، وبخاصة لبيع الملبوسات، فأخذنا ما كنا بحاجة إلى شرائه منه.

ثم انطلقنا في جولة على بعض المؤسسات الإسلامية، فزرنا أولاً:

البعثة الإسلامية:

وهي جمعية إسلامية هدفها الدعوة إلى الله بين صفوف المسلمين

المقيمين في بريطانيا، ودعوة غير المسلمين إلى الدخول في الإسلام.

وكان أول تأسيسها في عام ١٩٦٢ في غرفة صغيرة، إلا أنها الآن تستخدم بيتاً كاملاً من طابقين؛ واقعاً في الشمال الغربي من مدينة لندن، وتقوم الآن بطبع بعض الكتب الإسلامية الصغيرة بالعربية والإنكليزية والأوردية، كما توزع بعض الكتب الإسلامية، ومنها تفسير القرآن بالأوردية والإنكليزية للشيخ أبي الأعلى المودودي، وكذلك بعض كتب الشيخ أبي الحسن الندوي، وسيد قطب، وتهدف إلى إنشاء مركز أكبر من مركزها هذا، وإلى التوسع في الخدمات الإسلامية.

وتعقد اجتماعات منتظمة كل أسبوع في العطلة الأسبوعية لإلقاء محاضرات وإرشادات دينية للمسلمين المقيمين في بريطانيا، كما تعقد مؤتمراً إسلامياً سنوياً، تدعو إليه بعض المفكرين الإسلاميين لإلقاء المحاضرات والإرشاد.

وقف التعليم الإسلامي:

وهذه الجمعية ليست مطابقة لتسميتها، بمعنى أنها تسعى للحصول على الأوقاف لتحبسها على التعليم الإسلامي، وإنما المقصود من إنشائها هو إتاحة الفرصة لأبناء المسلمين لكي يتعلموا أمور دينهم، وأهم ما يشغل بالهم لها هو أمر أبناء المسلمين الذين يدرسون في المدارس الحكومية، فإنهم لا يتلقون فيها شيئاً من العلوم الدينية، مع أن الحكومة البريطانية تطلب منهم أن يحضروا من يقوم بتدريس العلوم الإسلامية لأبناء المسلمين في تلك المدارس، لذلك هم يعملون على التعاقد مع مدرسين للمواد الإسلامية في المدارس الحكومية.

وقد ذكر لنا رئيسها الشيخ نضال الرحمن، وهو بريطاني الجنسية من أصل باكستاني، أنه يوجد خمس وأربعون مدرسة يرسلون إليها

المدرسين الذين يدرسون أبناء المسلمين المواد الإسلامية، كما أن لهم ثلاثين مدرسة قرآنية تشبه الكتاتيب، يدرِّسون فيها في المساء، وفي نهاية عطلة الأسبوع. وقال: إن النفقات كلها من تبرعات الأفراد، وإن وزارة المعارف السعودية قد تبرعت بمبلغ ١٢ ألف جنيه إسترليني سنوياً لمساعدة الجمعية هذه على مواصلة نشاطها الإسلامي المهم في تعليم أبناء المسلمين أمور دينهم، والعمل على حفظهم من الضياع ونسيان كل ما يشدهم بدينهم الإسلامي الحنيف.

أما مقر الجمعية، وهو بناء مؤلف من طابقين، فإنه جميل ولكنه غير واسع، كما هو شأن أكثر المباني في بريطانيا التي تكون غرفها وممراتها ضيقة، إلا أن أفنيتها وساحاتها كافية للحصول على هواء نقي لسكانها، وهذا البناء مملوك للجمعية، تبرعت لهم بشرائه بعض الحكومات العربية مساهمة، وأهم نصيب من التبرع فيه كان من الكويت.

وتقوم الجمعية بطبع بعض النشرات الدينية بعنوان (مبادئ الإسلام) وتوزيعها على المسلمين، وتأمل في توسيع نشاطها، لأن الفرصة مهيأة لتعليم أبناء المسلمين أمور دينهم، وبعض ما يمكن من ذلك، والحكومة البريطانية لا تمانع فيه كما سبق، ولكن المشكلة في توفير المدرسين المسلمين الصالحين، وفي توفير المال اللازم لتعيينهم، واستمرار عملهم في مختلف أنحاء بريطانيا.

هذا وقد حانت صلاة الظهر ونحن في مقر (الوقف الإسلامي)، فصليناها معهم جماعة، وكانت ساعة مباركة إن شاء الله.

دار الرعاية الإسلامية:

والهدف الأول من إنشائها هو الاهتمام بالحياة الاجتماعية للطلاب

المسلمين من العرب أولاً ، وتوجيههم الوجهة الإسلامية ، ذلك بأنه من الملاحظ أن كثيراً منهم عندما يصلون في بريطانيا ، حتى بعد أن يستقروا فيها لا يجدون من يتصل بهم ليحميهم من الضلال، ويشغل أوقات فراغهم بما ينفعهم في أمور دينهم، لا سيما بعد أن أصبح عددهم في ازدياد ، حتى صار الدين الإسلامي هو الدين الثاني في بريطانيا من حيث عدد السكان، وأصبح الناس يخشون على ناشئة المسلمين هنا من خطر الذوبان والضياع.

وتقوم الدار بتوزيع الكتب الإسلامية والمجلات والتسجيلات الدينية، مقابل ثمن مناسب، كما تقوم بتهيئة محاضرات شهرية، كما هيأت مكتبة للمطالعة تقوم على توفير المراجع والكتب الإسلامية للمطالعة، لمن لا يستطيعون شراءها، وهناك مطبعة عربية، وأخرى إنكليزية، تقوم بطبع الكتب الصغيرة، ومن ذلك أنها تتولى طبع مجلة ((الغرباء)) التي يصدرها اتحاد الطلبة المسلمين في بريطانيا وإيرلندا الشمالية، ومشروعاتها الإسلامية النافعة كثيرة، نسأل الله تعالى أن يوفقنا والعاملين عليها إلى ما فيه الخير.

ومن طريف ما عملته أن لديها أسرَّة محدودة العدد، تؤجرها بإيجار قليل لمن يفد من المسلمين، ويصعب عليه دفع الإيجار المرتفع، أو لا يحسن به ذلك، وذلك لمدة أسبوع، حتى يكون قد قام بتدبير أمر نفسه.

إلى برمنجهام:

ركبنا القطار السريع إلى مدينة برمنجهام، وكان طريقنا إليه يمر عبر القطارات التي تسير تحت الأرض، وعندما وصلت محطة الدخول فيه، ورأيت النظام فيه أعجبني أنا ورفيقي الشيخ عبد الله بن منيع، وكنت قد ركبته قبل ذلك، وعرفته في لندن وغير لندن، بخلاف الشيخ عبد الله فإنه لم يره قبل هذه المرة، فأعجب به أيما إعجاب، وقال: أظن أن بعض

الأقطار الإسلامية لو أنفقت كل الأموال الموجودة لديها لما استطاعت أن تصل إلى ما وصلوا إليه من هذا الأمر، فقلت: إن هذا فيه شيء كثير من الصحة، ولكن ليست الصعوبة في الإنفاق وحده ثم البناء، ولكن الصعوبة البالغة هي في الإدارة ثم الصيانة، فلو فرضنا أن البريطانيين أو الفرنسيين عملوا لها مثل ما عملوا في باريس ولندن، ثم خلوا بينها وبينه، فإنه يخشى أن يفسد، لأنه يحتاج إلى إدارة وصيانة هي أصعب من إيجاده ابتداء، لأنها لا بد لها من خبرة كافية، إلى جانبها خلق إداري رفيع، وذلك أمر ليس كثيراً في البلدان النامية أو البلدان المتخلفة، حتى إنَّ بعض البلدان الإسلامية لم تأخذ بإسلامها الذي يحث على القيام بالواجب، والشعور بالمسؤولية، ويقرر أن المرء لا يكون مؤمناً حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

ثم ركبنا القطار السريع إلى برمنجهام في الساعة الرابعة والدقيقة الأربعين ظهراً، فسار بنا سريعاً في الريف الإنكليزي الجميل الذي هو بساط أخضر في هذا الفصل من السنة، وهو فصل الربيع، ولم نكد نفتقد المدن والقرى والمنازل في الطريق كله، كما أن المنشآت الحضارية والمرافق العامة، يلاحظ المرء أنها موجودة في القرى هنا، كما هي موجودة في المدن.

ومما زاد المتعة في ركوب هذا القطار أننا داخله، وهو مليء بالركاب، لا نكاد نحس أن فيه أحداً من الناس، إذ الجميع صامتون ساكتون مطرقون، كأن على رؤوسهم الطير، وهم بين قارئ في كتاب، أو مسدل أجفانه متطلب للنعاس، والهدوء التام يلف القطار، وكان ركوبنا في الدرجة الثانية، وهي فاخرة الرياش، مريحة المقاعد، وذكرت القطار الهندي الذي كنا قد ركبنا فيه قبل أيام، وكنت وصفته في رحلتي الرابعة إلى الهند، وكان ركوبنا فيه في الدرجة الأولى، فشعرت أن

الدرجة الأولى الهندية تقابل الدرجة العاشرة الإنكليزية، لو وجدت تلك الدرجة العاشرة.

وقد وصلنا إلى برمنجهام بعد ساعة ونصف من السير، مع أن المسافة تعادل مائتي كيلومتر تقريباً، أي أن القطار قد سار بمعدل ١٣٠ كيلومتراً في الساعة، ومن سوء حظ الهند عندي أنني ذكرت رحلتنا من مدينة بتنه إلى درمنقها التي تبعد عنها بمسافة ١٥٠كيلومتراً، واستغرق وصولنا إليها بالسيارة ست ساعات، وأخذ منا التعب فيها ما يساوي أكثر من ذلك بكثير.

ولكنه العلم والخلق الاجتماعي الراقي الذي جعل العامل يشعر بمسؤوليته، ويجعل من يريد أن يقصر في العمل يحاسب نفسه قبل أن يقدم عليه، لأنه يعلم أن وراءه من المسؤولين من لا يتسامح في ذلك، وإلا ما بال الهند لا تفعل كما يفعل البريطانيون، وهي أكثر عمالاً، وأرخص أجوراً، وأغنى أرضاً، وأغزر إنتاجاً في الزراعة، إذ بريطانيا وما يماثلها من البلدان الشمالية تظل الأرض فيها معطلة شهوراً طويلة بسبب البرد والثلوج.

مدينة برمنجهام:

لم أصدق أننا في مدينة ليست عاصمة، ذلك بأنها بدت لنا أفخم من لندن، وأحسن مرافق، وأكثر ثراء، أو هكذا بدا من المصانع التي استقبلتنا بها، ومنها مصانع للسيارات، ولعدد من الآلات، ومصنع للأسلاك الكهربائية الغليظة (الكوابل)، أما محطة القطار فيها، والأنفاق التي تحت الأرض، والجسور التي فوقها، والمرور المنتظم غير المعاق، فحدث عنه ولا حرج، ولم يكن لدينا من الوقت ما يكفي للتجول في المدينة، فاكتفينا منها بما تيسر آسفين على ذلك.

الجمعية الإسلامية:

ثم قصدنا جمعية أهل الحديث المركزية، وزرنا مقرها، وشاهدنا الدراسة فيها، وهي قسمان: قسم للصبيان، وقسم للبنات، وكلهم من أصل باكستاني، أي: من مسلمي الهند، وعددهم نحو ٢٣٠.

وقد ألقى أحد الطلبة، واسمه (افتخار كريم) كلمة بالإنكليزية، تضمنت حديثاً عن الإسلام ومبادئه، أعقبته طالبة في الثانية عشرة من عمرها، اسمها (سائرة)، بكلمة إنكليزية ألقتها عن ظهر قلب، مضمونها الحديث عن مبادئ الإسلام، أعقبتها طالبة أخرى أصغر منها، فألقت كلمة مختصرة عن حياة الرسول ﷺ بالإنكليزية، ثم ألقى الشيخ فضل الكريم عاصم؛ رئيس الجمعية، كلمة بالأوردية، ترجمها أحد الإخوة الباكستانيين المبعوثين من المملكة إلى هذه الجمعية إلى العربية، مضمونها أنهم أسسوا هذه الجمعية قبل سنتين لهدف نبيل، وهو المحافظة على أبناء المسلمين من الضياع والذوبان في هذه البلاد، بسبب عدم وجود التعليم الإسلامي، واعتذر عن التكلم بالإنكليزية بأن الطلاب لم يدرسوا غيرها، ولكن من هدفهم في هذه الدراسة أن يعلموا الطلاب اللغة العربية التي هي لغة دينهم، واللغة الأوردية التي هي لغة وطنهم، ووعدونا أن نرى النتيجة الحسنة بإذن الله في المستقبل، وشكروا لرئاسة البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية إرسالها ثلاثة من الدعاة والمدرسين للعمل في هذه الجمعية على نفقة المملكة العربية السعودية.

ثم تجولنا في مقرها، فإذا هو بيت صغير، ولكن له واجهة جميلة، وخلفه مساحة من الفضاء واسعة، قالوا: إن البلدية تجبر الناس على أن يجعلوا فضاء في مؤخرة بيوتهم، حتى تتاح الفرصة للسكان أن يأخذوا قدراً كافياً من الهواء النقي، لذلك لا يسمحون ببناء البيوت المتلاصقة من

جميع الجهات، وإنما يبيحون التلاصق إذا كان من جهة واحدة، وقالوا: إنهم بحاجة إلى شراء بيتين بجانبهم، وإن الأمر يحتاج إلى حصولهم على خمسة وثلاثين ألف جنيه حتى يستطيعوا شراء أحد البيوت، كما ذكروا أنهم يحتاجون إلى حافلتين لنقل الطلاب الذين يحضرون لهذه المدرسة مساء بعد الانتهاء من الدراسة بالمدارس الحكومية، فيدركهم الليل خاصة في فصل الشتاء.

وقد شربنا الشاي مع بعض الإخوة المسلمين في مدينة برمنجهام في بيت الشيخ فضل الكريم، ثم خرجنا مسرعين إلى المسجد الجامع الكبير في برمنجهام لمشاهدته، إلا أن ضيق الوقت قد جعلنا نكتفي بالنظر إليه من خارج، فرأيناه بقبته الكبيرة وفنائه الواسع، وبنائه الجميل، مما يسر له المسلم.

العودة إلى لندن:

ثم ركبنا القطار الذي أخبرونا أنه سيغادر المحطة في الساعة الثامنة والدقيقة التاسعة والأربعين إلى لندن، فغادرناها عليه في الموعد المذكور، أي: نعم، في الثامنة والدقيقة التاسعة والأربعين، ولا أدري لماذا لم يجعلوا موعد المغادرة في الدقيقة الخمسين، وليس هذا بالمهم، ولكن المهم أن القطار بدأ في التحرك من المحطة عند الساعة الثامنة والدقيقة التاسعة والأربعين دون تقديم أو تأخير، وكان ركوبه ممتعاً لأنه نظيف سريع، وركّابه لا يؤذونك، ولن تعدم منهم وجهاً جميلاً تراه، أو شخصاً مهذباً تتعلم منه المجاملة في المعاملة.

الإسلام والمسلمون في بريطانيا:

قبل أن نغادر بريطانيا طلبنا من الدعاة الذين تدفع بلادنا رواتبهم أن

يكتبوا لنا تقريراً عن أحوال المسلمين في بريطانيا، موضحاً أسماء الجمعيات الإسلامية مع الاختصار، وقد استجابوا لذلك، وكتبوا هذا التقرير الذي تجاوزه الزمن بعد ذلك، فازداد عدد المسلمين، وكثرت مؤسساتهم الإسلامية من الجمعيات والمساجد والمدارس الإسلامية، حتى بلغت هذه في مدينة برمنجهام وحدها ٨٢ ما بين مسجد ومصلى وجمعية إسلامية، وكثرت مساعدات المملكة العربية السعودية للمؤسسات الإسلامية في بريطانيا، بل تضاعفت أضعافاً كثيرة..

ومع ذلك رأيت إبقاء هذا التقرير في مكانه من الكتاب، لأنه يؤرخ كما سبق أن قلت، لمرحلة من مراحل نمو العمل الإسلامي.

فكرة عامة عن الإسلام في بريطانيا:

عدد المسلمين:

بدأ دخول الإسلام في بريطانيا منذ أكثر من قرن على أيدي المهاجرين المسلمين.

وحسب تقدير السفارة السعودية عام ١٣٩٧هـ يبلغ عدد المسلمين في بريطانيا بين تسعمائة وخمسين ألفاً ومليون نسمة، وهم أكبر أقلية دينية في بريطانيا، منهم مائة ألف في منطقة لندن، وأغلبهم من دول الكومنولث، وهناك عدة آلاف من اليمانيين يعملون في الموانئ مثل ليفربول وكارديف، وفي المدن الصناعية مثل برمنجهام وشيفيلد.

وعدد الطلبة المسلمين نحو عشرين ألفاً من بلاد إسلامية مختلفة، وكان المسلمون يفدون إلى بريطانيا للعمل، ثم العودة إلى بلادهم، إلا أن ذلك تغير، وأصبحوا يقيمون هناك، إلا أن قوانين الهجرة الجديدة صارت تحد من أعدادهم.

ويبذل المسلمون جهوداً طيبة لإقامة شعائر الدين حسب إمكانهم، ولديهم مشروعات طموحة لا يستطيعون أحياناً إكمالها.

وأهم ما يجب الانتباه إليه أطفال المسلمين، فالمدارس الرسمية لا تعلمهم الإسلام، ولذلك يفتح المسلمون فصولاً لتعليم أبنائهم مبادئ الدين أيام السبت والآحد، لكن معظم الجهود فردية، وتحتاج إلى المساعدة، وأهم من يقوم بهذه المهمة وقف التعليم الإسلامي الذي حصل على مساعدة من حكومة المملكة العربية السعودية، ويمكن زيادة نشاط الوقف إذا تيسر له مزيد من المال، كما أن هناك جهوداً للجمعية الإسلامية بالمملكة المتحدة، وهي فرع من الجماعة الإسلامية في باكستان، وكذلك الاتحاد العام للطلبة المسلمين.

وهناك عدة صحف إسلامية أهمها: (الغرباء)، (والمسلم)، و(إمباكت)، ويخشى ألا تتمكن من الاستمرار في الصدور، لضعف مواردها، وارتفاع أسعار الطباعة، وحبذا لو قدمت لها المساعدة المالية الكافية.

تقديرات أخرى للسكان المسلمين في بريطانيا:

يبلغون نحو ٨٠٠ ألف حسب تقدير المجلس الإسلامي الأوربي.

وهناك من قدر عددهم عام ١٣٩٤هـ بين مليون، ومليون وربع مليون مسلم من الهند والباكستان، وباقي دول الكومنولث، ثم اليمن، وبعض الإنكليز المسلمين.

أهم الصحف الإسلامية في بريطانيا:

١- إمباكت بالإنكليزية، تصدر في لندن كل خمسة عشر يوماً، تصدرها المؤسسة الإسلامية في ليستر.

٢- الغرباء بالعربية تصدر في لندن عن جمعية الطلبة المسلمين.

٣- المسلم بالإنكليزية، تصدر في لندن، وهي لسان اتحاد الطلبة المسلمين في المملكة المتحدة وإيرلندا، وتصدر كل شهر.

٤- المرأة المسلمة بالإنكليزية، تصدر في لندن.

٥- الأفق الجديد بالإنكليزية مع صفحة بالعربية، تصدر في لندن.

٦- الشباب المسلم بالإنكليزية، تصدر عن جمعية الدعوة الإسلامية في برمنجهام.

٧- الدعوة الإسلامية، بالأردو، تصدر عن جمعية الدعوة الإسلامية في برمنجهام.

المجلس الإسلامي الأوربي:

المجلس الإسلامي الأوربي يمثل بعض الجمعيات والاتحادات الإسلامية في أوربا، أسس بناء على قرار من مؤتمر المنظمات والمراكز الثقافية الإسلامية الذي عقد في لندن في مايو ١٩٧٣م، ومهمته تمثيل المنظمات الإسلامية، وتنسيق أنشطتها.

وقد نظم المؤتمر الإسلامي الذي عقد في لندن في إبريل ١٩٧٦م.

ويعاني المجلس من قلة الموارد المالية لدفع مرتبات المدرسين.

يرى أن أهم وسائل المحافظة على الشخصية الإسلامية توفير التعليم الإسلامي.

وأن أخطر مشكلة تواجه المسلمين في أوربا عدم وجود التسهيلات اللازمة لتلقي التعليم الإسلامي، بينما تبذل الكنائس جهدها لتحويل أطفال المسلمين عن الإسلام، ولا يقابلها إلا مجهودات محدودة من

المسلمين.

الجمعيات الإسلامية في بريطانيا الأعضاء في المجلس الإسلامي الأوربي

١- الرابطة الإسلامية للأطباء.

٢- رابطة المرأة الإسلامية.

٣- المؤسسة الإسلامية.

٤- اتحاد المنظمات الإسلامية.

٥- المركز الثقافي الإسلامي.

٦- الجمعية الإسلامية للشيعة.

٧- وقف التعليم الإسلامي.

٨- البعثة الإسلامية في المملكة المتحدة.

٩- اتحاد الجمعيات الإسلامية في المملكة المتحدة وإيرلندا.

١- اتحاد الطلبة المسلمين في بريطانيا وايرلندا:

أسس عام ١٩٦٢ في اجتماع بين ممثلي جمعيات الطلبة المسلمين في بريطانيا وإيرلندا في مدينة برمنجهام.

ومن أعماله أن يستقبل الطلبة الجدد كل عام، ويعرفهم إلى زملائهم، ويوزع تقويم أوقات الصلاة، وإمساكية رمضان، ودليل الطالب في بريطانيا.

٢- البعثة الإسلامية لبريطانيا:

منظمة تهتم بخدمة المسلمين الباكستانيين والهنود، ولها أربعة عشر

فرعاً في أنحاء بريطانيا، وتهتم بـ:

١- إقامة مكتبات إسلامية في المدن الكبرى باللغات المختلفة.

٢- تدريس الإسلام.

٣- عمل تقويم لبيان أوقات الصلاة في مدن أوربا.

٤- رعاية الطلاب الشباب، وعدم انجرافهم في مغريات الحضارة.

٥- إقامة مؤتمرات سنوية.

٣- الجمعية الإسلامية بالمملكة المتحدة:

فرع من الجماعة الإسلامية في باكستان، لها نشاط جيد في تعليم أبناء المسلمين الدين الإسلامي.

٤-المركز الإسلامي في إكستر:

أهدافه:

١- المحافظة على التمسك بتعاليم الإسلام، وعرضه على غير المسلمين.

٢- تعليم أبناء المسلمين الإسلام.

٣- مساعدة المسلمين المحتاجين.

٤- بناء المساجد والمدارس.

٥- القيام بالخدمات العامة كتنظيم أمور الزواج والتجهيز بعد الوفاة.

٦- جمع الزكاة.

والعضوية فيه متاحة لكل مسلم يزيد عمره عن ست عشرة سنة،

والأعضاء ينقسمون إلى أعضاء شرف، وأعضاء مؤقتين، وأعضاء دائمين.

ساعدتهم المملكة بمبلغ ٦٥ ألف ريال لإقامة المركز الإسلامي في إكستر، يتعاون مع المركز الثقافي الإسلامي بلندن، ومع اتحاد المنظمات الطلابية في المملكة المتحدة وإيرلندا

٥- جمعية الدعوة الإسلامية:

مقرها برمنجهام، وكان اسمها سابقاً ((وقف رسالة الإسلام))، وهي جمعية صغيرة، رئيسها إقبال شودري، وتعقد الجمعية مؤتمرها كل سنة لعلماء المسلمين، ولها مجلتان إحداهما بالإنكليزية ((الشباب المسلم))، والثانية بالأردية ((الدعوة الإسلامية)).

٦- المسجد والمركز الإسلامي بحي برنت بلندن:

أسس عام ١٩٧٥م. وأهدافه:

١- غرس العقيدة الإسلامية في نفوس النشء، وتعريفهم بمبادئ الإسلام.

٢- دراسة التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية.

٣- دراسة اللغة العربية.

٤- تعريف الشباب بالبلدان الإسلامية جغرافياً وتاريخياً واقتصادياً.

٥- تعريفهم بالمراكز الإسلامية في بريطانيا، وتعميق الأخوة الإسلامية.

ويدرس في المركز عدد من الطلاب بلغوا عام ٧٦/ ١٩٧٧م ٢٦٥ طالباً، والدراسة فيه أيام الآحاد من كل أسبوعين لمدة ساعتين، وينوون جعل الدراسة يومية في المساء. والدراسة بالمجان.

٧- المسجد والمركز الإسلامي في روتشديل في بريطانيا:

تضم المؤسسة مسجداً ومركزاً إسلامياً في مدينة روتشديل بالقرب من مانشستر، ولديها مشروع بإنشاء قاعتين للصلاة، إحداهما للرجال، والأخرى للنساء، ومساكن للإمام والمؤذن والمراقب، ويحتاجون إلى مساحات كافية من الأرض.

٩- المؤسسة الإسلامية في ليستر:

جمعية إسلامية قامت سنة ١٩٦٢م، لها فرع في لندن، ومهمتها الأساسية إصدار المطبوعات الإسلامية باللغات المختلفة ونشرها في العالم، كما تقوم بتوثيق علاقتها بالمنظمات الإسلامية، ومساعدتها بنشر نشاطها، ولها فرعان في كينيا وفي نيجيريا، وتقوم بمحاربة القاديانية، وتعقد مؤتمراً سنوياً تدعو إليه المنظمات الإسلامية.

١- تعمل المؤسسة على إنشاء مكتبة تحوي كتباً ومجلات ومخطوطات إسلامية بالإنكليزية والعربية والأردية والتركية واللغات الأوربية.

٢- نشرت بعض الكتب الإسلامية ووزعتها، وأذاعت برامج بالإذاعة البريطانية وفي الصحف.

٣- شاركت في عدة مؤتمرات إسلامية.

٤- أسست مجلس علماء الاجتماع المسلمين الذي عقد أول اجتماع رسمي له في ٧ إبريل ١٩٧٤م.

٥- أنشأت بعض المدارس وملاجئ الأيتام.

٦- تصدر صحيفة إمباكت مرتين كل شهر.

١٠- المؤسسة الإسلامية البريطانية فرع شرق لندن:

١- فرع للمؤسسة الإسلامية بليستر، وجعل مقرها شرق لندن، لأنه أكبر مركز للمسلمين في المدينة؛ حيث يبلغ عددهم فيه خمسين ألفاً.

٢- كانت في عمارة كبيرة واسعة فيها المسجد، ثم هدمت فاضطروا إلى استخدام كنيسة بالأجرة، لكنهم خرجوا منها.

٣- لديهم مشروع لإقامة مكتبة وغرف دراسية وغرفة اجتماعات الشباب وصالة اجتماعات عامة.

١١- المسجد والمركز الإسلامي في جلاسكو:

١- يوجد في مدينة جلاسكو عشرة آلاف مسلم، بالإضافة إلى خمسمائة طالب في الجامعات، وهناك أربعة آلاف طفل مسلم بحاجة إلى الرعاية، ومعظم المسلمين من أصل باكستاني.

٢- لا يوجد سوى هذا المركز في المنطقة، ويشمل صالة للصلاة، ومكتبة، وقاعة اجتماعات وملحقاتها، لكن لا يتسع المكان لصلاة الجمعة؛ حيث يبلغ عدد المصلين أكثر من أربعمائة مصل.

٣- لديهم مشروع بيت آخر وتحويله إلى مركز فرعي، ويشمل تسع غرف، وتقدر قيمته بسبعة وعشرين ألف جنيه، وخمسة آلاف للتحسينات، وذلك في سنة ١٩٧٦م.

١٢- جمعية أهل الحديث:

جمعية إسلامية لها جهود واضحة في مجال الدعوة، وافتتحت فروعاً لها في برمنجهام وغيرها من المدن.

١٣- جمعية الطلبة المسلمين:

بدأت نشاطها في أواخر الخمسينات مع بداية النشاط الإسلامي في المملكة المتحدة، وغرضها الاهتمام بالطلبة المسلمين وخاصة العرب، والمحافظة على إسلامهم.

١- تصدر مجلة الغرباء.

٢- تنظيم عملها في الدعوة في أربعة خطوط رئيسة:

أ- الطلاب: فهي تعقد الحلقات لتدريس القرآن والحديث والثقافة الإسلامية، وتساعد على التعارف بين الطلبة، وتقوية العلاقات بهم، وتعقد مؤتمراً سنوياً للطلبة.

ب- أنشأت بالتعاون مع دار الرعاية الإسلامية بلندن ((وحدة الإعلام الإسلامي))، توزع الكتب باللغات العربية والأردية والفارسية والتركية والإنكليزية والفرنسية بأسعار معتدلة، وتسجل أشرطة للقرآن والمحاضرات الإسلامية بالعربية والإنكليزية.

ج- تنظم دروساً لتعليم العربية والإسلام لغير الناطقين بالعربية.

د- تهتم بنشر الإسلام بين النساء.

ه- تتعاون مع المنظمات الإسلامية الأخرى كاتحاد الجمعيات الإسلامية في المملكة المتحدة.

ولدى الجمعية مشروعات تنوي القيام بها إذا توافرت لها الإمكانات مثل: نشر قصص إسلامية بالإنكليزية، وذلك بترجمتها من العربية للإنكليزية.

ومشروع إقامة معسكرات للشباب المسلم في بريطانيا، وقد بدأت

الجمعية منذ عام ١٩٦٠ بإقامة معسكر صيفي كل عام لمدة أسبوع أو أسبوعين في الصيف. ولكن المشكلة عدم توفر المكان بصورة مستمرة، وغلاء الأجرة، وعدم توفر وسائل النقل لديها.

مشروع مجلة إسلامية ملونة للأطفال، وهذا العمل يحتاج إلى متخصصين في علم النفس وفي التربية الإسلامية، وفي التصوير، وتفريغ هيئة لهذه المجلة.

كما أنشأت مسجداً في ليفربول يتسع لألفي مسلم، وتحتاج لشراء بيوت حوله تكون سكناً للطلبة.

كما أن لها مشروعات في لندن لبناء مصلىً ومكتبة وقاعة محاضرات في دار الرعاية، وشراء بيت في أحد الأحياء الجامعية، ليسكن فيه نحو أربعين طالباً وآخر للطالبات.

١- ترجمة كتاب ((في ظلال القرآن)) إلى الإنكليزية.

٢- مطبعة إسلامية في بريطانيا لطبع قصص الأطفال، وطبع مجلة ((المسلم))، ومجلة ((الغرباء))، والكتب الإسلامية.

١٥- مساجد وجمعيات أخرى:

أقدم مسجد:

أول مسجد أقيم في لندن يرجع تاريخه إلى نهاية القرن الهجري الثالث عشر، وأقيم على التايمز، أقامته امرأة إنكليزية تكريماً لأحد ضيوفها من السوريين، ثم بيع ذلك المسجد بعد موتها، رغم كونه عرض على سفراء بعض الدول الإسلامية لشرائه فلم توفق لذلك.

مسجد كارديف:

وكارديف عاصمة ويلز، وميناء بحري، استوطن بها عدد من اليمنيين وبعض الصوماليين والباكستانيين، ويبلغ المسلمون فيها نحو أربعة آلاف، وكان للجالية اليمنية نشاط جيد؛ بحيث أنشأت جريدة يومية عربية، ومطبعة باسم ((جريدة السلام))، وطبعوا بعض الكتب، وبنوا مسجداً سموه ((نور السلام))، وفيه يدرس الأطفال الإسلام واللغة العربية. وقد تم بناء المسجد عام ١٩٤٦م بنفقات من اليمنيين أنفسهم، ثم دب الخلاف بينهم، وانقسم اليمنيون قسمين، وبنى القسم الآخر زاوية سموها ((المركز الإسلامي))، أما المسجد الأصلي فآلت الأبنية الملحقة به إلى السقوط، فطلبت السلطات منهم أن يعمروها، وإلا فستستولي عليها، وهم بحاجة إلى المساعدة.

مسجد ساوث شيلد:

ساوث شيلد ميناء في أقصى الشمال الشرقي لإنجلترا على بحر الشمال، تسكنها جالية مسلمة، أغلبها من اليمن ثم الصومال والباكستان، واليمنيون مستقرون هناك منذ أكثر من نصف قرن، ولهم صلة باليمنيين في كارديف، ويبلغ عدد المسلمين في ساوث شيلد ألفي مسلم، وقد بدؤوا في بناء مسجد لهم منذ عام ١٩٦١، لكن السلطات أوقفت البناء بحجة التنظيم، وطالت المدة، ودب الخلاف بين القائمين عليه، وتدخلت الصحف في ذلك، ووصل الأمر إلى القضاء، ثم اتفقوا على شراء أرض لإقامة مسجد ومدرسة سنة ١٩٧١م، ولكنهم بحاجة للعون.

مسجد ليفربول:

أكثر المسلمين فيها من الباكستانيين واليمنيين والصوماليين، وقد

بدؤوا في بناء مسجد لهم ١٩٦٦ ، لكنهم لم يستطيعوا إكماله بسبب العجز المالي ، ثم حصلت بعض التبرعات لهم.

مسجد وكنج:

مسجد صغير تحيط به أرض واسعة ومبان تابعة له ، قام ببنائه إنكليزي يؤمن بتعايش الأديان، فبدأ ببناء المسجد ، وكان ينوي بناء كنيسة ، ومعبد لليهود ، وآخر للهنادك، ورابع للبوذيين، لكنه مات ولم يبق سوى المسجد ، وخلفه ابنه الذي تصرف في الأرض، لكن أحد القاديانيين حاكمه وجمع تبرعات، واستولى القاديانيون على المسجد ، ثم قام المسلمون بعد عامين وطردوهم منه، وأنشئ له مجلس أمناء برئاسة سفير باكستان في لندن.

مسجد بلهام:

يعيش في المنطقة نحو خمسة آلاف مسلم، كلهم من باكستان، استأجروا مكاناً للصلاة ، ثم اشتروا أرضاً لإقامة المسجد ، واقترضوا أموالاً لذلك، ولا زالوا بحاجة لمال جديد ، بالإضافة إلى سداد القرض.

مسجد مانشستر:

تبلغ الجالية الإسلامية في مانشستر عدة آلاف، أغلبهم من باكستان وفيهم بعض السوريين، وكوّن الأخيرون جمعية اشترت كنيسة حولتها إلى مسجد ، وكانوا ينوون فتح مدرسة لتعليم الأطفال العربية والدين، لكن الخلاف دب بينهم، وتعطلت المدرسة ، وقد أقاموا بناء مسجد جديد.

مسجد بريستول:

فيها جالية إسلامية من باكستان والهند ، وبها جمعيتان إسلاميتان،

أقامت إحداهما مدرسة للأطفال، والأخرى اشترت كنيسة وحولتها إلى مسجد، وتدير فصولاً لتعليم الأطفال.

المسجد والجمعية الإسلامية في كمبردج:

قامت الجمعية بجهود الطلبة المسلمين، واشترت منزلاً اتخذته مسجداً بمعونة بعض الدول العربية.

مسجد الفرد وجمعيتها الإسلامية:

الفرد ضاحية من ضواحي لندن، فيها ألفان من المسلمين، بدأت الجمعية عملها ١٩٦٧ فافتتحت فصولاً لتعليم الأطفال، خمسة أيام في الأسبوع في غير أوقات المدارس، وقد يفكرون في شراء منزل لجعله مسجداً.

مسجد كريدون والجمعية الإسلامية:

بها عدد من المسلمين الباكستانيين افتتحوا فصولاً لتعليم الأطفال، واستأجروا مكاناً للصلاة، ويريدون شراء مكان لإقامة المسجد.

مسجد ومبلدون بارك:

في ومبلدون بارك عدة آلاف من المسلمين ترعى شؤونهم جمعية نشطة، ولهم مسجد صغير وفصول لتعليم الأطفال، واشتروا مقبرة خاصة للمسلمين، ولديهم مشروع مسجد جديد. انتهى.

ونعيد القول بأن عدد المساجد في بريطانيا قد تضاعف بعد كتابة هذا التقرير، ونشاط المسلمين ازداد ولله الحمد.

يوم الأربعاء ٧/ ٦/ ١٣٩٧هـ الموافق ٢٥/ ٥/ ١٩٧٧م.

السفر إلى الولايات المتحدة:

تركنا فندقنا في شارع كرومويل في لندن في الساعة التاسعة إلا ربعاً صباحاً قاصدين المطار، وكان من المناظر التي لها معنى خاص في نفسي أن الموظفين والعاملين في الفندق، وكلهم من الإنكليز، عندما علموا بقرب رحيلنا أخذوا يتقربون منا، ومنهم من يكرر تحية الصباح، ويتكلم معنا بدون مناسبة، وذلك كله لأجل أن يحصلوا منا على شيء من الحلوان ((البقشيش))، فلم نخلف ظنهم، بل نفحناهم منه ما تيسر وأرضاهم، ولكنني تذكرت الأمس القريب عندما كان الإنكليز مشهورين بكبرهم وتعاليهم على الناس، وإن كانوا يخفون ذلك بالمجاملة الكاملة، فكان أفرادهم لا يتعاملون مع بعض الناس الذين يسمونهم متخلفين، فأصبحوا اليوم يتعرضون لهم بذلك.

ونحن الذين كنا لا يحسب لنا حساب في دنيا المال أو الأعمال التجارية، أصبح الناس يلتمسون منا العطاء، وسبحان مغير الأحوال.

ولا شك في أن كل شيء قد تغير مرة، فإنه سيتغير ثانية، ويتغير معه أهله إلا إذا قابلوا تغيّر الحال بتغيير الأفعال، فلبسوا لكل حالة لبوسها، وأحسنوا لكل حادث عدة وعملاً.

وصلنا مطار هيثرو بعد ٤٥ دقيقة من مغادرتنا الفندق، وقصدنا مكاتب شركة (بان أمريكان) للطيران إذ سيكون سفرنا معها.

ولم نجد أي زحام على مكاتب الدرجة الأولى التي سنركب فيها، وكانت الموظفة امرأة إنكليزية وجدت فسحة من الوقت لكي تتحدث إلينا مع الابتسام.

وفي الساعة العاشرة والنصف نادى منادي الشركة عند بوابة الخروج أنهم يرجون من ركاب الدرجة الأولى، ومن الركاب الذين معهم أطفال، ولو كانوا في الدرجة السياحية، أن يتفضلوا بالدخول قبل غيرهم إلى الطائرة.

وكانت هذه لفتة إنسانية بالنسبة إلى من معهم أطفال، وإن لم تكن كذلك بالنسبة إلى ركاب الدرجة الأولى الذين فضلوا غيرهم بما معهم من المال.

وركبنا في الصف الثاني من الدرجة الأولى التي تبلغ صفوف المقاعد فيها سبعة، وذلك في الطائرة النفاثة الضخمة بوينغ ٧٤٧ التي يسمونها الجامبو، وكان نصف مقاعد الدرجة الأولى خالياً.

وما أن دخلنا إليها حتى بدأ مكبر الصوت في الطائرة يدلي بالمعلومات والتعليمات الكثيرة، فكان مما قاله: إننا سننزل في مدينة بوسطن في الولايات المتحدة، ومن بعدها في مدينة ديترويت، وأن مدة السفر إلى بوسطن ستكون ست ساعات ونصف من الطيران، وأن الفرق بين توقيت لندن وتوقيت بوسطن هو خمس ساعات.

أقلعت الطائرة في الساعة العاشرة والدقيقة الخمسين، وذكرت سفري في العام الماضي إلى الولايات المتحدة الأمريكية من لندن، ولكن إلى مدينة شيكاغو.

وكانت الضيافة في الطائرة متوسطة، والخدمة كذلك، ولم يكن في ركاب الدرجة الأولى من العرب غيرنا، أما البقية فهم من البيض من الأمريكيين والأوربيين.

مطار مدينة بوسطن:

أخذت الطائرة تحوم فوق منطقة بوسطن، فكان أن لاحظت ما لاحظته في العام الماضي من كثرة البحيرات والنهيرات فيها، حتى المطار بجانبه بحيرة جميلة تجري فيها القوارب الصغيرة، وقد أعلن قائد الطائرة للركاب الذين سيذهبون إلى ديترويت مثلنا أن الطائرة ستقف في البوابة الثالثة، وستظل ساعتين في المطار، تستأنف بعدها السفر إلى ديترويت، وقد وصلنا في الساعة الثانية عشرة والربع ظهراً بتوقيت بوسطن، ويوافق الخامسة والربع عصراً بتوقيت لندن، والسابعة والربع عشاء بتوقيت المملكة.

وكانت الإجراءات في المطار بالنسبة لنا سهلة، ذلك بأن التأشيرة التي في جوازاتنا خاصة، ولم تفتش حقائبنا.

ثم لبثنا في الطابق الأعلى من المطار حتى دعونا إلى الدخول مرة ثانية في الطائرة، ولم نمر بأية إجراءات ما عد الكشف على حقائب اليد للأمن كما قالوا.

وبدأت الطائرة بالتحليق، وأعلن المضيف أن الطيران إلى مدينة ديترويت سيستمر ساعة وعشرين دقيقة.

مدينة ديترويت:

هبطنا في المطار، وهي رحلة داخلية، لذلك لم نمر بأية إجراءات عدا أن ركاب الطائرة وهي من نوع الجامبو الضخم - كما ذكرت - كلهم لم يستطيعوا أن يتعرفوا على مكان توزيع الحقائب في المطار، ولا أدري أهم جميعاً كانوا من الجدد على هذا المطار، إذْ بدؤوا ونحن معهم يترددون بين ممرات المطار، حتى أنقذنا موظف جاء بعد نصف ساعة، وأرشدنا إلى

الطريق الصحيح.

والأصعب من ذلك كان الوصول إلى البلد، فلا حافلات، ولا سيارات أجرة إلا بواسطة الهاتف، ولكن إذا طلبنا سيارة بالهاتف وخيل إلينا أننا لا نأمن سائق الأجرة في هذه البلاد التي لا يأمن الإنسان فيها كثيراً على نفسه.

وهدانا تفكيرنا إلى البحث عن ضابط للشرطة، فوجدناه إفريقي الأصل، طلبت إليه أن يبحث لنا عن سائق أجرة ينقلنا إلى المدينة، فقال: إني أفعل، ولكن سيكلفكم كثيراً من الدولارات.

وهكذا طلب سيارة أجرة، ولما قلت له: أهي تكسي؟ قال: لا، بل (كاب)، أي سيارة أجرة صفراء.

وقصدنا فندق (ديترويت بلازا هوتيل) أي: فندق بلازا ديترويت، ومعنى كلمة بلازا يشبه معنى ساحة البلدة التي يقصدها الناس ويصدرون عنها، وكنا قد أخذنا اسمه من مضيف في الطائرة، وهو الذي نصحنا ألا نسكن إلا فيه وفي أمثاله، وقال: إن معظم الفنادق في داخل المدينة لا يتوفر فيها الأمن، وتبلغ المسافة من المطار إليه ٢٤ كيلو متراً.

والفندق هذا من فنادق الدرجة الممتازة التي هي فوق الدرجة الأولى، في قلب المدينة في عمارة ناطحة للسحاب، يبلغ عدد طوابقها اثنين وسبعين طابقاً، وليس ذلك هو المهم، وإنما المهم أن فيه من المقاهي والمقاصف والمطاعم في طبقاته السفلى ما يكاد يعجز المرء عن وصفه، بعضها مخصص للمشروبات البادرة، وبعضها للحارة، وبعضها للقهوة، وبعضها للأطعمة الخفيفة، ومنها ما يستعمل صباحاً فقط، وما يستعمل في المساء، وكلها على طراز حديث كل الحداثة، طريف كل الطرافة، وأما السلالم الصاعدة والهابطة فيه، فحدث عن كثرتها بلا حرج، وأما قاعات

الاجتماعات والقاعات الأخرى المخصصة للإيجار، أو للاستعمالات الخاصة، فهي محيطة به في عدة طوابق.

والغرابة في هندسته البديعة، فهي تقوم على أعمدة ضخمة من الإسمنت المسلح، أو إن شئت من الجبال الإسمنتية التي لا يميزها عن غيرها من الجبال إلاّ كونها نحتت وفقاً لذوق سليم مستقيم، وفيه من الزهور ونباتات الزينة والأشجار التي تعيش في الظل ما يعجبك ويطربك، وناهيك ببعض الأحواض الضخمة من الإسمنت المسلح التي علقت في أعمدته الأساسية تعليقاً، وغرست في داخلها الأشجار التي استدارت حولها الزهور، فنمت الأشجار، وطالت في هذه الأقفاص الإسمنتية.

وفي أعلاه في مستوى الطابق الثالث والسبعين قمة، داخلها مطعم فاخر، تعلوها قمة أخرى أصغر منها، فيها مشارب على أنواع مختلفة، والقمة التي فيها المطعم، والتي فيها المشرب يدوران بهدوء، حتى تستطيع أن تراقب من داخلها ما يجري في شوارع مدينة ديترويت الكبيرة التي تبلغ عدد سكانها أربعة ملايين ونصفاً، وترى عماراتها الشاهقة التي بلغ طوابقها في بعض الأحيان الأربعين أو الخمسين طابقاً، وقد تواضعت فتطامنت تحتك، كما ترى من هذه القمة الأراضي الكندية التي لا يفصلها عن ديترويت إلا خليج من ماء البحيرات العذبة، كل ذلك وأنت لا تتحرك من مقعدك، ويجري الاتصال بينهما، أي بين قسمي هذه البحيرة الأمريكي والكندي، ما بين مدينة ديترويت في أمريكا، ومدينة (ونزر) في كندا من نفق أرضي تحت مياه البحيرة، وفي بواخر تسعى بين الضفتين فوق مياهها، وكل من الممرين يعج بالحركة الدائمة، ذلك بأنه لا حاجة إلى مواطني الدولتين كلتيهما إلى الحصول على جواز للسفر عندما يريدون السفر إلى الدولة الأخرى، وإنما يكتفون بحمل البطاقة الشخصية.

وفي كل مطاعم هذا الفندق الضخم ومشاربه قد ألبسوا العاملات

من النسوة فيه لباساً خاصاً، يعود بالموضة إلى ما قبل السنين الحاضرة، فقد جعلوه يكشف في أعلاه عن أكثر الصدر، أما أسفل اللباس فإنه يضرب إلى الكعبين، ولكنه مشقوق إلى منتصف الرِّجل، فهن به كاسيات عاريات، والعاملات فيه مختلطات بين البيض والسود والسمر والخلاسيات، والعاملات فيه من السود أكثر مما كنت أتصوره.

وقد تناولنا طعام العشاء في هذا المطعم الجميل، ولم نكد نحصل على مقعد فيه إلا بعد توسل ورجاء من بعض العاملات المسؤولات فيه، إذْ قلن لنا إنه لا يمكن الدخول فيه إلا لمن حجز مقدماً، لأنه مزدحم، فأخبرناهن أننا من سكان الفندق، وأننا سنترك ديترويت غداً، ولا نحب أن نسافر قبل أن نراه، فطلبوا منا الانتظار نحو ثلث ساعة، ثم جاءت إحداهن تمشي على غير استحياء، فأخذتنا ونحن اثنان إلى مكان لم نر فارغاً غيره، وتناولنا فيه عشاء متوسطاً كلفنا ٢٤ دولاراً للاثنين، أي نحو ٨٦ ريالاً.

وكنا قد استأجرنا الغرفة للشخص الواحد لليلة الواحدة بثمانية وثلاثين دولاراً ونصف الدولار، أي ما يعادل حوالي ١٣٠ ريالاً سعودياً، وهي أجرة رخيصة بالنسبة إلى فندق ممتاز مثله، وأنزلونا في الطابق الثامن والثلاثين.

الأيام الطوال:

نزلنا من المطعم في نحو الساعة الحادية عشرة والربع بتوقيت ديترويت، ونحن نتمايل من السهر والتعب، ولم نكن ندري مبعث ذلك حتى تذكرناه، إذ الساعة الحادية عشرة والربع هنا تعادل الرابعة والربع صباحاً بتوقيت لندن، وهو وقت طلوع الفجر فيها، ولذلك يصح القول إننا أمضينا أكثر من ٢٤ ساعة دون نوم، ودون أن نشعر بذلك، لأن الشمس كانت

طالعة معظم هذه المدة، أو قل إنها استمرت مشرقة بالنسبة إلينا أكثر من تسع عشرة ساعة، لأننا نتجه في سفرنا إلى جهة المغرب، وكنا نكاد ندركها إذ سرعة الطائرة تكاد تعادل فرق التوقيت.

يوم الخميس ٨/ ٦/ ١٣٩٧هـ الموافق ٢٦/ ٥/ ١٩٧٧م

المركز الإسلامي في ديترويت:

بعد نوم لم يكن كافياً، استيقظنا في الصباح، وتناولنا الإفطار، ثم اتصلنا بالمركز الإسلامي في ديترويت، فجاء إلينا في الفندق بعض إخواننا من اليمانيين الساكنين في هذه البلاد، وكلهم إما من العاملين، أو كانوا منهم وتقاعدوا، ولكن كل واحد منهم يملك سيارة فخمة حديثة من آخر طراز، وقد تحدثنا معهم حديثاً طويلاً مستفيضاً حول الشؤون الإسلامية التي تتعلق بوضعهم في هذه البلاد، وعرفنا من أحوالهم هنا، وهي تتلخص في أنها سيئة من الناحية الإسلامية، أما من الناحية المادية فهي لا بأس بها، وهم يخافون على أولادهم من الضياع، بل إن شبابهم ورجالهم معرضون للمزيد من الجهل بالدين، إلا أنهم يقولون إنهم في هذا العام أحسن مما كانوا عليه من قبل، وإنهم لذلك متفائلون من المستقبل، وبخاصة بعد أن أرسلت لهم رئاسة البحوث العلمية والدعوة في المملكة مبعوثاً من أهل اليمن على نفقة المملكة.

وبعد أن تناولنا معهم الشاي في قمة الفندق، ورأينا من معالم ديتروت نهاراً ما لم نره منها ليلاً من الأرض الكندية المجاورة، ذهبنا إلى المركز الإسلامي في ديترويت الذي أظهر ما فيه المسجد الجامع، وهو مسجد قديم بني منه عام ١٩٣٨م الطابق الأسفل على يد الرواد الأوائل من المسلمين اللبنانيين والسوريين المهاجرين إلى الولايات المتحدة، وبنى الطابق الأعلى عام ١٩٥٢م، ويشتمل الطابق الأعلى على المسجد الرئيسي للصلاة، وفيه المنبر والمحراب، وله قبة مغلفة بالألمنيوم تشبه القباب المغولية، يعلوها هلال مائل، وليس منارة.

وفي الطابق الأسفل قاعة الاجتماعات، والحمامات، وعدة غرف،

وتستعمل هذه القاعة للاجتماعات الهامة، وفيها تعقد حفلات الزواج، إلا أن بعض المسلمين أخذوا في السنوات الأخيرة يقيمون فيها حفلات التعارف فيما بينهم، ويحتجون بأنهم في حاجة إلى ذلك من أجل كسب المال، للقيام على أمر المسجد، فعارضهم في ذلك بعض المسلمين، وساعدهم مبعوث الإفتاء هناك، حتى توقف هذا الأمر، وقد صلينا الظهر في المسجد، وحضر للصلاة صفان وزيادة، في كل صف نحو ٣٠ شخصاً، ثم حضر بعد الصلاة أناس يبلغون حوالي خمسة عشر شخصاً، فأمَّ بهم أحدهم، وأقاموا الصلاة.

وأكثر المصلين فيه الذين رأيناهم من العرب اليمانيين واللبنانيين، وفيهم قوم من السود والملونين من الأمريكيين المسلمين، ورأينا المسجد مفروشاً بفراش أخضر جميل، قالوا: إن ذلك كله قام به شخص واحد هو الأخ محمد، وهو عامل يماني يعمل في مصانع فورد للسيارات، وقابلنا الأخ فوزي مرعي رئيس لجنة المسجد، وهو فلسطيني الأصل من مدينة القدس، ومتجنس بالجنسية الأمريكية، ويعمل في مصانع فورد للسيارات، إلا أنه أصيبت رجله في حادث أثناء العمل، مما استلزم أن يبقى في المستشفى مدة طويلة، وقد تحدث معنا عن المسجد فقال: إنه مضى عليه وقت كان يبقى مغلقاً، فلا يفتح إلا في مناسبات خاصة، وذلك بسبب عدم اهتمام أبناء الجيل السابق بالإسلام، وإنما كان المسجد يفتح في يومي العيد، وفي أوقات الحفلات، أما الآن فإنه يفتح للصلوات الخمس، وتقام فيه الجماعات بأعداد من المسلمين لا بأس بها.

وقال: إن لدينا مشروعات طيبة، وإننا سنعتمد على الله، ثم على أنفسنا، أي: أننا سنجمع النقود من إخواننا المسلمين في هذه المنطقة، ولن نعتمد على العون الخارجي، وإذا جاء العون من إخواننا المسلمين في الخارج بعد أن نبدأ فإننا سنرحب به.وقال: إن مشروعاتنا هي توسعة المسجد، ومده

من جهة القبلة إلى أرض قائمة هناك تابعة له، وبناء منارة لتكون شعاراً ظاهراً للإسلام، وبناء غرف لتكون مدرسة قرآنية ملحقة بالمسجد لتعليم أطفال المسلمين، وإنشاء مكتبة مناسبة، وتأسيس عيادة طبية صغيرة لخدمة المسلمين، وأخيراً إنشاء مرافق للوضوء على طراز شرقي نظيف، وقد اشترك في شرح أحوال المسلمين لنا الشيخ عبد المنعم خطاب، وهو من خريجي الأزهر، وعمل مع رابطة العالم الإسلامي، وانتسب في الوقت نفسه إلى إحدى الجامعات الكندية، فحصل على شهادة الماجستير في علم الاجتماع، ثم ترك العمل مع الرابطة، وعمل رئيساً لقسم الاجتماع في مستشفى في كندا، بعد أن حصل على الجنسية الكندية، وأخذ يمارس العمل الإسلامي من موقع شخصي، وهو الآن رئيس مجلس الأئمة في الولايات المتحدة وكندا جميعاً.

ويقع المسجد في حي من ديترويت، يقال له (ديربورن)، يضم عدداً من العرب لا نظير له في الكثرة في أي مكان آخر في الولايات المتحدة الأمريكية، إذْ يبلغ عدد العرب في فيه اثني عشر ألفاً، أكثرهم من اليمانيين، يليهم الفلسطينيون، فاللبنانيون.

وهذا الحي أصبح الآن أشبه بمدينة مستقلة عن ديترويت، مع أنه لا يفصل بينهما إلا شارع واحد، ويمكن تحويل هذا الحي إذا أحسن العمل فيه إلى حي إسلامي خالص، وقالوا: إنهم أسموه الآن الحي العربي، لأن الذين فيه أو معظمهم من العرب.

متحف هنري فورد ومصنعه:

بعد أداء الصلاة جماعة في المسجد الجامع في حي دير بورن والتحدث مع المصلين فيه، انتقلنا إلى منطقة فورد من مدينة ديترويت، وتقع ملاصقة للمسجد، أو قل إنها جارة الحي العربي، ولا يفصل بين المسجد وبين أول

مصانع فورد إلا حوالي ١٠٠متر.

وكانت الزيارة الأولى إلى متحف هنري فورد بصحبة الأخ الكريم فوزي مرعي، ورسم الدخول إلى المتحف ثلاثة دولارات للشخص الواحد، وهو متحف عظيم في بابه، إذْ يعتني بعرض اختراع المركبات من سيارات ودراجات وقطارات وتطورها، إلاَّ أن رسم الدخول إليه باهظ، ومع ذلك فإن عدد الداخلين فيه كثير، مع أن هذا اليوم هو الخميس، وليس يوم عطلة.

وقد عرضت فيه أول سيارة صنعها فورد، ثم نماذج من جميع السيارات التي أنتجها المصنع منذ تأسيسه، إلى جانب عربات القطر، والدراجات العادية (أي الهوائية)، والعربات التي تسير بالمحركات، وفيه نماذج من الأدوات المنزلية، والعدد والآلات التي تستعمل في تركيب الآلات الكبيرة وتفكيكها، وفي القسم الذي عرض فيه نماذج من القطارات جعلوها تطلق الصفارات التي كانت تنطلق منها عندما كانت في الاستعمال.

وقد خرجنا من هذا المتحف ونحن آسفون لعدم استكمال النظر فيه لضيق الوقت، إذْ أردنا أن نرى مصانع فورد وهي تصنع السيارات.

وقال الأخ فوزي: إن المصنع مستعد لتنظيم جولة لكم مجانية، بصفتكم من الزوار الأجانب الذين لهم معاملة خاصة، وذلك بأن يركبوكم من عندهم سيارة خاصة، ويبعثوا دليلاً مختصاً يفتح لكم ما لا يفتح لغيركم، ولكن ذلك يحتاج إلى وقت، إلا أننا الآن سنذهب في جولة مجانية على حافلة تابعة لشركة فورد، ترينا ما تيسر رؤيته منها.

وبالفعل انتظرنا في مكتب هناك، وأعطونا بطاقات صغيرة ملأناها بأسمائنا وجنسياتنا وتاريخ الزيارة، ثم جاء الدليل، وهو شاب إفريقي الأصل، يقولون عن مثله إنه زنجي أسود، وهو ليس بأسود، بل خلاسي

اللون، ولكن هذا من بقايا الاحتقار في نفوس الأمريكيين الذين هم من أصل أوربي، للأمريكيين الذين هم من أصل إفريقي. وركب في الحافلة، وركبنا خلفه، وكان معظم الزوار من الأمريكيين، وفيهم نحن وأناس من الصين واليابان، عرفنا ذلك فيما بعد، لأن الدليل خبر الركاب بجنسيات الذين يدلهم عند انتهاء الزيارة.

وعندما تحركت السيارة بدأ الدليل يتكلم من خلا ل مكبر الصوت فقال: إنني أرحب بكم في مصانع فورد، ولكنني آسف إذْ أخبركم أن الوقت لا يسعفنا إلا بزيارة مصنع واحد من عدة مصانع، ألا وهو مصنع صهر الحديد.

ثم سارت السيارة تجول وسط منطلقة المصانع، أو لنقل وسط مدينة المصانع، وهو يشرح كل ما نمر به، ومن بين ذلك أنه أرانا حجارة خام الحديد، وكيف تهرس، ثم تعالج إلى أن تخرج سيارة من المصنع، وقال: إن بعض مواد الخام هذه مجلوبة من خارج الولايات المتحدة، وقال: إن المصنع يعمل فيه أربعون ألف عامل، وكلما مررنا بمصنع من المصانع أرانا صفوفاً طويلة عريضة من السيارات الحديثة، وقال: إنها سيارات العمال الذين يعملون هنا.

ثم أنزلنا من الحافلة وقادنا إلى مصنع صهر الحديد، والحقيقة أن المرء لا يستطيع أن يعطيه حقه من الوصف، ولا يسعه إلا أن يتذكر عظمة الله سبحانه الذي خلق للإنسان العقل، وهداه إلى استعماله فيما ينفعه، ونهاه عن استعماله فيما يضره، وبغضّ النظر أيضاً عما بيننا وبين أولئك الذين يملكون المصنع، ولليهود فيه شركة رضي بها ابن المؤسس العظيم هنري فورد، بعد أن كان رفضها والده، فإننا نعجب بهذا العمل الرائع، ولا نلومهم إذا عملوا لأنفسهم ما استطاعوا، ولكننا نلوم أنفسنا على كوننا لم نعمل مثله أو قريباً منه، أي: لم نعمل لأنفسنا ما بإمكاننا أن

نعمله.

دخلنا إلى ذلك المصنع الهائل، أو قل إلى ذلك الجحيم الذي يحيل الحديد إلى شيء سائل، فإذا له ضجة لو جمعت لها أرحاء العالم القديم فربما يقصر صوتها مجتمعة عن زمجرة معداته، وأغرب ما فيه أن قضبان الحديد الضخمة تخرج من جوف المصنع حمراء لها شرر يتوقد، فتسير فوق بكرات عظام من مادة بيضاء، عجبت لها كيف تتحمل حرارة ذلك الحديد دون أن تذوب، ثم يسير القضيب الضخم فوق تلك البكرات المتلاصقة، فإذا سار قليلاً استقبلته آلات ضخمة بوابل قوي مسلط عليه من المياه، حتى يتأكسد، وتخف درجة حرارته، فتسمع لذلك أصواتاً عجيبة لا تدري أمصدرها من الحديد الحامي إذا لامسه الماء، أم من شدة وقع ملامسته بسبب الضغط المسلط عليه، ثم يسير أيضاً على بكرات أخرى، فلا يلبث إلا قليلاً حتى يصل إلى آلات أخرى تسلط عليه مياهها الضخمة، فتسمع لذلك أصواتاً كالأولى. وهو في كل ذلك يمتد ويتمدد حتى إذا خرج من هذه السلسلة من الآلات التي ترش عليه الماء، أو قل تضغط عليه بقوة الماء، دخل تحت آلات تضغط عليه بقوة الحديد، وهو يتمدد حتى يصل قرب نهاية المطاف، إلى أن يتضاعف اتساعه الذي كان عليه عندما خرج من المصنع مرات عديدة، وفي نهاية المطاف يصبح رقائق من الحديد الذي يستعمل في صناعة هياكل السيارات ونحوها.

كل ذلك بطريقة آلية، وقد شاهدنا أتحد هذه القضبان الحديدية التي تتوهج، يتوقف فوق بعض البكرات ولا يبرح مكانه، فأخذتنا الحيرة في كيفية معالجة أمره، إذْ هو كتلة ضخمة من الحديد الأحمر الذي وصلتنا حرارته على بعد شديد، فكيف يدنو منه العامل، وإذا بأمر من العامل المشرف الذي كان يجلس داخل غرفة مكيفة الهواء فوق أفران صهر الحديد يرقب العملية، إذا به يصدر أمراً آلياً إلى عمود ضخم من

الحديد كان يقف في ناحية من المصنع رهن الإشارة، وإذا بذلك العمود الضخم يتقدم مزمجراً سائراً فوق تلك البكرات، حتى يصل إلى تلك الكتلة الحديدية الضخمة، فيصدمها صدمة تعيد إليها رشدها، إذْ تدفعها دفعة قوية تجبرها على أن تسير في طريقها المرسوم.

وعند ذلك تبادر إلى ذهني عظمة المعنى المراد في هذه الآية ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ٥]، وقد خرجنا من هذا المصهر الضخم، ونحن نكبر القائمين عليه كلهم من مخترعين ومؤسسين ومن إداريين، حافظوا على سير العمل فيه، وعلى استمراره وصيانته، بل وتحسينه، وسألت نفسي: ماذا يحدث لو كان هذا العمل الضخم عند أحد البلدان المتخلفة في الإدارة؟

ووجدتني أجيب: بأنه سوف يفسد بلا شك.

وعندما كنت في السيارة تذكرت قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠]. فهؤلاء القوم أحسنوا العمل لأمورهم المادية، فأعطاهم الله جزاء حسناً على ذلك عائدة مادية، وهم لتلك العائدة بل الجائزة مستحقون، ولو كانوا أحسنوا العمل لأمور آخر تهم كما أحسنوه لأمور دنياهم لكانت لهم الحسنيان، أو قل لكانت لهم حسنة الدنيا وحسنة الآخرة، ولكننا نحن - المسلمين المعاصرين - لم نحسن العمل كما ينبغي أن يكون عليه إحسان العمل لأمور الدنيا، فكان جزاؤنا على ذلك أن أصبحنا عالة على هؤلاء القوم وأمثالهم، نستجديهم السلاح بالأموال الطائلة، فيمنون علينا إذ يبيعونا بنقودنا شيئاً منه، ويمنعونا ما نكون بحاجة أكثر إليه، بل لا يقتصرون على ذلك، وإنما يعطون أعداءنا

ما يمنعوننا منه ليستمرْ أعداؤنا في تفوقهم علينا، ولنستمر في ضعفنا المادي، مع أن كثيراً من المواد الأساسية في الصناعة موجودة في بلادنا، ومع أن ديننا يأمرنا بالاستعداد والعمل لقهر الأعداء، كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

من ديترويت إلى بلومنقتن:

كان من المقرر أن نسافر بالطائرة من مدينة ديترويت إلى مدينة أنديانا بولس عاصمة ولاية أنديانا، ثم منها إلى (بلومنقتن) في الولاية نفسها، وهي التي سيقام فيها مؤتمر اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا الذي جئنا له، ولكن أخانا فوزي مرعي رئيس لجنة المركز الإسلامي في ديترويت عرض علينا أن نصحبه في سفره إلى هناك، لأنه سيحضر المؤتمر، وقال: إن ذهابنا معه في سيارته سيزيد سروره، وإنه سيكون فرصة لكي نتحدث عن الأوضاع الإسلامية في هذه المنطقة من الولايات المتحدة الأمريكية، وأن المسافة لن تزيد على سبع ساعات حسبما ذكر له من ساروا على هذا الطريق، أما هو نفسه، فإنه لم يسبق له أن سافر معه، فرحبنا بالفكرة التي ستتيح لنا ما ذكره، مع الاطلاع على معالم الطريق الذي سيكون أكثره في الليل، إلا أن الأنوار فيه، والاستراحات خلاله متوفرة في أكثر أماكنه.

وهكذا تركنا مدينة ديترويت عاصمة صناعة السيارات في العالم، وأكبر مدينة في ولاية مشيقن، قاصدين بلدة (بلومنقتن) في ولاية أنديانا عبر مدينة أنديانا بولس عاصمة ولاية أنديانا. وذلك في الساعة الثامنة مساءً، أي قبل غروب الشمس بساعة كاملة.

سارت السيارة مع طريق عريض سهل مخطط، حافل بإشارات السير

وإرشاداته، وبالدلالة على مواضع المدن والقرى، وبيان الطرق المتفرعة، وأرقام المخارج من الطريق، فكل مخرج له رقم معين، حتى إذا كنت قاصداً جهة ما، سيكون عليك أن تخرج إليها من هذا الطريق، فما عليك إلا أن تحفظ رقم المخرج، فإذا حاذيته خرجت منه، وقبل الخروج منه تجد إشارات تخبرك بأنك على وشك الوصول إليه، حتى لا تضيع وقتاً في تهدئة سيارتك، والحد من السرعة استعداداً لذلك.

وكذلك الحال بالنسبة إلى الطرق الإسفلتية، فكل طريق له رقم معين، موضح في خارطة عامة، وفي خارطات مفصلة، وما عليك إلا أن تعرف رقم الطريق على الخريطة، فتجده على الطبيعة، وتجد ما تريد من الأماكن عليه.

ومن أعظم ما فيه أن هذا الطريق على امتداده لا تعترضه طرق أو إشارة ضوئية، تضطر السائر إلى الوقوف عندها، وإنما قامت الجسور المعترضة الكثيرة المتقنة مقام الإشارة الضوئية، فكنا نسير تحت جسور كثيرة، لذلك لم نضطر إلى الوقوف لتمر السيارات التي تأتي من جهة إلى جهة جانبية أخرى، حتى إذا أردت أنت نفسك أن تعود أدراجك مع طريقك الذي كنت تسير عليه، فإنك لا بد أن تبحث لك عن مخرج يؤدي بك إلى طريق يركب أحد الجسور المعترضة، حتى يصل بك الاتجاه الذي تريده.

ابن السبيل في أمريكا وفي بلاد العرب:

لا أدري أيصح أن نسمي من يسلك هذه الطريق في الولايات المتحدة الأمريكية بابن السبيل، وإذا كان ذلك لا يصح فمن هو ابن السبيل فيها؟

الواقع أن ابن السبيل هو المسافر، ومن يسير على هذا الطريق وأمثاله هو مسافر، فهو إذاً من أبناء السبيل، ولو كان راكباً سيارة حديثة من

أحدث ما أخرجته المصانع الأمريكية، وتفننت في توفير وسائل الراحة فيه، ومع ذلك فإنه سيجد بين كل فينة وأخرى في طريقه مكاناً كتب عليه (رست روم)، أي: غرف الراحة، وهذه مجانية، أي بدون أية تكلفة، وإنما وفرتها حكومة الولاية لمن يمرون من المسافرين على طرقها، ففي هذه الأماكن المريحة يوجد ماء بارد للشرب، ينبع من الآلة بمجرد الضغط عليها ضغطاً خفيفاً، كما توجد أماكن لقضاء الحاجة، وخارطة للطرق المحيطة بالمنطقة، وهناك حديقة حول هذه الأماكن، فيها أماكن الجلوس على العشب الأخضر، مزودة بطاولات للأكل، وأماكن لوضع الفحم وشيء اللحم عليها إذا ما اشتهيت اللحم المشوي، وفي كل مكان من تلك الأمكنة هاتف عام يعمل بوضع قطعة من النقود فيه.

وقد توقفنا في أحد هذه الأماكن، ثم وقفنا في مطعم في أثناء الطريق، فوجدناه لا يختلف من حيث النظافة عن المطاعم في المدن الكبيرة، بل ربما كان أكثر منها نظافة، وأرقى أثاثاً، فتعشينا فيه واسترحنا بعض الوقت، وكنا قد أخرنا صلاة الجمع، فصليناها بعد ذلك بعد أن تعبنا من السير، فكانت استراحة للصلاة وبالصلاة في أحد أماكن الراحة التي ذكرتها على قارعة الطريق.

تلك حالة عابر السبيل أو ابن السبيل في الولايات المتحدة الأمريكية، فما هي حالته في البلدان المتخلفة في الهند مثلاً، أو في بعض البلدان العربية؟

لا أجدني هنا بحاجة للشرح وقد ذكرت شيأ من ذلك في رحلتي إلى الهند، أما بالنسبة إلى بعض البلدان العربية، فإنني أذكر مثلاً مخجلاً على حالة ابن السبيل، وهو أنه لا يجد في الأماكن التي قد يتوقف فيها للراحة حتى مكاناً لقضاء الحاجة، فيضطر بعض الناس إلى أن يفعل ذلك في مكان مكشوف، أو خلف جدار، أو في مكان منخفض يكون هو

قاذورة من القاذورات والعياذ بالله، وماذا يفعل الشخص الذي تكون معه أسرته في مثل تلك الطريق، هذا إلى جانب أن الشمس لدينا تكون في الصيف حارة، بل محرقة، والناس يحتاجون إلى شرب الماء النقي البارد، ولكنك تجد الماء في أكثر المواقف في البلدان العربية يجمع في أوانٍ كبيرة مثل البراميل، بعضها قذر، وقد يكون قد علاه الصدأ، هذا مع أننا نحن الذين يأمرنا ديننا بالعناية بابن السبيل، حتى جعله أحد الذين تصرف إليهم الزكاة المفروضة، ولكن المتأخرين منا أضاعوا هذه الأخلاق النفيسة، فضاعوا وتاهوا في أذيال الأمم التي سبقتهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

لنعد إلى ما كنا عليه من الحديث، ولنقل إننا واصلنا السير حتى الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل عندما بدت لنا مشارف مدينة (أنديانا بولس) عاصمة ولاية أنديانا، وكان المفروض أن نأخذ الطريق إلى (بلومنقتن) مقر المؤتمر، إلا أننا ضعنا في شوارعها، مع أنها كلها مرقمة ومليئة بالإرشادات، واحتجنا أن نسأل شخصاً، ولكن لم نجد أي شخص ماشياً على قدميه، وإنما كان الناس على قلتهم يمرون بسياراتهم مسرعين، وقال الأستاذ فوزي: إن أصحاب السيارات لن يقفوا لنا إذا طلبنا منهم الوقوف، لأنهم يخافون على أنفسهم بسبب عدم توفر الأمن الموجود في البلاد العربية، إذاً ما العمل؟

لقد هدانا تفكيرنا إلى شراء بعض الوقود للسيارة، حتى يكون ذلك وسيلة للحصول من صاحب المحطة على المعلومات المطلوبة.

يحبس نفسه في قفص من الزجاج:

وقد وجدنا المحطة، ولكن صاحبها كان جالساً في قفص شبيه بالذي يقف فيه الشرطي، ولكنه من الزجاج، وطلب منا الأخ فوزي ألا ننزل من السيارة، لأن نزول أكثر من شخص واحد في هذه البلاد مما

يخيف، فنزل بمفرده، وأراد أن يتكلم مع صاحب المحطة، ولكن هذا أشار إليه من خلف الزجاج أن يتولى هو بنفسه صب المقدار الذي يريده من البنزين، ففعل ذلك، أما النقود فقد ذهب إلى الرجل الذي حبس نفسه في هذه الغرفة الزجاجية الصغيرة ومنها كان يراقب المحطة، ويقرأ ما أخذ من الوقود، فلم يكلمه إنما أشار إليه أن يضع النقود في مكان أمامه، ثم جذبها إليه، ولم يستطع الاتصال به، وهذا الرجل يفعل ذلك مع كل الناس الذين يأتون إليه في هذا الوقت من الليل، والسبب في ذلك هو خوفه من اللصوص والمعتدين، أما الزجاج الذي يحيط به فهو من الزجاج الذي لا يخترقه الرصاص، وفي هذا الصدد قد يتبادر إلى الذهن سؤال عما إذا أقدم بعض الناس على أخذ الوقود من المحطة، وعدم تسليم المبلغ إلى الرجل، فكيف يصنع، وهو في ملجئه الزجاجي؟

والجواب: أن في المحطة آلة للتصوير، مفتاحها بيد الرجل، فإذا ما سرق أحدهم من الوقود شيئاً، وأراد الانصراف صوره، واتصل بالشرطة فلا يستطيع أن يفلت.

وقد رأينا بعض الشرطة بالفعل قرب المحطة، وأحدهم كان معه في السيارة كلب الشرطة يحميه من اللصوص، أو قل يساعده على ذلك، وسألونا عما نريد فأخبرناهم، فوصفوا الطريق وقالوا: إن الشارع رقم (٣٧) يوصل إلى بلومنقتن، فعليكم أن تدخلوه ولا تخرجوا منه حتى تصلوها، وهي على بعد ٥٢ ميلاً، أي نحو ٨٣ كيلومتراً، ولكننا ضللنا الطريق، لأنه ذو اتجاهين في مدينة أنديانا، فهناك رقم ٣٧ شمالاً ورقم ٣٧ جنوباً، ولبثنا مدة نبحث عن الاتجاه الصحيح حتى وجدناه.

وواصلنا السير وكان النعاس والتعب قد بلغ منا مبلغه، إلا أن صديقنا وسائقنا الأستاذ فوزي مرعي قد أوتي صبراً عجيباً على طول قيادة السيارة، وقوة مقاومته للنعاس، وما كادت الشمس تطل على هذا الجزء

من الأرض الأمريكية حتى كنا قد وصلنا مقر المؤتمر.

بلدة بلومنقتن:

ووجدنا أخانا الكريم الدكتور هشام الطالب في استقبال الوفود في هذه الساعة المبكرة، فأفضل وأنزلنا في فندق تابع للجامعة اسمه (نيون موميرال هوتل) أي: الفندق التذكاري للاتحاد، وهو في مستوى الدرجة الأولى في كل شيء.

وبلدة بلومنقتن ليست كبيرة، وإنما اشتهرت بجامعتها التي هي جامعة أنديانا، وقال لي أحد الإخوان: إن الذين يدرسون ويعملون في هذه الجامعة يبلغ عددهم حوالي ٣٠ ألف شخص، وبقية السكان لا يتجاوز عددهم خمسة عشر ألفاً.

هذه هي المرة الثانية التي أزور فيها هذه البلدة (بلومنقتن)، وهي بلدة صغيرة إلا أنها جميلة، والجامعة تشغل حيزاً كبيراً، بل تكاد تكون بلدة قائمة بذاتها، وفيها مساكن للطلاب من ذكور وإناث ومن متزوجين وأيامى، ومن موظفين ومستخدمين.

وفي هذه البلدة كل ما في المدن الكبيرة مما يحتاج إليها ساكنها، أو أكثر ذلك، مثل أسواق البيع والشراء العامة التي تسمى (سوبر ماركت)، وهنا رأيت مكتوباً عليها (كي مارت).

يوم الجمعة ٩/ ٦/ ١٣٩٧هـ الموافق ٢٧/ ٥/ ١٩٧٧م

افتتاح مؤتمر اتحاد الطلبة المسلمين:

كان أول عمل في المؤتمر هو إقامة صلاة الجمعة في قاعة تابعة للجامعة، قد استأجرها إخواننا من أعضاء الاتحاد لتكون كذلك، وهي قاعة كبيرة ضمت المصلين من الرجال، خلفهم المصليات من النساء، وكانت في القاعة بعض الصور الفنية، وبعض الصور ذات المعنى، مثل صورة رسموها للمسيح عليه السلام فقام على الجميع إخواننا وألصقوا عليها أوراقاً كبيرة قابلة للإزالة.

وكان خطيب الجمعة السيد خو رشيد أحمد رئيس جمعية البعثة الإسلامية في مدينة ليز بإنكلترا، وهو من أصل هندي، وذو نشاط في الدعوة، وكانت خطبته بالإنكليزية كلها، إذْ كان بعض الحاضرين لا يفهم العربية، بخلاف الإنكليزية التي يفهمها الجميع، لأنهم ما بين طالب ومقيم في الولايات المتحدة الأمريكية، وكلهم يفهمها بطبيعة الحال، وقد أطال الخطبة، وتناول فيها أموراً، من أهمها شرح بعض الواجبات الإسلامية، ثم وجوب أن يقترن القول بالعمل، ثم صلى الناس صلاة الجمعة.

وعندما انقضت الصلاة أعلنت فترة استراحة لمدة نصف ساعة، ثم بدأت الجلسة الافتتاحية في ركن من القاعة ذي كراسٍ، وكان افتتاحها بعد تلاوة من القرآن الكريم بكلمة للرئيس يعقوب ميرزا؛ رئيس اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا، ألقاها بالإنكليزية، ثم ألقى أحد الإخوان كلمة شرح للبرنامج الذي سيسير عليه المؤتمر.

ثم أخذ الرئيس يتلو أسماء الذين وفدوا من خارج الولايات المتحدة الأمريكية إلى هذا المؤتمر، فكان يعرفهم بذكر أسمائهم ووظائفهم،

ويقوم كل شخص ذكر اسمه، فيشير بالسلام على الحاضرين وهو واقف.

ثم أعلن أنه ستكون هناك استراحة لمدة نصف ساعة، تعقبها محاضرة، ثم صلاة العصر، ثم تكون هناك محاضرة ومناقشة، ثم طعام العشاء ... إلخ البرنامج.

طعام العشاء:

كان اتحاد الطلبة قد اتفق مع مطعم الجامعة المذكورة على إعداد طعام للضيوف، مؤلف من صنف واحد، يأخذ كل شخص بطاقة من الاتحاد يتمكن بها من أن يتناول الوجبات الغذائية كلها مجاناً إذا كان من المدعوين، وبأسعار مخفضة إذا كان من أعضاء اتحاد الطلبة.

أما نحن فإننا في فندق قد حجزوا فيه غرفاً لمن أسموهم كبار الضيوف، وجعلونا منهم جزاهم الله خيراً، وكنا نأكل من المطعم الذي فيه، وهو أمر لا يتيسر لبقية الحاضرين للمؤتمر، إلا إنهم رغبوا في هذا العشاء بالذات أن يأكل الجميع في ذلك المطعم الذي اتفقوا معه، حتى تكون هذه فرصة إضافية للتعارف خارج قاعات المحاضرات والاجتماعات العامة.

وقد صدعنا بالأمر وذهبنا، فكان هناك طابور محبب إلى النفس، إذ استوى في الوقوف فيه الكبير والصغير من المسلمين الحاضرين، ممن كان كبير القدر أو كبير السن، وممن كان صغير القدر عند الناس أو كان صغير السن، ومن الرجال والنساء، ومن الأغنياء والفقراء، كما كان الطعام للجميع متساوي القدر، متماثل الأطباق، وقد جمعت القاعة الكبيرة التي تناولوا فيها الطعام أولئك جميعاً، فكانت فرصة عظيمة الفائدة لإخواننا المسلمين في الولايات المتحدة الذين كانوا يعيشون متفرقين

منعزلين بعضهم عن بعض في مختلف أنحاء البلاد، وذلك بأن أتيح للشخص فيهم ولأسرته أن يشعروا برابطة الإسلام بينهم، وأن يشعر أفراد أسرهم بأنهم أجزاء في مجموع إسلامي كلي، أو قل إنهم أعضاء في أسرة إسلامية واحدة، فكانت النسوة من المسلمات يتعرفن على أخواتهن المسلمات، ومعهن أطفالهن وأولادهن الصغار، وكان الرجال يجتمعون مع الرجال في جو تسوده روح الأخوة الإسلامية، وكان النظام رغم كثرة الحاضرين مستتباً، وقد سألني أحد الإخوان من المسؤولين عن الاتحاد في هذا الاجتماع وما عليه ومن المآخذ؟ فأجبته بأنكم مشكورون مأجورون من الله إن شاء الله، لأن مجرد القيام على إدارة مثل هذا الاجتماع أمر يحتاج إلى مجهود عظيم، وهذا قد وفقكم الله إلى القيام به قياماً لا يبلغه جهد من كان خلفه حكومة تنفق عليه، ولو كانت تعطيه وأمثاله من الرواتب والإمكانات أضعاف ما تصرفون أنتم عليه.

يوم السبت ١٠/ ٦/ ١٣٩٧هـ الموافق ٢٨/ ٥/ ١٩٧٧م

استأنف المؤتمر أعماله بإلقاء المحاضرات العامة في الموضوع الوحيد الذي خصصه القائمون على المعهد ليكون موضوع البحث فيه، وهو ((البعث الإسلامي))، وقد يسميه بعضهم النشأة الإسلامية الثانية، أو النهضة الإسلامية، وكانت اللغة الرئيسية هي الإنكليزية، وقد أحضروا أجهزة لاسلكية صغيرة تساعد على الترجمة إلى العربية، فهي تلتقط ترجمة على قناة خاصة ضمن مساحة معينة من قاعة المحاضرات لا تتعداها إلى غيرها، وكانت الترجمة الوحيدة هي إلى اللغة العربية للعرب الذين لا يفهمون الإنكليزية فهماً يمكنهم من متابعة المحاضرات فيها.

وقد كان النقاش حامياً في بعض الأحيان مع المحاضرين، إذ تعرض بعض المستمعين في نقاشه إلى سياسة الحكومات في البلدان العربية والإسلامية، وإلى موضوع الحكم والملكية في الإسلام، فتكلم مدير جلسات المؤتمر، وقال: نحن هنا لم نأت لنصنف سياسات الحكومات القائمة، ولا لكي نقول إن بعضها خاطئ وبعضها مصيب، ولنا صداقات مع كثير منها، وإنما قصدنا هنا أن نرسم كيف يكون البعث الإسلامي، وكلامنا هذا منطلق من عدم تأثير أحد علينا، فنحن هنا لا سلطان علينا إلا سلطان الحق، ونحن نتمتع بحرية لا نتمتع بها في بلادنا.

وكانت المناقشات تترجم من العربية إلى الإنكليزية وبالعكس، مما حدا بهم إلى أن يجعلوا بعض المحاضرات بعد الظهر قسمين: أحدهما باللغة العربية، والآخر بالإنكليزية، وكان المحاضر اليوم بالعربية هو الشيخ أبو الحسن الندوي، والمحاضر بالإنكليزية هو الشيخ خورشيد أحمد، باكستاني الأصل وبريطاني الجنسية، وكلاهما في قاعة منفصلة بطبيعة الحال.

وتناولت محاضرة الشيخ أبي الحسن الندوي الموضوع الأساس في المؤتمر، وهو موضوع البعث الإسلامي، وقد انهالت الأسئلة عليه بعد المحاضرة، ومن موضوعاتها موضوع تعدد الزوجات في الإسلام، وموضوع قضية فلسطين أهي قضية عربية أم إسلامية؟ فقال الشيخ:

الأولى: إن تعدد الزوجات مسألة قد هوّل فيها الغربيون، وأعطوها أكثر مما تستحق، وإلا فالإسلام أباح التعدد، ولكنه لم يحث عليه، والمسلمون اليوم أكثرهم لا يعمل به، فاعترض أحد الحاضرين وقال: الأصل إباحة التعدد، والاقتصار على واحدة هو لخوف عدم العدل، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾.

وقال الشيخ أبو الحسن فيما يتعلق بقضية فلسطين: إنها قضية عربية بالدرجة الأولى، ولن يكون لها حل إلا إذا تضافرت جهود العرب على ذلك.

العرب يزيدون:

كنت قد حضرت مثل هذا المؤتمر في العام نفسه، وقد لاحظت هذا العام زيادة في عدد الحاضرين من العرب، كما لاحظت زيادة في عدد الحاضرين من السعوديين، وقد تجلت زيادة العرب في محاضرة الشيخ أبي الحسن الندوي التي اقتصرت على من يعرفون العربية، فكانوا كثرة كادت القاعة الكبرى لجامعة أنديانا تضيق بهم على سعتها.

ويذكر بهذه المناسبة أن الشكوى كانت منذ سنوات كثيرة من كون الطلبة العرب أقل من الطلبة الآخرين القادمين من البلدان الإسلامية

مثل باكستان والهند نشاطاً في العمل الإسلامي، إلا أنها ولله الحمد أخذت تقل الآن.

كما أن مما يجدر ذكره أن اتحاد الطلبة المسلمين يعقد اجتماعاته في مباني جامعة أنديانا هذه عن طريق الإيجار، فكل شيء له أجرة معينة، فالقاعة الكبرى هذه تؤجر بالساعة، وكذلك القاعة الكبيرة التي أقيمت فيها صلاة الجمعة، وتقام فيها الصلوات الخمس أثناء المؤتمر، قد استأجرها اتحاد الطلبة بالساعة أيضاً.

هذا وقد لاحظت أن الحضور اليوم هم أكثر بكثير من الذين حضروا أمس، وذلك بسبب بدء العطلة الأسبوعية.

وكان الحاضرون مختلطين من جميع الأجناس، من سود أمريكيين إلى هنود سمر، إلى عرب بيض وغير بيض، إلى أمريكيين بيض، وكان مظهر اجتماعهم بعائلاتهم مظهراً مؤثراً، إذْ ترى بعضهم يتعرف على بعض، وتراهم يؤكدون التعارف داخل نطاق الاجتماعات الرسمية وخارجها، وقد كان البرنامج اليومي للاتحاد حافلاً، سأذكر هنا نصه لهذا اليوم، ليقاس عليه غيره:

١- في الساعة الخامسة: فجراً إقامة صلاة الفجر جماعة.

٢- في الساعة الخامسة والربع: درس قرآني، يلقيه الدكتور عبد الحميد دوكر.

٣- من الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والأربعين إلى الساعة السابعة: وقت حر.

٤- في الساعة السابعة: تناول طعام الإفطار.

٥- في الساعة الثامنة والنصف: محاضرة للدكتور إسماعيل الفاروقي

حول النهضة الإسلامية.

٦- في الساعة التاسعة: مناقشة حول موضوع المحاضرة، بدأها الأخ زين العابدين.

٧- في الساعة التاسعة والنصف: حصة العمل الإسلامي للأخوات، تنظمها جمعية النساء في اتحاد الطلبة المسلمين في قاعة أخرى غير القاعة العامة.

٨- من الساعة الحادية عشرة والنصف إلى الواحدة: فترة تناول الغداء.

٩- في الساعة الواحدة والنصف إقامة صلاة الظهر جماعة.

١٠- في الساعة الثانية ظهراً محاضرة بعنوان ((إستراتيجية الحركة الإسلامية في الهند)) للأستاذ فريدي، يدير الجلسة الأخ عبد الصمد باتل.

١١- في الساعة الثالثة والنصف إلى الخامسة ((إستراتيجية الحركة الإسلامية في أمريكا))، ويشتمل على فقرتين إحداهما: الإقناع في الدعوة الإسلامية، للحاج مالك شاه باز، ورشيد حامد. والأخرى: القاعدة الإسلامية (Role of Islamic coordination) للدكتور التيجاني أبو جديري، ونموذج السيد قطب للأخ عبد الحكيم محمد، يديرها عزت جرادات.

١٢- في الساعة الخامسة والربع: إقامة صلاة العصر جماعة.

١٣- في الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين إلى السادسة والخامسة والأربعين: فترة تناول العشاء.

١٤- من الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والأربعين إلى الثامنة وعشر دقائق: (وقت حر).

١٥- في الساعة الثامنة وعشر دقائق مساءً: إقامة صلاة المغرب جماعة.

١٦- ((التقدم نحو البعث الإسلامي)) طريقة أبي الأعلى المودودي للأستاذ خورشيد أحمد، يدير هذه الجلسة ومناقشتها الأخ منذر قحف.

١٧- من الساعة التاسعة والدقيقة الثلاثين إلى العاشرة والثلاثين: أسئلة وأجوبة حول الموضوع المذكور أعلاه.

١٨- في الساعة العاشرة والأربعين دقيقة: إقامة صلاة العشاء جماعة.

وقد كانت فرصة ثمينة لنا بالذات، إذْ أتيح لنا أن نجتمع بعدد كبير من قادة العمل الإسلامي في أمريكا الذين حضروا المؤتمر، وكذلك تعرفنا على عدد من الشباب ذوي الاتجاه الإسلامي، وكان من بين ذلك أن جمعنا بعض المسلمين الذين كان بينهم خلاف في الرأي جعلهم يتقاطعون، فاصطلحوا بعد أن جلسنا معهم إلى ما بعد منتصف الليل.

يوم الأحد ١١/ ٦/ ١٣٩٧هـ الموافق ٢٩/ ٥/ ١٩٧٧م.

هذا هو اليوم الثالث من أيام المؤتمر الذي من المقرر أن يستمر لمدة ثلاثة أيام ونصف، ولكننا لن نمضي فيه حتى آخر لحظة، وذلك بسبب الأعمال الكثيرة التي تنتظرنا في الولايات المتحدة، لذلك قررنا أن نسافر ظهر اليوم، فأستاذنا من إخواننا المسؤولين عن المؤتمر فأذنوا لنا، فحضرنا المحاضرات والمناقشات التي جرت صباح هذا اليوم وضحاه.

إلى توليدو:

كان إخواننا المسلمون في مدينة توليدو في ولاية (أوهايو) قد رغبوا إلينا أن نزورهم، وكان المتحدث باسمهم الشيخ علاء الدين خروفه، وهو من علماء العراق، وكان قاضي بغداد في السابق، ويعمل الآن مديراً للمركز الإسلامي في توليدو، وكانت فرصة سانحة أن نمر بهم في طريق العودة إلى ديترويت التي كان لنا إليها عودة تتعلق بالمركز الإسلامي فيها، فغادرنا الفندق الجميل (مموريال يونيون هوتيل) في مدينة بلومنقتن قاصدين مدينة توليدو، وكان ركوبي بسيارة أخينا العالم الجليل علاء الدين خروفة الذي كان قد حضر إلى بلومنقتن، واشترك في مؤتمر اتحاد الطلبة المسلمين، وقد أخبرونا قبل ذلك أن المسافة إلى توليدو ستكون خمس ساعات، وأننا إذا سرنا في الساعة الثانية عشرة واسترحنا لمدة ساعة فإننا نصل في السادسة مساءً، إلا أن الأمر لم يتحقق على هذا النحو.

وبعد أن قطعنا ستين ميلاً من السير خرجنا من الطريق العام، أو (الهاي وي) كما يسمونه، إلى منطقة كتب عليها (رست إيريا) أي: منطقة الاستراحة، وفي هذه المنطقة يجد المرء الطعام، أي: مطاعم، ويجد الوقود لسيارته وهي موجودة على هذا النحو أو مثله في أكثر طرق الولايات المتحدة وإذا لم يرد المرء أن يدخل مطعماً فإنه يستطيع أن يشتري الوقود

لسيارته، وأن يجد في المحطة التي تبيعه الوقود دورة مياه، ومشروبات باردة وحارة، وساندوش، وشاي، ومكسرات، كل ذلك يحصل عليه بطريقة آلية دون أن يحتاج إلى أن يكلم أحداً، إذْ يجد مستودعات من الآلة التي كتب عليها كل شيء يتعلق بذلك، وفيها ثقب للنقود التي يجب عليه أن يضعها في الخانة التي يريد أن يأتي إليه منها ما يشربه أو يأكله.

وكان المطعم جميلاً سريع الخدمة ويكفي أن تعلم أننا ستة أشخاص طلبنا شرائح من لحم البقر المشوي ومن السمك فوقف على خدمتنا ثلاث فتيات ما أسرع من ما أنهين عملهن.

وكان المنظر الذي جذب انتباه العاملين في الفندق والآكلين فيه هو منظرنا ونحن نؤدي صلاتي الظهر والعصر جمعاً، إذْ لم يكن هناك مكان آخر تؤدى فيه، والمطر كان يهطل، فأخلوا لنا ركناً من قاعة في المطعم، وكان فيه ثلاث قاعات شبه منفصلة، وربما كان ذلك لكونهم لم يشاهدوا من قبل مسلماً يؤدي الصلاة في هذا المكان بالذات.

قلت: إن المطر يهطل، وهذا يجرنا إلى الحديث عن الطقس، فقد كان معتدلاً منذ أن وصلنا إلى الولايات المتحدة، بل كان إلى الحرارة أقرب، وكانت الشمس ساطعة والسماء خالية من الغيوم، وقد خرجنا من بلومنقتن وهو كذلك، إلا أنه سرعان ما اغبر الجو من غير غبار، إذ الأرض كلها خضراء، وهي حديثة عهد بشتاء بارد مثلج، ولكن الجو اغبر بالبخار، ثم سرعان ما تكاثفت السحب ونزل المطر، فبرد الجو، وتغير، وقال لنا رفقاؤنا في السفر: إن الجو هنا في هذه الولاية متقلب، غريب الأطوار، ويكفي أن نتذكر أنه في الشتاء الماضي مات عدد من الناس في هذه المناطق متجمدين من البرد.

هذا وقد أخبرنا رفقاؤنا في الرحلة أننا سنمر في ولاية أوهايو على

بلدة المستر آرمسترونج؛ أول إنسان وطأت قدمه سطح القمر، وأنه أقيم فيها متحف يضم جملة من أدوات الفضاء ومناظر من القمر، مكافأة له على ذلك، وأنه يمكننا رؤيته، ولكننا لم نستطع الوقوف عندما مررنا به، لأننا مستعجلون في الوصول إلى توليدو.

ولاية أوهايو:

نحن الآن متجهون للخروج من ولاية أنديانا والدخول إلى ولاية أوهايو، وتوقعت أن أرى على حدود الولاية مثل ما رأيته في الهند من حواجز جمركية أو ما أشبه ذلك، ولكنني لم أجد إلا لافتة كبيرة على قوس النصر كتب عليها ((مرحباً بكم في أوهايو))، وبعدها لافتة أخرى ((أوهايو ترحب بكم، قُدْ سيارتك بسلام)).

ولم تختلف المناظر بين أطراف الولايتين بطبيعة الحال، وكلها كانت مناظر خضراء كثيفة الخضرة، ذلك بأن هذه المنطقة من المناطق المثلجة، وقد صَحَت بعد شتاء قارس البرد طويل، فاخضرت كلها، إلا أن معظم الخضرة كانت أعشاباً برية، ما عدا الحقول التي رأيناها قد زرعت قمحاً.

والعجيب أن المرء لا يكاد يرى ماشياً على هذه الطرق في الولايات المتحدة، فما رأيت شخصاً ماشياً على الأرض مطلقاً، حتى في القرى التي نمر بها، لأنهم لا يسمحون بالبناء، ولا بإقامة محطات الوقود والمطاعم على قارعة الطريق، وإنما يلزمون أربابها بأن يبنوها على بعد مناسب منها، فكأنك في وسط العمران تسير وسط بلاد مهجورة، لولا السيارات التي لم تكن كثافتها شديدة على هذا الطريق، إلا ما ترى من ذلك على شيء من البعد.

وتلك الطرق تعتبر بحق معجزة العصر، وهي في الولايات المتحدة تكاد تكون لا مثيل لها في العالم، أما الجسور على الطريق فهي ما لا يستطيع كثير من البلدان أن يعمل مثله في داخل المدن، وتتوفر في كل هذه الطرق أماكن الراحة والخدمات، وإن لم تكن ملاصقة لها، وتتوفر فيها أيضاً خدمات الشرطة، فلم نكد نفارق سياراتهم إما سائرة على الطريق تراقب سرعة السيارات العابرة لئلا تتجاوز السرعة المسموح بها، وحدها الأعلى على هذا الطريق ٥٥ ميلاً، أو تقف على مفارق بعض الطرق مستعدة للطوارئ، وذلك تطميناً للمسافرين، ومنعاً للحوادث، وبسبب كثرة الجرائم في الولايات المتحدة التي ربما تحدثت عن سببها في نظري فيما بعد.

وقد استرحنا بعد أن مرت فترة أيضاً في مكان للراحة قد أعدته حكومة الولاية، فيه أماكن قضاء الحاجة، وكراسي الاستراحة والجلوس، إلى جانب ماء للشرب يخرج من الأرض بوساطة مضخة يدوية، فيشربه المرء بارداً نقياً، وإن كان في عذوبته دون عذوبة مياه الأنهار.

ومنذ أن دخلنا ولاية أوهايو ونحن نرى المصانع الكثيرة، وأخبرونا أن منها مصانع إلكترونية، وكانت كثيرة لافتة للنظر، وبعضها نراه على البعد منفرداً ليس حوله شيء من البيوت، فضلاً عن المدن والقرى، وأخبرنا رفقاؤنا أن ذلك هو لمقتضيات السلامة، ولذلك يكون العمال والموظفون في هذه المصانع يسكنون على مسافة بعيدة منها، ولكن أكثرهم لديهم سيارات إن لم يكن كلهم، فلا مشكلة في الانتقال إليها.

مدينة توليدو:

وصلناها في الساعة السابعة و الربع بدلاً من السادسة، وكان هذا مثار تأسف من أخينا الشيخ علاء الدين خروفة، لأنه كان قد أخبر

المسلمين أننا سنصل في السادسة، وقال إنني ألاحظ دائماً أن أعلمهم صدق المواعيد، لئلا يؤخذ عنا أننا لا نصدق في مواعيدنا، ولكن الظاهر أن الخطأ كان في تقدير المسافة، إذْ كان سيرنا متواصلاً ما عدا الاستراحة العادية.

وقد استقبلتنا المدينة بعدد من المصانع، ثم بمينائها على بحيرة مشيقن الذي يعج بالبواخر، كأنه على بحر زخار. وكان أبراج كنيستين من كنائسها ترتفع عالياً، وحزنت إذ لم أر المسجد ذا منارات عالية، وكانت شوارعها منسقة جميلة واسعة إلى حد الإسراف، مع أنه لا يزيد عدد سكانها على ستمائة ألف نسمة.

وقصدنا المسجد الجامع، أو المركز الإسلامي كما يسمونه، فوجدنا في استقبالنا فيه مسلمي تلك المدينة، وعلى رأسهم رئيس جمعية المسجد الأخ حبيب خان، وهو هندي الأصل، أما أكثر المسلمين فهم من العرب الذين أغلبهم من اللبنانيين، وفيهم أقلية من الفلسطينيين، ولم نر أحداً غير أولئك فيهم.

ووجدناهم في الطابق الأسفل من المسجد، وقد اجتمعوا كلهم، معهم نساؤهم وأطفالهم على موائد قد نصبت وعليها الطعام، وبعضها عليه آثار الأكل، فأخبرونا وهم يبدون أسفهم بأن عدداً من المسلمين قد حضروا آملين أن يكون موعد وصولنا في الساعة السادسة، ولكننا عندما تأخرنا تعشوا وانصرفوا، ثم بادرونا بتقديم الطعام وفيه ألوان لبنانية، وكانت النسوة هن اللاتي يتولين الخدمة من تقديم الطعام، إلى الترحيب، إلى خدمة المائدة.

وبعد الانتهاء من هذا العشاء اللذيذ، نهض الشيخ علاء الدين خروفة فأبدى أسفه على التأخير الذي حصل بروحه المرحة، وقال: إننا كنا نزيد

على السرعة المسموح بها، نحاول بذلك أن نصل في الوقت المناسب، وأرجو ألا تبلغوا الشرطة عن ذلك، ثم قدمنا إليهم، وأثنى علينا بما لسنا له بأهل، وبعد انتهاء كلمته ألقى رئيس جمعية المسجد السيد حبيب خان، وهو مهندس ميكانيكي ويعمل تاجراً للسيارات، كلمة قصيرة بالإنكليزية، أعقبتها كلمة بالعربية من الدكتور صالح جبرين، وهو يماني، شرح فيها المشروع الجديد لإنشاء مركز إسلامي جديد على مساحة كبيرة من الأرض، وقال: إننا اشترينا الأرض بالفعل، ثم طلب منا الكلام، فتكلم كل واحد منا الشيخ عبد الله بن منيع وأنا، بكلمة مناسبة ترجمت إلى الإنكليزية، ليفهمها من العرب من لا يحسن العربية، وبخاصة من الزوجات والأولاد من النشء الجديد الذي ولد في الولايات المتحدة الأمريكية، ولم تتيسر له فرصة تعلم اللغة العربية.

ثم كان حديث لطيف مع الرعيل الأول من الشيوخ والعجائز الذين ذكر بعضهم أنه أمضى خمسين سنة في هذه البلاد، وبعضهم أمضى أكثر من ذلك، وهذا هو الجيل الأول، وأكثرهم قليل المعرفة بأمور دينه، لأنه قدم دون أن يكون له في بلاده المعرفة اللازمة، وأكثرهم كان قدومه في حداثة سنه، وعندما وصلوا إلى الولايات المتحدة انقطعت صلتهم بالمعرفة الإسلامية، وليست هذه حالة المسلمين الأوائل في هذه المدينة فقط، بل تكاد تكون كذلك في جميع الولايات.

ومن الأمثلة المحزنة على ذلك أن المهاجرين بنوا مسجد ديترويت، واستمروا يصلون فيه أكثر من عشرين سنة، ولما جاءهم أحد العلماء من البلادالعربية زائراً عابراً، ورآهم يصلون قال: أنتم تصلون إلى البرازيل، وليس إلى القبلة، وسألهم كيف جعلتم القبلة تتجه إلى الجنوب بدلاً من الشرق؟ فقالوا: إننا كنا في بلادنا في لبنان نعرف أن القبلة إلى جهة الجنوب، فلما جئنا إلى هذه البلاد جعلناها جهة الجنوب كذلك، وبعد

لأيٍ، ومساعٍ عديدة تمّ تغيير قبلة المسجد إلى الاتجاه الصحيح.

صلينا المغرب والعشاء جمعاً في هذا المسجد، ومما لفت نظرنا فيه وجود عدد من الكراسي أمام منصة في ركن منه، وقال لنا فضيلة الشيخ علاء الدين خروفة إن بعض المسلمين يأتون لحضور الموعظة، وعليهم ملابسهم الإفرنجية، ويصعب عليهم أن يبقوا فيها جالسين على الأرض فترة طويلة، لذلك أعددنا لهم هذه الكراسي.

ويتألف المسجد من دور أرضي فيه قاعة للاجتماعات، وملحق بها غرفة لإعداد الطعام، وغرف أخرى ثلاث صغيرة، ودورة مياه، ومن الطابق الأعلى الذي هو المسجد، وفيه المسجد نفسه بمحراب عادي، ومنبر لخطبة الجمعة، وغرفة مكتب للمسجد، وعلى المسجد قبة جميلة فوقها هلال بارز، ولكن ليس له منارة.

ويقول المسؤولون عنه إنهم قد اشتروا أرضاً واسعة في منطقة راقية، وأنهم يزمعون أن يقيموا عليها مركزاً يتألف من مسجد جامع عليه منارتان وقبة، وتتبعه مدرسة ثانوية مدنية، ودار للعجزة، ومدرسة لتعليم الأطفال مبادئ اللغة العربية والدين، ومكتبة ومرافق. وذلك لأن المنطقة التي بني عليها هذا المسجد كانت في القديم، أي: منذ ثلاثين سنة عندما أنشئ المسجد تعتبر راقية، أما الآن بعد أن انتقلت أفضلية السكن في المدينة إلى مكان آخر، وانتقل أغلب المسلمين الذين كانوا ساكنين حوله، فإنهم يرون أن ينشئوا مسجداً آخر، يكون أحسن بناء، وأوسع أرضاً.

ويشرف على المسجد جمعية إسلامية لها عدة لجان، منها لجنة النشر، وتصدر كل شهر مجلة تتضمن أخبار المسلمين وما يهمهم من الأمور التي تتعلق بالمسجد ونحوه، ولجنة البناء التي تشرف على أبنية المسجد.

وهناك جمعية السيدات، وترأسها السيدة فاطمة صغير، وهي في الوقت نفسه رئيسة جمعية التبليغ، أي: تبليغ ما ينبغي إيصاله إلى الأعضاء، فمثلاً هي مسؤولة عن إبلاغ ثمان عضوات، وكل عضو من أولئك الثمان مسؤولة عن إبلاغ ثمان أخريات.

وهكذا إذا كان هناك حاجة إلى عقد اجتماع عام غير دوري للمسلمين، فما على إمام المسجد ورئيس الجمعية إلا إبلاغ الرئيسة وحدها.

وإمام المسجد في هذه البلاد هو كل شيء بالنسبة للمسلمين، فهو يؤمهم في الصلاة، ويفتيهم في أمور دينهم، ويعقد الزواج بينهم، ويشرف على تجهيز موتاهم، ويدعو إلى الاجتماعات المهمة، ويحدد مواعيد الصيام والعيدين، وبالجملة: منصبه مهم جداً.

ولكن لم يكن في الإمكان إيجاد الإمام المطلوب لبعض تلك المساجد، فكانت النتيجة أن تولى الإمامة من ليس على شيء من المعرفة، فضلّ وأضلّ، وقد ذكروا لنا أمثلة على ذلك تدمى لها القلوب، وتوضح إلى أي حد بلغ بالمسلمين إهمالهم لأمور دينهم، فهم في مهاجرهم لم يجتهدوا في إيصال مطالبهم الإسلامية إلى المسؤولين في البلدان الإسلامية، والمسؤولون كانوا في الماضي لا يستطيعون الاستجابة لذلك الطلب، وإن استطاعوا فإنهم لا يعملون له.

من تلك الأمثلة ما ذكروه لنا عن إمام في إحدى المدن الكبيرة في الولايات المتحدة، واسمه واسم أبيه والمسجد الذي كان فيه، كل ذلك معروف لنا، وهو حي يرزق، ولن نذكر اسمه لئلا نشهر به في غير حاجة إلى ذلك.

قالوا: حضر إلى هذه البلاد جماعة قليلة من أحد البلدان العربية، فكان منهم شخص له اهتمام بأمور الدين، فاستطاع أن يحث قومه من

المسلمين على التبرع لتأسيس مسجد، يكون مكان الاجتماع لهم للصلاة وغيرها، وهكذا أنشأوا المسجد، ولكنهم جعلوه مكاناً للصلاة ولشيء أخر غير الصلاة، ذلك بأنهم أخذوا يؤجرونه لمن يريد من المسلمين أن يقيم احتفالاً بعرس أو نحوه، فكان يجتمع فيه الشباب من الجنسين، ويقومون بالرقص فيه، ويصحب الرقص موسيقى شرقية، واستمر هذا التقليد معمولاً به عشرات السنين، حتى قدر للملكة العربية السعودية أن ترسل من اتصل بهم من المسلمين، فلما أخبروهم أنه لا يجوز الرقص مع النساء في المسجد، كان جوابهم أنهم يفعلون ذلك بدافع الحاجة، لأنهم بحاجة إلى أن يجمعوا نقوداً للمسجد يعمرونه منها ويفرشونه، وينفقون عليه ما يحتاج إليه من تدفئة في الشتاء وتبريد في الصيف، إلى جانب مصاريف الكهرباء ونحوها، وقال أحد شيوخهم الطاعنين في السن متسائلاً لمن أنكر عليه: أيهما أفضل ؟ إذا أراد أحد المسلمين أن يتزوج وأن يجمع الرجال والنساء للرقص في زواجه أن تستأجر قاعة من مسيحي أو يهودي فتذهب إليه نقود المسلمين، أو إن ندفعها للمسجد !.

ومما يسر له أن مثل هذه الأمور قد محيت من أكثر المساجد في أمريكا في الوقت الحاضر. وقال شيخ آخر كبير من أصل عربي بالحرف الواحد وأنا أسمع: ((صحيح أننا ما نصلي، لكن إحنا مسلمين طيبين)) وقد أفهمناهم جميعاً منزلة الصلاة من الدين، فقالوا: إننا لم نسمع بهذا الكلام من قبل.

وكان الشخص الذي قام على بناء المسجد أقرب القوم إلى فهم الدين، وإن لم يكن يفهم منه ما يكفي، فأخذ يؤمهم حتى مات، ولما توفي كان الذي بعده لا يفهم شيئاً في الدين، فكان مثلاً إذا جهز الميت ألبسه أحسن بدلة عنده، بما في ذلك رباط العنق، وجعله في تابوت عليه غطاء من الحرير، وجعل الناس يمرون عليه ليلقوا عليه النظرة الأخيرة لمدة

يوم أو ثلاثة أيام، وكان يعقد زواج المسلمات بغير المسلمين ظناً منه أن ذلك جائز إلخ من هذه المنكرات.

كل ذلك بدأ ينقرض الآن بسبب اتصال المسلمين من المملكة العربية السعودية وغيرها من البلدان العربية بإخوانهم في هذه البلاد، وتبصيرهم بأمور دينهم بقدر الإمكان، وبسبب جهود بعض المنظمات الإسلامية، مثل جمعية الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا، كما كان لجهود رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة ورئاسة الإفتاء في الرياض أثر مشكور في هذا الميدان، وذلك كله بداية نرجو أن يكون ما يتبعها من عمل جاد أكثر منها نفعاً، وأعم فائدة للإسلام والمسلمين في هذه البلاد.

نعود إلى ذكر المسلمين في مدينة توليدو بولاية أوهايو فنقول: إننا سألناهم عن ذلك فقالوا: إنهم يبلغون نحو أربعمائة أسرة في مدينة توليدو، وإنه يوجد نحو نصف هذا العدد من الأسر في المنطقة التي حول المدينة، وهي خارجة عنها.

العودة إلى ديترويت:

بعد أن انتهت زيارتنا لمدينة توليدو في تمام الساعة التاسعة ليلاً غادرناها بالسيارة إلى مدينة ديترويت، فوصلناها بعد نحو ساعة من السير.

ونزلنا في فندق فيها هو فندق ((حياة رجنسي)) ديترويت، ومعناها: الحياة الصاعدة، وهو فندق فاخر من الدرجة الممتازة التي هي فوق الأولى، ولو أردت وصفه بالتفصيل لأطلت، مع أنه ليس في وصفه ما يجلب لنا فخراً، أو يسبب سروراً.

ومن الغرائب فيه أن مصاعده الستة قد صُممت على شكل

بيضاوي، وهي تتألف كلها من الألمنيوم الأصفر والزجاج، وأبراجها مكشوفة، ليس فيها إلا أعمدة من الحديد ممسكة بها، والراكب في هذه المصاعد يشاهد الناس ويشاهدونه وهو في داخل المصعد، وهي تجري كأنه داخلها معلق في الهواء.

وفيه من الذوق الفني في الأنوار وغيرها الشيء الكثير، من ذلك أنه مكون من ١٢ طابقاً، وفيه ثريا واحدة متصلة بالمصابيح من أعلى الفندق إلى الدور الأرضي في حبات من الأنوار الحمر الصغيرة الجميلة التنسيق.

وهو مفروش كله بالسجاد حتى الحمامات. وهذا أمر يوجد في بعض الفنادق، ولكن الذي يلفت النظر أن سجاد الحمام مساوٍ تماماً لسجاد الغرف والقاعات في النوع الفاخر.

وصنبور الماء في حوض الاستحمام فيه محاط بدرجات معينة، تبين درجة برودة الماء الذي تريده وحرارته، فتدير مقبض الصنبور إلى ما تريد، ثم تفتحه، فيأتيك الماء بدرجة الحرارة التي تريدها.

وأخيراً قد جعلوا على مستوى الدور الأول فيه ما يشبه المحطة في ركن منه لحافلة أي أتوبيس آلي، يحملك منه على أعمدة طويلة إلى المركز التجاري في تلك المنطقة، ودون أن يكون فيه سائق، ويعمل على هذا الخط أتوبيسان؛ أحدهما ذاهب والآخر آيب، يلتقيان عند نقطة معينة من الطريق فيها مسلكان لهما، فيسلك كل واحد منهما واحداً غير الذي يسلكه الآخر، فإذا تجاوز كل واحد منهما صاحبه دخل في الطريق الذي لا يتسع إلا لواحد منهما، وبالطبع لا يصطدمان؛ لأن أحدهما يكون ذاهباً في عكس اتجاه الآخر. وعندما يصل الأتوبيس إلى محطة الوقوف في المركز التجاري أو في فندق ((حياتي رجنسي)) يفتح بابه وباب المحطة التي يدخل منها الناس آلياً.

وقد ركبناه من الفندق إلى المركز التجاري الذي يجمع من أصناف السلع كل ما تحتاج إليه تقريباً، ما عدا الأشياء الكبيرة كالسيارات ونحوها، وذلك في مجموعة من المحلات التجارية في طوابق متعددة، وفي ذوق سليم، حتى نضدت فيه الأزهار، ووضعت فيه النافورات، حتى إنه يشتمل على شلالات صناعية، ماؤها دائم الجريان.

يوم الإثنين ١٢/ ٦/ ١٣٩٧هـ الموافق ٣٠/ ٥/ ١٩٧٧م.

كان لا يزال لنا عمل في مدينة ديترويت، لأن بعض المسلمين كانت بينهم خلافات على من يتولى المسجد منهم، وهي خلافات وصلت إلى حد الترافع في المحاكم، وذلك لأن الذين كانوا يقومون على إدارة شؤون المسجد من المهاجرين الأوائل، استمروا يديرونه بطريقة ليس فيها الفقه اللازم في الدين، بسبب عدم تمكنهم من ذلك، فقام عليهم نفر من المسلمين يريدون منهم أن يتخلوا عن الولاية عليه، وقالوا: إنهم أحياناً يغلقون المسجد ولا يفتحونه للصلوات الخمس، وإنما يكتفون بفتحه يوم الجمعة، وأحياناً لا يفتح حتى يوم الجمعة، فكان أن أغلق المسجد حتى تنتهي القضية، فأغلق مع الأسف حتى صدر حكم القاضي الأمريكي أن تكون ولاية المسجد للأشخاص الذين تنتخبهم الأغلبية في جمعية المسجد، ومن يفوز في الانتخابات فإنه يفعل ما يراه في المسجد. وهكذا أجريت انتخابات جديدة في الجمعية، وفاز فيها معارضو المؤسسين القدماء، واستولوا على المسجد، وأخذوا يفتحونه ويقيمون فيه الصلوات الخمس، حتى أرسلت لهم رئاسة الإفتاء في المملكة العربية السعودية إماماً جامعياً متفرغاً على نفقتها، فعمر المسجد، وكثر المصلون، واستمرت الدروس الدينية فيه، وأصبح بإمكان المسلمين أن يرسلوا أولادهم في وقت مناسب ليحصلوا على شيء من التعليم الإسلامي. ويأمل المسؤولون عن المسجد، وعلى رأسهم الأخ فوزي مرعي أن يتمكنوا من توسعة المسجد في المستقبل، وفي إقامة مدرسة لأولاد المسلمين تعلمهم أمور دينهم في غير أوقات الدراسة في المدارس الحكومية. وقالوا: إن لديهم الآن في صندوق الجمعية للمسجد ثمانية عشر ألف دولار، كما أن جمعية النساء المسلمات للمسجد لديها من المال الذي جمعته لهذا الغرض أربعة وعشرون ألف دولار، هذا إضافة إلى الاشتراك الشهري الذي هو دولاران على كل عضو من أعضاء الجمعية،

وقد كثر عددهم بسبب حملة قام بها المسؤولون الجدد عنه بين العمال المسلمين في المصانع الأمريكية، وبخاصة من عدد كبير من العمال اليمانيين فيها.

إلا إنه لا يزال هناك بعض الشيء في النفوس من جراء هذا الأمر، إذ المسؤولون بالدرجة الأولى من المهاجرين اللبنانيين الأوائل يشعرون أنهم هم أهل المسجد، وأن لهم حقاً في إدارته، ولذلك هجروه بعد أن تغير المسؤولون عن الجمعية، وقد جمعناهم وأصلحنا بينهم، واستغرق ذلك منا ساعات طوالاً، فقد تواعد المسلمون في صلاة الظهر في المسجد، وكان عددهم كبيراً، أكبر ممن حضروا في المرة السابقة، وألقى كل منا: الشيخ عبد الله بن منيع وأنا كلمات فيهم، في الحث على التمسك بالدين في هذه البلاد النائية عن مراكز الثقافة الإسلامية في بلادنا، وبالعناية بناشئة المسلمين بينهم.

ثم جمعنا رؤساءهم في مكتب المسجد، واستمر ذلك لمدة خمس ساعات، لم نتمكن معها من تناول الغداء إلا في الساعة السادسة مساءً، وهو موعد العشاء في هذه البلاد، ولكننا نشعر أن في ذلك فائدة إن شاء الله.

الحي العربي في ديترويت:

قدمت شيئاً من الكلام عن الحي العربي في ديترويت الذي يقع فيه هذا المسجد الذي نحن مجتمعون فيه هذا اليوم، وبلغ عدد سكانه اثني عشر ألفاً، كلهم من العرب تقريباً، وأكثرهم من المسلمين، لا يسكن معهم إلا بعض المسيحيين الفلسطينيين فيما أخبرونا به، وفيه مدرسة حكومية، ثلاثة أرباع طلابها من العرب، وقال لي أحدهم: إن اللغة العربية تدرس فيها. كما حدثني الأخ فوزي مرعي أنه وعدداً من المسلمين رفعوا

عريضة إلى الشرطة طالبوا فيها بمنع الخمر في هذا الحي؛ لأن أغلبية سكانه من المسلمين الذين يحرم عليهم دينهم شرب الخمر، ويمنع العاهرات من دخوله، فأجابتهم الشرطة بأن منع الخمر لا يمكن إلا إذا صوتت الأغلبية بذلك، فإنه يمكن منع الاتجار بالخمر فيه.

أما العاهرات، فقد تكفل بالحد من نشاطهن في هذا الحي، وقال الأخ فوزي: إنهم لاحظوا ذلك. وقال: إنه قد حدثت مآسٍ، وقتل عدة أشخاص بعضهم أبرياء بسبب مخالفة أوامر الله في عدم الاقتراب من الخمر أو البغايا، وقال: إن عدداً من الشبان أحضروا بغياً من البغايا، واجتمعوا بها على خمر وفسق، فسكروا فأمسكوا بها، وجعلوا يطفئون لفافات التبغ على جميع جسمها، فلما أطلقوها لم تذهب إلى الشرطة، وإنما استعانت ببعض المجرمين، فقتلوا شخصين من العرب انتقاماً لها.

وقال: إنه حدثت واقعة محزنة، وهي أن فاسقاً من العرب اجتمع بامرأة كان لها صاحب، فلما علم بذلك صمم على أن ينتقم من العرب، فصادف أحد المسلمين الأبرياء من المتدينين الطيبين، وكان الوقت في شهر رمضان، وقد تسحر في بيته وخرج يريد الصلاة، فأرداه قتيلاً بسبب ذلك الجرم الذي جرّه سفيه من السفهاء.

وغالبية سكان هذا الحي من اليمانيين الذين يعملون في مصانع السيارات وغيرها في هذه المدينة، وهم يخشون أشد الخشية على أولادهم من الضياع، إلا انهم الآن بعد أن اتصلت بهم المملكة أخذ قلقهم يقل. ونسأل الله أن يحفظ على ناشئة المسلمين دينهم، وييسر لهم الأسباب للفقه فيه.

السفر إلى واشنطن:

غادرنا مطار ديترويت في الساعة الثامنة وخمس دقائق مساءً على طائرة تابعة لشركة نورث ايسترن من طراز بوينغ ٧٢٧ ، ولم يكن في الدرجة الأولى من الركاب غيرنا إلا اثنان.

وعندما أقلعت الطائرة كان منظر مدينة ديترويت الأمريكية، ومدينة على الساحل الكندي من تلك البحيرة العظيمة وما حولها من قنوات من الماء العذب رائعاً حقاً.

ولم تكد تطمئن الطائرة في الجو حتى أعلنت المضيفة أننا على وشك النزول في مطار لم أتبين اسمه، وقد نزلنا بالفعل فيه بعد ٣٥ دقيقة من الطيران، ولبثنا مثل هذه المدة نزل خلالها أناس كثيرون، وركب أقل منهم، وبقينا نحن في الطائرة.

ثم أقلعت الطائرة مرة ثانية إلى واشنطن، وبعد أربعين دقيقة من الطيران وصلناها في نحو الساعة العاشرة إلا عشر دقائق ليلاً.

واشنطن:

غني عن القول إنها على اسم جورج واشنطن أول رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية، وهو الذي اختار هذه المدينة لتكون عاصمة للاتحاد، وذلك عام ١٧٩٠م.

وهي عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية؛ بل هي عاصمة الدنيا، فما من حدث مهم في أنحاء العالم كله إلا ولهذه العاصمة مساهمة فيه، تتراوح بين أن تكون مساهمة فعالة، وبين أن تكون مساهمة محدودة، أما الاهتمام فإنه لا يمكن أن يحدث أي عمل سياسي في أي ركن، ولو كان قصياً، إلا وتردد صداه هنا. أما البلدان العربية وأمثالها، فمع كل الأسف

الشديد، أن كثيراً منْ زعمائها إنما هم كالدمى التي تحركها الولايات المتحدة بخيوط أمسكت أطرافها بيدها، تكون تلك الخيوط أحياناً ظاهرة للعيان، وأحياناً تكون خفية إلى درجة لا يبصرها إلا من يبصر الأشياء في الظلام.

ومن المؤسف الغريب أن الرئيس الأمريكي له من النفوذ على بعض رؤساء الدول في العالم الثالث أكثر مما له من النفوذ على بعض حكام الولايات الأمريكية، ذلك بأن حكام الولايات لهم من دستور بلادهم، وقوة التأثير الشعبي عليهم، ما يمنع الرئيس الأمريكي من أن يؤثر على تصرفاتهم إلا من خلال القانون الذي يحميهم، كما تحميهم الأصوات الشعبية التي جاءت بهم إلى الحكم، أما بعض الزعماء الأجانب، فإن النفوذ الأمريكي هو الذي يحميهم أحياناً من أن يفاجؤوا بثورة عارمة تعيدهم إلى مكانهم في الشارع، لذلك يكون جزاء ذلك خضوعاً واستسلاماً للإدارة الأمريكية.

والقضية العربية الكبرى التي تشغل العرب أجمعين، وهم قضيتهم، بل هي التي حطمت ناموسهم وخذلتهم إمام العالم، وهي قضية فلسطين، إنما منبتها ومقلعها في هذه البلاد التي تغذي الدولة اليهودية بالمال والسلاح والتأثير السياسي والمعنوي، وذلك بسبب نفوذ اليهود على الإدارة الأمريكية في واشنطن، وعلى رجال المال والسياسة، وأعضاء البرلمان في الولايات المتحدة، وذلك إلى درجة لا يستطيع معها رئيس الولايات المتحدة الأمريكية أن يجهر بآرائه في مصلحة هذه البلاد، إذا كان ذلك لا يرضي اليهود.

وإلا فإن غالبية الشعب الأمريكي ليس لهم شأن ولا مصلحة في تغليب الباطل اليهودي على الحق العربي، بل إن مصلحتهم في التعامل مع الشعوب العربية، والتعاون معها على ما فيه مصلحة الطرفين.

بل إن بعض الأمريكيين، حتى من رجال السياسة الكبار، يبغضون اليهود، ولكنهم لا يستطيعون أن يتخلصوا من نفوذهم، لذلك لا يستطيعون أن يعملوا ضدهم.

ونحن إذْ نقول ذلك، نقوله مدركين لحالة الضعف التي تسيطر على العرب في هذه السنين الحاضرة من الاختلاف والتفكك وتفرق الكلمة، وتشعب الأهواء، وإلا لو كانوا متحدين في كلمتهم، عاملين بقوتهم مجتمعة، لاستطاعوا أن يقهروا الإرادة الأمريكية التي يدفعها النفوذ اليهودي من وراء الستار أحياناً، ومن أمام الستار أحياناً أخرى، ولاستطاعوا أن يجعلوا مصلحتهم تتغلب على ما يريده الأمريكيون، وذلك أمر لا يحتاج إلى حرب شاملة، أو جيوش عربية تحتل الولايات المتحدة الأمريكية، بل يحتاج إلى تصميم موحد على العمل، وتنفيذ منسق في الخطة، وصبر وتحمل على مشقة ذلك.

ويجب أن يعرفوا كيف يجعلون مصالح الأمريكيين في البلاد العربية مهددة، دون أن يكون في ذلك تهور يجعلهم يلحقون الضرر بأنفسهم ومصالحهم أكثر من الأمريكيين، ودون أن يكون في ذلك خروج على المبادئ الإسلامية التي تحترم حقوق الإنسان، وتحافظ على حياة الضيف في البلدان الإسلامية مادام معاهَداً، بمعنى أنه بموجب تعاقدات واتفاقات مع أولي الأمر من المسلمين، مثل سمات الدخول، ورخص العمل، مع البعد بعداً كلياً عن إيذاء من لم يؤذ المسلمين منهم. والله المستعان.

إننا إذْ نقول إن واشنطن هي عاصمة الدنيا، نقول ذلك بكل أسف وكل تحسر، وليس ذلك حسداً للأمريكيين على ما أُعطوا من نفوذ، فليس الحسد من طبيعتنا، ولكننا نأسف لأن عاصمة الدنيا كانت في القديم عندنا نحن المسلمين، فكانت بغداد عاصمة الدنيا المتحضرة في ذلك الوقت، وكنا سادة الأرض التي توجه العالم فيه، وأما الآن فقد

فقدنا ذلك، بل إن ذلك انتقل إلى منطقة يتحكم فيها أعداؤنا من اليهود ومتعصبي النصارى.

هذا ومن المطار إلى الفندق الذي نزلنا فيه، وهو فندق ((هولدي إن)) في الشارع الخامس عشر، كانت المسافة قريبة، وهو الفندق الذي نزلت فيه في العام الماضي، ويقع إلى الشمال من البيت الأبيض، ويمكن للمرء أن يذهب إلى البيت الأبيض منه مشياً على الأقدام، كما يمكنه أن يتجول فيما حوله من المناطق التي تشغل أكثرها الوزارات والمصالح الأمريكية.

وأجرة الغرفة الواحدة فيه كانت ٣٥ دولاراً، وكان الوقت متأخراً بالنسبة إلى واشنطن، فالساعة بعد أن استرحنا في الفندق قليلاً تبلغ الحادية عشرة، والأمن في الليل في هذه المدينة التي يهجرها بعض العاملين فيها مساءً ممن يسكنون في الضواحي، أو في ولايتي فرجينيا أو ميرلاند المجاورتين لواشنطن، ليس على ما يرام كما أن الأمن ليلاً في أكثر أنحاء الولايات المتحدة، يكاد يكون معدوماً.

لذلك بقينا في الفندق.

يوم الثلاثاء ١٣/ ٦/ ١٣٩٧هـ الموافق ٣١/ ٥/ ١٩٧٧م

بكرنا في الخروج اليوم للتجول في المتاجر التي تقرب من الفندق في الشارع الخامس عشر، والشارع الرابع عشر، ولكن معظمها كان يتأخر في فتح أبوابه إلى ما يقرب من التاسعة، ثم ذهبنا إلى السفارة السعودية لأخذ توصية كتابية منها إلى السفارة اليابانية، لكي تمنح الشيخ عبد الله بن منيع تأشيرة دخول إلى اليابان، لأنه لم يأخذها من المملكة، أما أنا فقد حصلت عليها من السفارة اليابانية في جدة.

وكان أن وجدنا الباب مغلقاً، كما هي الحال عليه في أكثر الإدارات والمحلات في هذه البلاد، وذلك حتى تأكدوا من شخصية الذي يطرق الباب، فضغطنا على زر الجرس، فإذا به يفتح بالكهرباء، وإذا بفتاة فلبينية الأصل جالسة على مكتب في وسط المدخل في السفارة، هي التي تستقبل الناس، وإذا بعدد من الأمريكيين والسعوديين على مقاعد الانتظار، فطلبنا مقابلة أحد المسؤولين في السفارة، فطلبت اسمي، فأعطيتها إياه ثم قالت: انتظر حتى يأتي الإذن، وقد لبثنا بعض الوقت حتى جاءنا الإذن، فاجتمعنا بالأستاذ المرزوقي من السفارة، الذي وقع المذكرة إلى السفارة اليابانية، وخرجنا من عنده ونحن لا نوال نرى الذين كانوا قبلنا منتظرين، وبعضهم يظهر عليه الملل والسأم من الانتظار، وقال لنا الأخ المرزوقي إن عدد الذين يراجعون السفارة كبير جداً، وإنها تعطي تأشيرات وخول كل يوم إلى المملكة لعدد كبير، قد يبلغ في بعض الأحيان مائة شخص كل يوم.

والواقع الذي شعرنا به أن كثيراً من المراجعين للسفارة لا ينوهون بسرعة الإجراءات فيها، ولكن لعل السبب في ذلك هو ما قاله الأستاذ المرزوقي.

ثم ذهبنا إلى السفارة اليابانية، وإذا بالأمر مثل السفارة السعودية في كون الدخول لا يمكن إلا بعد الضغط على زر كهربائي عند موظفة يابانية مختصة، فيفتح الباب للطارق، ولكن الفرق كبير في طريقة مخاطبة المراجعين، وفي سرعة إنجاز المعاملة.

جولة في واشنطن:

أخذنا صديقنا العميد الركن سليمان بن عبد الله الشبيلي الملحق العسكري السعودي في الولايات المتحدة في جولة في أنحاء مدينة واشنطن في مساء هذا اليوم، شملت رؤية خارجية للبيت الأبيض، ولمبنى الكونغرس الأمريكي، وللوزارات الحكومية فيما بينهما، وكذلك لمسلة واشنطن، وللمركز الإسلامي في واشنطن.

وكان ذلك كله بمثابة تجديد العهد بهذه الأماكن بالنسبة إليّ، لأنني سبق لي أن زرتها عندما وصلت إلى واشنطن في العام الماضي، ولكن زميلي في الرحلة الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع لم يزر واشنطن قبل هذه المرة، فكانت فرصة لمشاهدة هذه الأشياء.

وكان مسك الختام لهذه الجولة عشاءً عربياً في مطعم عربي، تملكه امرأة فلسطينية الأصل مسلمة، قيل لنا: إنها تعاون المحتاجين من المسلمين فتطعمهم، وقد تؤويهم إلى أجل مسمى يجدون بعده ما يكفي حاجتهم، وكان الطعام عربياً، من أبرزه الحمص، والمشوي، والمتبل. وكانت الموسيقى العربية تصدح في المكان، وأما الرواد فهم مختلطون من العرب ومن الأمريكيين الذين يحبون الطعام العربي.

ولا يمكن من يجول في واشمطن إلا أن يعجب بتخطيطها الذي أخذ في الاعتبار ما ستكون عليه المدينة في المستقبل، وتصور الحالة التي هي

عليها الآن، قبل مدة من السنين، وشوارعها أكثرها مستقيمة، وهي نظيفة بدون تأنق، عالية الأبنية دون إسراف، بل هي متطامنة العمارات إذا قيست بنيويورك، أو بعض مباني شيكاغو.

والزحام فيها معدوم ولا يتصور، لكثرة شوارعها وتنظيمها، ولقلة السكان فيها نسبياً، فهي تضم نحو مليون نسمة، على حين أن سكان مدينة نيويورك يبلغون ثمانية ملايين نسمة، وسكان مدينة شيكاغو سبعة ملايين.

إضافة إلى أنه ليس كل العاملين فيها يسكنون داخلها، إذْ بعضهم يسكن خارجها، ومما يلاحظه المرء هنا كثرة السكان من أصل إفريقي، ولا أقول السود، لأن بعضهم قد تخطى مرحلة سواد اللون، فصار خلاسياً، أي: أسمر يميل إلى الحمرة، أو كما يقول الإيطاليون: ((كابا شينو))، ويريدون به القهوة التي تخلط باللبن. وبعضهم صار أحمر اللون دون إشراق، وربما كان هذا من المولدين بين البيض والسود.

وعلى أية حال فإن السكان ممن هم أفارقة الأصل كثير في مدينة واشنطن، حتى قال بعضهم: إنهم ربما يبلغون فيها نصف السكان.

وقد لاحظنا أن كثيراً منهم لا يعاملون أمثالنا من الأجانب معاملة رقيقة، كما يفعل الأوربيون وبعض الأمريكيين، ولعل مرجع ذلك إلى شعورهم بأن البيض يضطهدونهم، فيحاولون ألا يقابلوا ذلك بالإكرام والترحيب، وهذا أمر طبيعي، على أن الجميع يشعرون بأن السكان الملونين في الولايات المتحدة هم الآن أوسع نفوذاً، وأقوى من ذي قبل.

كما لاحظنا أننا لم نجد شخصاً واحداً شعرنا منه أن منظرنا قد استرعى انتباهه، وذلك لوجود أشخاص من ألوان مختلفة، حتى أصبح اللون لا يدل على غريب عن هذه البلاد.

وأكثر من يكونون كذلك هم المهاجرون من أقطار أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية، إضافة إلى المختلطين الذين ولدوا ما بين البيض والسود، وهم الذين كان العرب القدماء يسمونهم الخلاسيين.

يوم الأربعاء ١٤/ ٦/ ١٣٩٧هـ الموافق ١/ ٦/ ١٩٧٧م

السفر إلى نيويورك:

خرجنا من فندق ((هولدي إن)) الذي نسكنه في واشنطن إلى مطار ناشنال الذي سنسافر منه إلى نيويورك، وسيكون السفر مع شركة ((أمريكان ايرلاين))، وقد وضعت الشركة على غلاف بطاقة السفر اسم المطار الذي سنغادر منه، وهو مطار ((ناشنال))، واسم المطار الذي سنصل إليه في نيويورك وهو مطار لقوارديا، وكانت الإجراءات سريعة ومنظمة، رغم كثرة عدد المسافرين، وكان تفتيش الركاب لغرض الأمن يتم آلياً، فلا يمس أحد جسمك، وإنما يجعلونك تمر فوق آلات تبين ما في جيوبك، وكذلك لا يفتحون حقائب اليد، وإنما يجعلونها تمر أيضاً على ممر متصل كهربائياً بشاشة تلفزيونية، تبين ما بداخل الحقيبة من أشياء ممنوعة. وذكرت عند ذلك الهند، وكيف أنهم لا يزالون يفتشون الراكب باليد، كما كان الناس يفتشون الناس من عهد نوح، وكان الموظف منهم يلمس بيده الخشنة كل جسم المسافر، بما في ذلك ما تحت الإبط والمواضع التي لا يحب الرجل أن يلمسها رجل.

وكان ركوبنا بطائرة من طراز بوينغ ٧٢٧.

ولهذه الشركة، كما هو الحال بالنسبة إلى كل شركات الطيران الأمريكية الكبيرة، أركان خاصة من المطارات الكبيرة، مثل مطار نيويورك، ومطار شيكاغو، وهذه الأركان من المطار أشبه ما تكون بمطار منفصل، وهي مجهزة بكل ما يلزم للمطارات المستقلة، ولا يشعر المرء فيها عندما يريد الدخول للطائرة، أنه في مطار كبير، وقد أقلعت الطائرة في الثامنة وخمس دقائق، متخلفة خمس دقائق عن الموعد المحدد.

وكانت الخدمة متوسطة، وقد قدموا خلال الطيران كأساً من العصير، مع قليل من المكسرات، وبعد اثنتين وأربعين دقيقة هبطنا في مطار لوقارديا في مدينة نيويورك، وهو مطار قريب من جزيرة منهاتن، أو قل أقرب مطار إليها، وجزء من مدرجه على جسر مقام على الماء لضيق أرضه، لأنه قد أقيم في عصر الطائرات المروحية التي لا تحتاج إلى مدرج طويل.

في مدينة نيويورك:

كان الجو عندما هبطنا لطيفاً، رغم أن الفصل صيف، وكان المطر قد توقف قبل ذلك بقليل، وسطعت الشمس، ولا يشعر المرء بثقل البدلة الكاملة عليه في واشنطن ولا في نيويورك في هذا الفصل من السنة الذي هو أوائل شهر يونيو، ويعتبرون الصيف هنا ثلاثة أشهر ابتداء من يونيو، ورغم ذلك فكل شيء مكيف الهواء: المنازل، والمكاتب، والقطارات، والسيارات.

لقد وجدنا في استقبالنا في المطار الأخ الأستاذ داود أسعد مساعد مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي في الولايات المتحدة، وهو أردني الأصل متجنس بالجنسية الأمريكية، والدكتور مزمل حسين الصديقي، وهو هندي متخرج من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ويعمل الآن مسؤولاً عن قسم الدعوة والإرشاد في مكتب الرابطة في نيويورك.

وقصدنا فندق ((هولدي إن)) في جزيرة منهاتن، وهو الحي التجاري في نيويورك، ويقع بين الطريقين الرئيسيين التاسع والعاشر، أو بين ((افنيو تسعة، وافنيو عشرة)) كما يعبرون بالإنكليزية، لأن مدينة نيويورك في منهاتن مقسمة إلى طرق تقطعها من الشمال إلى الجنوب، ويسمونها افنيوا، وأهمها الخامس، وبين شوارع أخرى تقطعها من الشرق إلى الغرب،

ويسمونها شوارع ((اواسترتيس)). وكلها مرقمة بأرقام متسلسلة يسهل التعرف عليها ، والبنايات بين هذه الطرق والشوارع مرقمة وفق اصطلاح موحد ، لذا يكون من أسهل الأشياء أن تتعرف على أي مكان فيها ، بل إن التعرف على مكان فيها وهي المدينة الضخمة المرقمة ، أسهل وأسرع من التعرف على بيت في إحدى القرى في البلاد المتخلفة مادياً.

لقد سبق لي أن زرت مدينة نيويورك في العام الماضي، وفي فصل قريب من هذا الفصل.

يهودي يسلم:

في مكتب رابطة العالم الإسلامي لدى الأمم المتحدة حضرنا إسلام شخص يهودي كبير القدر ، يسمى بنجامين فريشمان، وهو من المشهورين بالدفاع عن الفلسطينيين، وبمعاداة الصهيونية، وكان يصدر جريدة تقوم على هذا الأمر اسمها ((كمن ساسين)) أي: الإدراك العام.

وقد تكلم قبل أن ينطلق بالشهادتين فقال: إنني أشعر أنني مسلم بالفعل منذ سنوات، وإنما أسجل الآن إسلامي بصفة رسمية، وقال: إنني سبق أن قابلت الملك فيصل عدة مرات، وحذرته من عدوين من أعداء الإسلام، هما الصهيونية والشيوعية، وقال: إنني منذ زمن ساعدت السيد عمر عزوني على بناء مسجد في نيويورك، ولذلك حاربه الصهاينة حرباً شديدة، ولقي من ذلك عنتاً ومشقة، ولكنها لم تثنه عن إبداء ما كان يراه صواباً.

وقال: إنني أبلغ من العمر الآن ٨٧ سنة، وكنت منذ ستين سنة أعمل على نصرة القضايا الإسلامية.

وقد تكلم الشيخ عبد الله بن منيع في هذه المناسبة، ثم نطق الرجل

بالشهادتين بالعربية تلقيناً كلمة كلمة؛ دون أن يفهم معنى ذلك، إلا أن الدكتور إسماعيل أحمد مدير قسم شؤون الأمم المتحدة في مكتب الرابطة شرح له معناهما كاملاً بالإنكليزية.

ثم هنأه الجمعية بإسلامه، وأعطاه مكتب الرابطة وثيقة كان قد أعدها قبل ذلك، وطلبوا منا أن نكون شاهدين عليها، فكتبنا أسماءنا، وأعطونا لكل واحد منا نسخة منها للذكرى.

وقال إنه يريد أن يغير اسمه، وأنه يحب منذ الآن أن يسمى عبد الله بدلاً من بنجامين، فقلت له: إنه سرنا دخولك في الدين الإسلامي دين الحق، وإننا نرحب بك في العائلة الإسلامية أباً للصغير، وأخاً للكبير، ونرحب بك أيضاً في بلادنا المقدسة، فقال: إنني على عزم السفر إلى المملكة العربية السعودية بعد نحو أسبوعين.

وقد أخبره الدكتور مزمل حسين أنه على استعداد لأن يعقد معه عدة اجتماعات، يعلمه فيها قراءة القرآن في الصلاة، وما يلزمه من شؤون دينه الضرورية، فشكره على ذلك، وطلب كتباً إسلامية بالإنكليزية، ونسخة من تفسير معاني القرآن الكريم بالإنكليزية.

وبعد ذلك تناولنا طعام الغداء في مكتب الرابطة، وكان الطعام عربياً قد أحضروه من مطعم أحد الإخوة المصريين، ويتألف من الكباب والفلافل أو المقلية كما يسمى في المملكة، أما الفاكهة فكان منها العنب، وهو أصفر غليظ القشر غير كامل الحلاوة، قالوا: إنه كذلك لأنه يعتبر باكورة العنب في منطقة نيويورك، ولم تنضجه شمس الصيف بعد.

بناية بان أمريكان:

يصح أن نقول: بلدة بان أمريكان، ذلك بأنه لو جمع الذين يعملون فيها لكانوا كسكان قرية متوسطة، وكان الغرض من ذهابنا إليها هو تغيير خط السير في تذاكرنا داخل الولايات المتحدة، وهو أمر لم يقبلوه إلا بعد أن تلقوا كتاباً بذلك من مدير الخطوط السعودية في نيويورك الأستاذ عبد الوهاب مهلهل، وقال المسؤولون في شركة بان أمريكان: إنه لا يمكن إنهاء العمل في تذاكرنا إلا غداً، فانتهزنا فرصة للاطلاع على تلك البناية العظيمة التي تشغلها الشركة، فإذا هي ٥٧ طابقاً، وفوق الطابق المذكور مطعم يشرف على مدينة نيويورك من هذا الارتفاع، وقد صعدناه، فكان المنظر جميلاً، إلا أن هذا المبنى لا يعتبر عالياً بالنسبة إلى المبنى الذي كان أعلى مبنى في العالم كله، وهو مبنى (إمباير استيت)، وذلك قبل أن يأخذ هذه المرتبة منه مبنى (شركة سير) في مدينة شيكاغو، وأردنا أن نذهب إليه فقالوا: إن الجو هذا اليوم غير صاف، لذلك لا يتمكن المرء من الرؤية البعيدة، فلتؤجل ذلك إلى الغد عسى أن يكون الجو صافياً.

جولة في نيويورك:

بعد استراحة قصيرة في الفندق خرجنا في جولة على الأقدام في المنطقة القريبة من الفندق للتفرج برؤية المنطقة، ولتناول طعام العشاء في أحد المطاعم المناسبة، وقد رأينا من العظمة المادية في هذه المدينة، من كثرة الحركة، وارتفاع الأبنية، والكثرة المفرطة في وجود السيارات، ولكن ذلك كله يسير بنظام، وليس مثلما يعسّر المتخلفون في الإدارة أمورهم في مدنهم غير الصغيرة التي تشبه الأماكن الخاوية، وهي إن لم تكن خاوية، أو خالية من الأناسي والحركة غير المنظمة، فإنها تشبه أن

تكون ذلك، ومع الحركة الضخمة في نيويورك فإنه بلغنا عن كثير من أهلها أنهم يشعرون بالعزلة فيها، وكأنما هم قد هجرهم الناس، فلا أحد يكلمهم إلا إذا كانت له مصلحة في ذلك، ولا أحد يعطف عليهم إلا كلب أو كلبة، ولذلك بلغنا أنه توجد شركات في المدينة تبيع الكلام، بمعنى أنك إذا لم تجد من يكلمك، وشعرت بالحاجة إلى ذلك، أرسلت إلى إحدى تلك الشركات، فأرسلَتْ إليك من يحدثك بسعر محدود للساعة، بل وبالدقيقة إذا انقضت هجرك وتركك مع أحزانك.

يوم الخميس ١٤/ ٦/ ١٣٩٧ها الموافق ٢/ ٦/ ١٩٧٧م

في مقر الأمم المتحدة:

انتقلنا بالسيارة إلى مكتب الرابطة في نيويورك، ومن هناك سرنا مشياً على الأقدام إلى مبنى الأمم المتحدة لمشاهدته، وحضور المناقشات فيه، ويحق لنا ذلك، لأننا بصحبة مسؤولين في مكتب الرابطة التي هي إحدى المؤسسات المقبولة في الأمم المتحدة، بمعنى عضو مراقب، وليست عضواً كاملاً فيها، ولها تمثيل في المقر. كما كان من هدفنا أن نرى مكان الصلاة الذي تقام فيه صلاة الجمعة في المبنى.

وكنا مع إخواننا الشيخ علاء الدين خروفة، والدكتور إسماعيل أحمد، والدكتور مزمل حسين الصديقي، والأستاذ داود أسعد، ولكننا لم نوافق اجتماعاً معقوداً، فاكتفينا بالقيام بجولة على جميع قاعات مبنى الأمم المتحدة وأركانه، بما في ذلك مقر مجلس الأمن، والجمعية العمومية، والأماكن التي تسمى ((الكواليس))، وهي التي تتم فيها المساومات والمشاورات بين الأعضاء على القرارات التي تتخذ قبل إقرارها، وكان ذلك بالنسبة إليَّ من باب تجديد العهد، إذْ زرته كله في العام الماضي، أما بالنسبة إلى زميلي الشيخ عبد الله بن منيع، فكانت أول زيارة له إلى نيويورك.

ثم قصدنا المكان الذي أعطته الأمم لأعضاء الوفود المسلمين ليقيموا عليه صلاة الجمعة، وأخبرنا الدكتور مزمل حسين الصديقي الذي يؤمهم في الغالب، أنه يؤدي صلاة الجمعة معهم في هذا المكان ما بين مائة إلى مائة وعشرين، وهذا رقم طيب، ولكنه ليس عدد كل المسلمين العاملين في الأمم المتحدة، وإنما يوجد فيهم من لا يهتم بالحضور. وقال: إننا نحرص على أن نتصل بالجميع، ونخبرهم بإقامة صلاة الجمعة، عسى أن يهتدي

منهم من لم يكن يصلي.

وهذا المكان ليس مخصصاً للصلاة، بمعنى أنه لا يستعمل إلا لها، وإنما هو أشبه بالقاعة التي تستعمل لصلاة الجمعة، أما بقية الأيام فإنه يكون فيه أعمال أخرى.

هذا وبعد الجولة في مبنى الأمم المتحدة الذي أشعر أنا فيه بالمهانة، لا لأنه سبب لنا ذلك، ولكن لأننا نحن أصبحنا نعتمد على أصوات الأجانب، نستجديهم تلك الأصوات، ونفرح بها إذا حصلنا عليها، مع أنها كلام يطير في الهواء، إذا لم يصحبها فعل.

وتذكرت عندما كنا مطيعين لأوامر الله في الصدر الأول، وكنا نعمل أكثر مما نقول، ولم يكن هناك أمم متحدة، ولا مجلس للأمن، فكان لنا الرفعة والغلبة، أما الآن فإن المظهر العربي يمكن أن يكون مقبولاً في هذا المبنى، فاللغة العربية لغة رسمية فيه، والشعوب العربية ممثلة بعشرين دولة، والشعوب الإسلامية غيرها بأكثر من ذلك، والمال بأيدي العرب والمسلمين كثير، ولكن ذلك إنما هو مظهر لا يغني عن المخبر، وقول لا يسد مسد العمل، ولسنا ممن يقول بالانسحاب من الأمم المتحدة، فهي منبر عالمي، إلا أن الإعلام يجب ألا يكون بديلاً من العمل الجاد، وإنما يكون مبرراً له عند من لا يعرفون حقيقته.

وإذا كان أحد يشك في ذلك، فليتذكر عدد القرارات التي أصدرها مجلس الأمن، وأصدرتها الجمعية العمومية في صالح القضية العربية، ولكنها لم تزد على أن كانت حبراً على ورق، لأنها تثبت الحق العربي، ولكنها لا توجد القوة العربية التي تأخذ ذلك الحق.

وإن المرء ليشعر بالمهانة عندما يتذكر أن دولة صغيرة، هي دولة اليهود في فلسطين، استطاعت أن تقهر الإرادة العربية والإرادة الإسلامية،

بل استطاعت أن تذل العرب وتحقرهم أمام العالم، ومن هذا المنبر الذي هو الأمم المتحدة، ويكفي إذلالاً أن يكرر العرب كل عام قولهم للعالم الممثل في هذا المكان: لقد أحسنتم بإصدار قرارات لصالحنا، فمن فضلتم قولوا لإسرائيل أن تنفذها، وسيان أستجابوا لذلك فرجَوا إسرائيل أن تنفذها ولم تفعل، أو لم يستجيبوا فالأمر كله إنما استجداء غير مباشر لعدونا أن يتنازل لنا عن بعض حقنا الذي اغتصبه.

وقبل نهاية هذه الجولة تناولنا المأكولات الخفيفة والقهوة في مطعم الأمم المتحدة بين وجوه تمثل أكثر الدول في جميع أنحاء العالم، ومن مختلف الألوان واللغات، إذْ تمثل الأمم المتحدة ٩٠٪ من شعوب الأرض.

على بناية الامباير ستيت:

كانت هذه البناية أعلى بناء في العالم، ولكن لحق بها وسبقها إلى العلو بناية أخرى في نيويورك نفسها، لا تبعد عنها إلا قليلاً، هي بناية ((مركز التجارة العالمي))، ولم ندخلها، ثم سبقتها بناية ((سير)) في مدينة شيكاغو، ولكن الشهرة في العالم هي لهذه العمارة التي سندخلها، لكونها لبثت مدة طويلة تتبوأ هذه المكانة الرفيعة دون منافسة.

دخلنا المصعد فيها بعد أن دفعنا الرسم المقرر، وقدره دولاران، فأعلن مكبر الصوت الترحيب بالزوار، وقال: إن الجو في هذا اليوم غير صاف تماماً، لذلك سيكون مدى الرؤية خمسة أميال فقط. وإلا لو كان الجو صافياً لكان بإمكانكم أن تروا مسافة (٢٥) ميلاً، ويكون بإمكانكم أن تشاهدوا ثلاث ولايات أمريكية؛ هي نيويورك، ونيوجرسي، وكنتاكي.

وقد حملنا هذا المصعد إلى علو ثمانين طابقاً دون توقف، ثم منها

ركبنا مصعداً آخر حملنا لارتفاع سبعة طوابق أخرى، وفوق ذلك مقهى ومطعم، ومن هناك يشرف الناس على مدينة نيويورك ضمن حواجز من الحديد القوي، منعاً لحوادث الانتحار ممن ملوا الحياة الدنيا، وقد أحيط المكان بمناظير مقربة، مقابل أن تضع فيها (١٠) سنتات.

وبدت لنا مدينة نيويورك من هذا الارتفاع وقد تطامنت عماراتها، التي كنا نراها شاهقة، ونحن على سطح الأرض، إلا أن المنظر هنا رائع حقاً؛ إذ ترى جزيرة منهائن كلها يحيط بها الماء الذي هو بحري ملح، وتربط الجسور بينها وبين الأجزاء الأخرى من نيويورك، من جسور قديمة قد ثقلوها بالحديد حتى ترسخ وتثبت، إلى حديثة قد بنوها بطريقة تتعجب إذا رأيتها كيف تستطيع أن تحمل ما يمر عليها. وبعض الجسور تركبها جسور أخرى، فيكون هناك جسر للقطارات، فوقه جسر للسيارات، وجسر للسيارات تحته جسر لها آخر.

ومن ذلك المكان صعدنا مع مصعد آخر إلى القمة، أي: قمة البناية، ويعادل ارتفاعها ارتفاع مائة طابق وطابقين، ومن هناك يرى المرء المناظر التي مر ذكرها أوضح وأجلى ،وتستعمل قمتها في تركيب الهوائيات اللاسلكية للإذاعة، فعليها ١٧ محطة لهذا الغرض، تبث ما تريده في وقت واحد.

وإذا رأى المرء المسلم منا هذه البناية فإنه يعجب بهذا الجهد الإنساني الرائع، وإلا فإنه يحزن لأنه ليس له مشاركة فيه، اللهم إلا إذا كان الوقود التي يستخرج من أرضه يعتبر بمثابة المشاركة في هذا الأمر. وإن كنت أنا لا أعتبر ذلك مشاركة، لأن هذا الوقود ليس من صنعنا، فهو هبة من الله ادخرها لنا في أرضه التي أعطانا إياها، وليس لنا فخر إلاَّ في استخراجه وإيصاله إلى أهل هذه البلاد وغيرهم ابتغاء لربح الاستخراج وابتغاء لربح الاستعمال بعد الاستخراج.

وفي هذه البناية متاجر ومكاتب كثيرة تتعامل أكثرها مع داخل أمريكا وخارجها، لأنها لشركات عالمية بعضها يشمل عملها العالم كله.

نيويورك أرخص من البطحاء:

يقع مكتب الرابطة في نيويورك قرب مبنى الأمم المتحدة، ليس بينه وبين الشارع الذي يقع مبنى الأمم المتحدة عليه إلا بناء واحد، فهو في أغلى مكان فيها، ومع ذلك فإن إيجاره السنوي كله بما في ذلك مصاريف الماء والكهرباء والتنظيف والتدفئة والتصوير التلفزيوني المتعلق بالأمن، لا يزيد على ٢٧ ألف دولار في السنة، مع أنه يتألف من ثلاث غرف ومنافعها.

ويمكن أن نقرب هذا الأمر بضرب مثل بشقة مجاورة لمكتب الرابطة، لتكون مقراً لمكتب اتحاد الجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا، وتتألف من غرفتين كبيرتين وصالة صغيرة وحمام كبير، وأجرتها السنوية ٤٥٠٠ دولاراً.

إن ذلك لا يقارن بأجور الشقق في منطقة البطحاء في الرياض، إذ لا يمكن أن تجد مثل هذه الشقة على شارع مهم، وعلى ميدان البطحاء نفسه إلاّ بضعف تلك الأجرة أو نحو ذلك، وهي تعطى لك عاطلة من كل شيء، فعليك الماء والكهرباء، وعليك أهم من ذلك أن تجد من ينظف لك المكان ويتعهده بذلك كل يوم.

ولكن إذا قسنا الأمر بمقياس الأمن، فإن الرياض أرخص عشرات المرات من نيويورك، بل إن كل شيء يهون في سبيل توفير الأمن، لأن المرء إذا لم يكن آمناً مطمئناً لا يستطيع التمتع بما توفره له متع الحياة.

ويكفي أن نذكر تدليلاً على قلة الأمن هنا، أن باب مكتب الرابطة فيه منظار صغير للتأكد من شخصية الذي يريد الدخول، وفيه

قفل عادي، ومغلاق إضافي، وسلسلة قوية، يمكن عند فتح الباب قليلاً أن تمنع من يريد الدخول، ومفتاح كهربائي للباب ليس ملاصقاً له، وإنما هو بجانب من يكون في المكتب، وفوق ذلك عجب العجب، وهو أن الجالس في داخل المكتب يرى من خلال جهاز تلفزيوني جميع ما يحدث في الممر الكائن خارج الشقة، فيرى المارين من ذاهبين وآيبين وهو في مكتبه، فإذا طرق شخص عليه الباب عرفه حتى قبل أن يتكلم، فإن شاء فتح له الباب وإن شاء رده. وقد عرفت بعد ذلك أن الجهاز التلفزيوني يستقبل صوراً من آلة تصوير خاصة مركبة في سقف الممر الخارجي، تصور آلياً كل من يمر هناك، وترسل الصور إلى ذلك الجهاز فتنعكس على صفحته.

إلى فيلادلفيا:

قصدنا محطة القطارات التي تسير بالكهرباء، ويسمون القطار هذا (مترولايز)، فقطعنا التذاكر إلى مدينة فيلادلفيا في ولاية بنسلفانيا، وهي ١٤ دولاراً، والمسافة إليها ٢٠٧ كيلات، يقطعها القطار في ساعة وإحدى عشرة دقيقة، أي أنه يسير بمعدل ١٨٠ كيلاً هكذا قالوا، وهكذا كان الأمر، فقد وصلنا بعد ساعة وإحدى عشرة دقيقة.

كان ركوبنا في الدرجة الثانية، وهي جميلة نظيفة مكيفة الهواء، وتحرك القطار في الساعة الثالثة والنصف وخمس دقائق، ولبث فترة يسير تحت الأرض، وفوقه مدينة نيويورك وصخبها وازدحامها، ثم خرج إلى ظهر الأرض متجهاً جهة الجنوب حتى دخل في ولاية نيوجرسي، وكان سريعاً إلى درجة أن السيارات التي تسير على الطريق كنا نلحقها ونخلفها وراءنا كأنها واقفة، وناهيك بسرعة مائة وثمانين كيلاً في الساعة، ومع ذلك لا يشعر المرء فيه بالاهتزاز الشديد المؤذي، وإن كان لا يخلو من الاهتزاز.

فيلادلفيا:

وصلناها وتجولنا في بعض أنحائها، فوجدنا أنها تتألف من عمارات قديمة غير جميلة المنظر، ومن عمارات حديثة تشبه بقية المدن الأمريكية، وكانت العاصمة الأولى للولايات المتحدة الأمريكية، تلتها نيويورك، ثم واشنطن.

ويبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين نسمة، منهم نحو ألفي مسلم، أغلبهم من الذين كانوا يسمون ((المسلمين السود)) وكانوا منحرفين في حياة قائدهم السابق المسمى (أليجا محمد)، فأصبحوا الآن يعودون إلى الإسلام الصحيح، بسبب حركة التصحيح التي كان بها ابنه وارث الدين محمد، أو (والس محمد).

ويقول بعض الطلاب السعوديين الموجودين في فيلادلفيا: إنهم يعتبرونها من المدن الأمريكية السيئة بالنسبة لهم من حيث الأمن، وقد حدثني أحد الإخوان المسلمين من البلاد العربية، أن الرجل لا يستطيع أن يخرج من بيته ليلاً إلا وهو خائف، فالسلب أسهل ما يصنعون به، وأما الصعب فهو القتل أو الأذى الجسماني، وبخاصة إذا قاوم اللصوص يريد منعهم من أخذ ما يريدون أخذه منه.

المركز الإسلامي في فيلادلفيا:

أو المركز الإسلامي الثقافي في فيلادلفيا كما يسمى أحياناً، ويقع في حي السود في شمال المدينة، ولذلك يسمى ((نورث فيلادلفيا)) رأيناه، وقد كتبت عليه هذه العبارة بالإنكليزية، وكان عند مدخله في الانتظار مديره رئيس الجمعية الإسلامية هناك الشيخ علي أحمد، وهو من أصل إفريقي، أسلم قبل عشر سنوات، وتعلم في مكة المكرمة لمدة سنة

ونصف، ويتكلم العربية في مستوى من الكلام لا بأس به.

والمركز في مبنى يتألف من ثلاثة طوابق، ويستعمل مدرسة لتعليم الأولاد، ومكاناً لإلقاء المحاضرات وتعليم الكبار، ومركزاً للمطالعة، وليس ذلك فحسب، وإنما اتخذوا جزءاً من الطابق الأرضي من هذا المبنى بمثابة حانوت لبيع الأشياء الخفيفة، مثل الملابس، وحقائب السيدات، يشترون هذه الأشياء بالجملة، ويبيعونها بالتفريق، يشتري منها المسلمون وغيرهم، والربح يرجع إلى الجمعية، ويهدفون من ذلك أن تكون النقود التي تذهب إلى جيوب التجار من غير المسلمين، ربما تعود إلى المسلمين عن طريق الجمعية، وعندهم مشروعات تجارية أخرى في نطاق هذا الغرض. وفي ركن منها ما يشبه ورشة إصلاح السيارات تابعة للجمعية، يعمل فيها خبير بذلك من المسلمين من أصل باكستاني، ويعود ريعها للجمعية، والمبنى مستأجر بمبلغ ٧٠٠ دولار شهرياً.

وقالوا لنا: إن عدد الطلبة لديهم الآن يبلغ ٨٢ طالباً، يودون زيادتهم، غير أنهم لا يتمكنون من ذلك بسبب عدم استطاعتهم دفع رواتب المدرسين، وهم يطلبون بإلحاح إرسال مدرس أو مدرسين إليهم، وقد تقدموا بهذا الطلب إلى الجهات المسؤولة في المملكة، ومنها رئاسة الإفتاء التي أحالت هذه الأوراق إلينا، وطلبت منا زيارتهم في محلهم، والتحقق مما يطلبونه.

ومدير المدرسة هو الشيخ عبد الله حسن الغاندستاني، وهو من أصل هندي، وحاصل على درجة الماجستير في اللغة الإنكليزية، كما أخبرنا الشيخ علي أحمد.

ويقول الشيخ علي: إن هناك فرصة كبيرة لنشر الإسلام في هذه المنطقة، وأنه يسلم على أيديهم كل شهر عدد يقارب عشرة أشخاص،

ويقول: إن المشكلة هي في كيفية توفير الثقافة الإسلامية اللازمة لهؤلاء المسلمين الجدد؛ لأن إمكانات الجمعية محدودة، وقدرتها المالية ضعيفة. وقال: إننا ندفع إيجار المكان، ونفقات المدرسين من اشتراكات الأعضاء وتبرعات المسلمين في هذه البلاد، ومن ريع المشروع التجاري الضعيف. وقال: إننا إذا حصلنا على مساعدة، فإننا سننشئ مقراً مناسباً للمركز الإسلامي هذا، يتألف من مسجد، وقاعة للمحاضرات، ومدرسة، وكل ما يحتاج إليه المسلم الجديد، وقال: إن هذا العمل الإسلامي عمره (٥) سنوات فقط.

وقال: إننا الآن سائرون في إصدار نشرة شهرية تسمى ((الدعوة)) نأمل أن تكون بعد ذلك نصف شهرية.

ويعاون الشيخ علي أحمد في عمله نخبة من إخوانه المسلمين المخلصين، يبين نور الإسلام على وجوههم، وتظهر الطمأنينة النفسية على تصرفاتهم، وكلهم من الأمريكيين الذين هم من اصل إفريقي، وإذا قارن المرء بينهم وبين مواطنيهم السود الذين هم من الأصل نفسه، فإنه يرى الفرق في مظاهرهم كبيراً واضحاً، فغير المسلمين منهم يكونون في الغالب من المسرفين في شرب الخمر، وربما يكونون ممن يتعاطون المخدرات؛ إضافة إلى الفراغ الروحي في قلوبهم، مما يسبب قلقاً نفسياً يظهر على قسمات الوجه شقاء وتعاسة، لذلك تكثر حوادث الإجرام بينهم، وتعتبر أحياؤهم مباءة لذلك، مما يلوث سمعتهم، ويجعلهم مضغة للأقاويل. ويأمل الإخوة المسلمون منهم أن يهدي الله أكثرهم للإسلام، مما يغير من ذلك، وبالتالي يرفع من مستواهم الفكري والاجتماعي.

مسجد المجاهدين:

ويقع في الحي نفسه أي ما يسمى ((حي الزنوج))، أو ((نورث

فيلادلفيا)) أي: شمال فيلادلفيا، ولكنه بعيد عن المركز نوعاً ما، لأن الحي كبير، وقد اخترقنا الحي بالسيارة في الطريق إلى المسجد، فإذا بجميع سكانه منهم، إلا أنهم ليسوا كلهم سود الألوان، وإنما بعضهم سمر اللون، بل إن قلة منهم من ذوي اللون القمحي، إلا أن بعض ملامحهم تشير إلى الملامح الإفريقية، ولذلك يعتبرون من الزنوج.

والحي نظيف إذا قورن بالأحياء المتوسطة في مدن الشرق البعيد مثلاً، بل يعتبر من أحياء الأغنياء في الشرق الأوسط وما في مستوى الدول غير النفطية فيه، فالسيارات الكبيرة، أو ما تسمى بالسيارات الأمريكية الفخمة خارج أمريكا تقف عند أكثر أبوابه، والأطفال صحتهم متوسطة، وهي أحسن من صحة الأطفال في أكثر البلدان الإفريقية، وأغلب بيوت هذا الحي متلاصقة، ومن أدوار غير عالية، وهي مبنية من الآجر أي الفخار، إلا أنه إذا قورن بأحياء البيض في مدينة فيلادلفيا أو غيرها من المدن الأمريكية تبين أن لا وجه للمقارنة، وأنه دونها بمراحل، بل ربما صح القول إن مجتمع الزنوج في هذه الأحياء يعيش حياة أخرى أكثر تأخراً، وأقل إشراقاً.

أول ما يطالعك من (**مسجد المجاهدين**) هذا، وتُسرّ له لافتة مكتوبة باللغة العربية نصها:

(الله أكبر، ولله الحمد، لا إله إلا الله، محمد رسول الله) **مسجد المجاهدين**، وتحتها كتبت العبارة بالإنكليزية.

أول ما دخلنا المسجد قابلتنا فتاة مسلمة، عليها لباس محتشم لا يظهر إلا الوجه والكفين، وهي تسير خاشعة تبين على وجهها الطمأنينة، ويعلوه البشر، ففرحتُ بذلك، لأن منظر مثل الفتاة المسلمة بالمقارنة مع حال الفتاة الكافرة من بني جنسها هو في حد ذاته كسب للدعوة الإسلامية.

اشتري هذا المسجد منذ أربع سنوات، وتقام فيه الصلاة جماعة، وقالوا لنا: إن عدد الذين يحضرون لصلاة الجمعة فيه ما بين (٣٥) إلى (٥٥) مصلياً، وهو مناسب السعة، إلا أن بناءه قديم، وملحق به مطبخ، وغرفة واسعة للطعام، مؤثثة تأثيثاً متواضعاً، ويستعمل هذا المطبخ والغرفة للإفطار في رمضان، وفي الأعياد، وعند عقد حفلات الزواج ونحوها.

وقدموا لنا الشاي مع البسكويت في جلسة قصيرة، ولكنها ممتعة، حافلة بالحديث عن مسيرة الإسلام في هذه البلاد التي لم يكن للإسلام فيها مجال منذ عهد غير بعيد، وكان الحاضرون في المجلس معنا الإخوة الكرام: الشيخ علاء الدين خروفة، والشيخ داود أسعد، والشيخ إبراهيم بن حمد العقيل أحد إخواننا السعوديين؛ الذي حضر إلى مدينة فيلادلفيا للدراسة في جامعة تمبل فيها؛ بغية الحصول على درجة الماجستير والدكتوراه في العلاقات الدولية.

إلى نيوجرسي:

وقبل غروب الشمس بقليل بدأنا العودة إلى منزل الأخ الكريم الأستاذ داود أسعد مساعد مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي في الولايات المتحدة في ولاية نيوجرسي على بعد ٥٠ ميلاً جنوب مدينة نيويورك.

وبعد أن قطعنا بالسيارة ما يسمى عند الأمريكيين (داون تاون) أي قلب المدينة، رأينا حاجزاً عنده بعض الموظفين، فأخبرنا إخواننا أن هذه هي نهاية حدود ولاية بنسلفانيا التي تقع فيها مدينة فيلادلفيا، وبداية ولاية نيوجرسي.

وكانت أول تحية من هذه الولاية المطالبة برسم الدخول إليها على كل سيارة، وقدره (٥٥) سنتاً، أي حوالي ريالين، وبعد قليل رأينا حاجزاً

آخر يسأل صاحب السيارة عن أي خط من الطريق يريد أن يسلكه، ويأخذ منه رسماً عليه، وقد اخترنا الخط المسمى (هاي وي)، وترجمتها الحرفية: الخط العالي.

أما ترجمتها الفقهية فهي الخط العام المستقيم، فهو عريض يتسع لأربع سيارات في آن واحد للاتجاه الذاهب، ومثلها للآيب، والسرعة القصوى المعمول بها أكثرها (٥٥) ميلاً أي: (٩٣) كيلاً في الساعة، وقد حددوها اقتصاداً للوقود.

سارت السيارة بنا في هذا الطريق الذي يمتد طوله من مدينة فيلادلفيا إلى مدينة نيويورك وسط خضرة كثيفة وحقول للذرة وغيرها من المزروعات، إلى جانب أبراج عالية للضغط العالي للكهرباء، وبين الفينة والأخرى نمر بقرية أو بلدة ترتفع منها مداخن المصانع لمختلف الصناعات، أما المطاعم وغيرها من أماكن الراحة فحدث عن وجودها ولا حرج، حتى وصلنا إلى بيت الشيخ داود أسعد، وهو بيت أغلبه مبني من الخشب، ولكنه أنيق جداً، تحيط به أفنية واسعة مفروشة بالحشيش الأخضر، وعليه بعض الأشجار، قال الشيخ داود إنه اشتراه منذ عشر سنوات بواحد وعشرين ألف دولار، وإنه الآن ربما يصل ثمنه إلى (٣٥) ألفاً.

وتناولنا عنده عشاء عربياً لذيذاً، أكلناه هنيئاً مريئاً بعد الحاجة إليه عقب هذه الرحلة الطويلة، يتألف من اللحم والدجاج وأنواع من الخضار المألوف عندنا كالباميا، أعدته زوجته السيدة أمينة بمفردها، وهي عربية الأصل، هاجر بها أهلها من دير ياسين في فلسطين وعمرها سنتان، ولذلك لا تعرف من العربية إلا شيئاً تخجل أن تتكلم به، لذلك كانت تتكلم بالإنجليزية، وكان عددنا تسعة، وهو عدد كبير بالنسبة إلى الموائد الخاصة في أمريكا، ولكن كرم الأستاذ داود غمرنا، حتى لو كان معنا مثلنا لكفاه ما قدم من طعام وفواكه.

وبعد ذلك عدنا إلى فندقنا في جزيرة منهاتن في نيويورك، والساعة قد تجاوزت منتصف الليل.

يوم الجمعة: ١٥/ ٦/ ١٣٩٧هـ الموافق ٣/ ٦/ ١٩٧٧م

إلى مدينة دالاس:

ستكون المحطة القادمة لنا هذا اليوم مدينة دالاس في ولاية تكساس في جنوب الولايات المتحدة، وهذه المدينة كانت تشتهر بعدة أشياء، إلا أنها اشتهرت بعد ذلك في جميع أنحاء العالم بشيء مكروه، ألا وهو مقتل الرئيس جون كندي فيها يوم ٢٢ نوفمبر، عام ١٩٦٣.

تركنا فندق (هولدي إن) في نيويورك في الساعة السادسة والنصف صباحاً إلى مطار لوقارديا في نيويورك، بعد أن نقدناه خمسة وثمانين دولاراً لليلتين، منها ستة دولارات قال إنها ضريبة البلدية.

وكان معنا أخونا الدكتور إسماعيل أحمد الذي أبى كرمه إلا أن يجعله يحضر إلى الفندق في هذه الساعة المبكرة من الصباح، وقصدنا الركن الذي تطير منه طائرات شركة ((أمريكان أيرلاين)) أو قل المطار الذي تستعمله هنا، لأن لكل شركة ركناً في مطار نيويورك أشبه بمطار مستقل، بل هو أكبر من كثير من المطارات المستقلة.

وكان من الأشياء المستطرفة لهذه الرحلة أننا وجدنا الشركة قد عينت موظفاً منها زنجياً عند الرصيف الذي تقف بجانبه السيارات قبل الدخول إلى المطار، سألنا: إلى أين السفر؟ فقلنا: إلى دالاس. فقال: أروني تذاكركم، فأريناه واحدة وكنا نظنه حمالاً، فأخذها وفتح باب نافذة في الجدار، وإذا به متصل بالشريط العريض الذي يحمل الحقائب في المطار، فألقى الحقائب فيه بعد أن أعطانا قسيمة البطاقة، وذلك كله دون وزن، أو أخذ تذاكر، وهكذا لم يبق بيننا وبين السفر من إجراءات إلا ما هو عند باب الدخول إلى الطائرة، وقبل قيام الطائرة بربع ساعة

دخلنا مع البوابة المخصصة لرحلتنا، ففحصوا الركاب وحقائبهم بواسطة التلفاز دون فتح الحقائب، أو مس الأجسام، ثم أقلعت الطائرة في تمام الساعة الثامنة، وكانت الطائرات على المدرج تشبه السيارات في الخط، فكانت الواحدة تنتظر حتى تقلع التي قبلها، ثم تأتي إلى نهاية المدرج رغم كثرة المدارج فيه.

وكانت مقاعدنا في الطائرة في مكان مخصص لغير المدخنين، وكانت خدمتهم جيدة جداً، ولعل السبب في ذلك كون عدد الركاب في الطائرة لم يكن كثيراً، وهي من طراز بوينغ (٧٢٧)، وقد أعلن مكبر الصوت فيها أن الرحلة إلى دالاس تدوم ثلاث ساعات إلا (٣) دقائق، إلا أن الساعة ستتأخر ستين دقيقة هي الفرق بين توقيت نيويورك وتوقيت دالاس.

وكان الجو صافياً جداً طول الطريق، كأنه الجو في وسط الجزيرة العربية في الصيف، مما مكننا من رؤية العمارة التي تكاد تكسو الطريق كله، فكنا نشاهد المزارع والأشجار، وأحياناً مداخن المصانع والأنهار، وكان نهر المسيسيبي العظيم أكثرها وضوحاً، وقد ظللنا نراه وقتاً طويلاً من الرحلة.

وقبل الوصول إلى مطار دالاس بقليل، وعندما نزلت الطائرة إلى ارتفاع غير عال توقعنا أن نرى صحراء كنا قد سمعنا بها في ولاية تكساس، فإذا بالمنطقة خضراء مقسمة تقسيماً زراعياً بديعاً، وإذا بالأشجار والغابات والبحيرات تكثر فيها، ففيها حول مدينة دالاس نفسها أربع بحيرات.

في مدينة دالاس:

أول ما أعجبنا منها سعة مطارها، وقد قطعت طائرتنا، وهي بوينغ

ضخمة جزءاً من المدرج وهي في الهواء، ثم نزلت وتركها القائد تنطلق دون أن يكبح جماحها بالفرامل ثقة منه بطول المدرج، وكانت الطائرات فيه والتي تنزل وتطير منه كثيرة فوق ما كنت أصدقه، لولا رؤيته، وكان المرء يتوقع في مثل هذا المطار الذي هو مطار مدينة معتادة، ليست عاصمة دولة، بل ليست عاصمة ولاية، أن يكون متوسطاً، ولكن شأن المدن في الولايات المتحدة كلها، مما يؤكد للمرء أن هذا الشعب العامل المتفاني في العمل لا يعتمد على حكومته في كل شؤونه، كما تفعل الشعوب المتخلفة، وإنما يعمل من خلال الإدارة المحلية ما لا تستطيع الحكومات المركزية أن تفعله.

وقد علمنا بعد ذلك أن هذا المطار، ويسمى مطار دالاس الدولي، أكبر مطار في العالم كله من حيث السعة، فهو واسع، وأكبر من مطار مدينة واشنطن العاصمة، وهو أوسع من مطار مدينة نيويورك التي هي أكبر مدينة في الولايات المتحدة.

وجدنا في استقبالنا أخانا الدكتور حسن بخاري، وهو باكستاني الأصل، ومتجنس بالجنسية الأمريكية، وهو طبيب جراح يعمل في مستشفى خاص، وناجح في عمله. وكان أول من أنشأ الجمعية الإسلامية بشمال تكساس، وقد أبرق إليه بوصولنا أحد الأصدقاء، وإلا فليس من عادتنا أن نطلب من أحد أن يقابلنا، ورئيس الجمعية الآن هو الدكتور محمد أفضل .

وكان أول ما استنكرناه من دالاس جوها الحار بالنسبة إلى جو نيويورك، وسماءها الصافية، وشمسها الساطعة الملتهبة، وعندما خرجنا من بناية المطار وجدنا الحشائش التي بالقرب منه تسقى بالماء بالرَّشِّ من صنابير مثبتة بالأرض، تشبه النوافير الصغيرة، إلا أن الخضرة العامة والأشجار الخضراء تغطي المنطقة.

أما مداخل المطار ومخارجه، والطرق التي تنطلق منه، فحدث عنها وعن روعتها واتساعها وكثرة جسورها ولا حرج، ولكن هذا لا بد له من ثمن، وقد رأيناه الآن، فقد حاذت بنا السيارة المخرج من دائرة المطار، فإذا بها تقف، ويقذف الدكتور البخاري، وهو الذي يقود السيارة، بكمية من النقود، قال: إنها رسم الدخول إلى المطار، وعند الدخول إلى مدينة دالاس كان هناك حاجز آخر ومبلغ من النقود يدفع أيضاً.

المركز الإسلامي في دالاس:

قصدنا أول ما قصدناه المركز الإسلامي في دالاس، وهو مسجد صغير ملحق به مكتبة صغيرة، تضم كتبا للمطالعة، وكتباً معدة للتوزيع، وغرفة فيها أربعة سرر للمسلم الذي لا يجد مكاناً يأوي إليها لمدة يسيرة، ومطبخ مجهز بالأدوات، وهو في الأصل بيت، ويجتمع فيه الآن عدد من المسلمين يوم الأحد الذي هو يوم العطلة.

ويقع هذا المركز قرب قرية تسمى (نورث فورت)، ويبعد عن قلب مدينة دالاس مسافة ستة وثلاثين ميلا، ويتبعه بنايات أخرى صغيرة وأرض واسعة، ولكنهم يريدون بيعه ليشتروا مكاناً أقرب إلى مدينة دالس منه، وليكون مجهزاً بكل ما يلزم من الأثاث. وقد فتح الدكتور البخاري صندوق الرسائل الموجودة على جدار المركز، فوجد عدة رسائل، إحداها تحمل صكاً ((شيك)) بمبلغ (١٠) دولارات تبرع به أحد المسلمين من أصل باكستاني.

وكنا نتحدث ويقطع حديثنا في كل دقيقة تقريباً مرور طائرة من الطائرات العملاقة تنزل في مطار قريب منا في زمجرة دونها زمجرة طائرات البوينغ النفاثة، وقد علمنا أن هذا المطار خاص بتدريب رجال البحرية الأمريكية، وأن في مدينة دالاس خمسة مطارات، غير المطار الكبير

الذي هبطنا فيه، والذي هو أكبر مطار في العالم. وبجانب هذا المطار مصانع للطائرات الحديثة.

وعندما كنا في الطريق إلى مدينة دالاس من المطار، وبعد زيارة المركز الإسلامي رأينا العمال يصلحون أحد الجسور على الطريق، وقد غيروا مجرى السير من الطريق الإسفلتي إلى طريق ترابي، فأبصرنا التربة سوداء، آثار المطر الغزير عليها، مما يدل على غزارة المطر في موسمه، إلا أنها جافة الآن، يطير منها غبار يؤذي المرء وهو في سيارته.

وكان من المقرر أن نقصد فندقاً حجزنا فيه من نيويورك، إلا أن الدكتور حسن البخاري قال: مادام أنكم لا تنوون الإقامة إلا يوماً أو أقل من يوم، فلتكن في بيتي، وهو ليس فيه أحد، فزوجتي مع أولادي هم الآن في زيارة أختها في ولاية أخرى، فوافقناه على ذلك.

وعندما وصلنا بيته قصد الشارع الخلفي ليدخل سيارته في القراش (المرآب)، ولم يكد يقترب من باب المرآب حتى فتح الباب نفسه آلياً، فأدخل سيارته، ثم انقفل الباب من تلقاء نفسه ونحن في داخله، لأننا سندخل البيت من باب يوصل إليه، وكان فتح باب (القراش) عن طريق اللاسلكي، إذْ أرانا الدكتور جهازاً صغيراً شبيهاً بالمصباح الكهربائي اليدوي الصغير يعمل على بطارية صغيرة، فيضغط المرء على زر فتحه فيفتح الباب، مع أن عرضه ستة أمتار، أي يتسع لإدخال سيارتين، وبإشارة لاسلكية أخرى يغلق الباب، دون أن يبذل صاحبه أي مجهود.

وهذا البيت يقع في حي صغير، كل ما فيه من البيوت جميل من الخارج، تتقدمه من الأمام فسحة كبيرة، أو قل رصيف مساحته يبلغ عرضها عشرة أمتار، قد كسيت أرضها بالحشائش، وفيها ممر وموقف خاص لكل بيت، وبعد ذلك يأتي رصيف الشارع، وهو رصيف عريض،

لذا لا يمكن أن يكون هناك ضيق في مواقف السيارات، أو مشاحنات بين الجيران عند موضع وقوف السيارات، كما هي الحال في البلدان المتأخرة مادياً.

وكان بيت الدكتور حسن البخاري جميلاً من الداخل، بل رائع الجمال، كجماله من الخارج أو أكثر، وهو مكيف الهواء تكييفاً عاماً.

وفي بيت الدكتور البخاري حضر الدكتور محمد أفضل رئيس الجمعية الإسلامية لشمال تكساس، وهو باكستاني الأصل، أمريكي الجنسية، يعمل أستاذاً في الاقتصاد، لأنه قد حصل على درجة الدكتوراه في هذا الاختصاص. كما حضر الاجتماع السيد يحيى أحمد خيري، وهو مصري الأصل، متجنس بالجنسية الأمريكية، ويحمل شهادة الدكتوراه في الهندسة الكيميائية، ويقوم بعمله في الجمعية الإسلامية متبرعاً بذلك، فيؤم للصلاة، ويجهز الموتى، ويعقد عقود الزواج، ويقول: إنه يفعل ذلك لأنه لا يوجد غيره ممن يفعل ذلك، ويطالب بإرسال إمام متفرغ لهذا الغرض.

وقد علمنا أن لبعض أعضاء الجمعية الإسلامية اجتماعات دينية، مثل دروس المذاكرة يوم الأحد، ودروس يلقونها على من لديهم نقص في المعرفة الإسلامية في يومي السبت والأحد.

كما علمنا أن صلاة الجمعة تقام في ثلاث جامعات في دالاس؛ حيث يوجد الطلبة المسلمون الذين قدموا إلى هذه البلاد للدراسة من العرب وغيرهم، وهذه الجامعات هي جامعة تكساس (أرلنجتون)، وجامعة شمال تكساس (دانتن)، وفيها عدد لا بأس به من الطلاب السعوديين، وجامعة (ساوثرن ميثورس).

وذلك لأنه لا يوجد جامع كبير مناسب يتسع لجميع المسلمين الذين يريدون أن يؤدوا صلاة الجمعة.

جولة في مدينة دالاس:

أخذنا الدكتور محمد أفضل بسيارته في جولة على مدينة دالاس، شملت أول ما شملت (الداون تاون) أو (قلب المدينة)، وهذه التسمية أعجبت أخانا الدكتور محمد أفضل عندما ذكرنا أنها هي ترجمة الداون تاون، لأنه كان يعرف معنى كلمة قلب بالعربية، فإذا به يكاد يكون نسخة من قلب أي مدينة أخرى حديثة في الولايات المتحدة، فهو يتألف من أبنية حديثة جداً شاهقة، وهي متباعدة حتى تحصل كل واحدة منها على نصيب وافر من الهواء النقي، والمسافة التي تفصل بينها تكون في الغالب مخصصة لمواقف السيارات التي لا تتسع لها المواقف المخصصة في العمارة نفسها، إذ لا بد في الولايات المتحدة من إيجاد مواقف لسيارات جميع العاملين أو الساكنين في أي عمارة يتم بناؤها.

والشارع الرئيسي في (دالاس) يسمى بهذا الاسم في الإنجليزية (مين استريت)، وهو مستقيم غاية الاستقامة، عامر بالمحلات التجارية الحديثة.

الذي قتل فيه الرئيس:

كنا نسير في هذا الشارع متجهين جهة الغرب، فقال الدكتور محمد أفضل: إننا نسير - كما أخبرناكم - في الشارع الرئيسي في دالاس، وقريباً نصل إلى المكان الذي قتل فيه الرئيس جون كندي، وتطلعنا إليه، فأرانا مكانه في نهاية الشارع المذكور، وأرانا عمارة حمراء اللون غير عالية، وقال: من الطابق الثاني من هذه العمارة أطلق الرصاص على الرئيس، فأرداه قتيلاً.

وكنت قد تابعت حوادث مقتله منذ أن سمعته، فقد كنت أسمع نشرة الأخبار من إذاعة صوت أمريكا في ذلك الوقت، وإذا بها تقطع

الأخبار، وتذيع خبر مقتله، وبعد قليل أصبح هذا الخبر الشغل الشاغل للإذاعات في العالم كله، وما تزال بعض تفاصيل حوادث قتله، والبواعث عليه مجهولة، أو هي لم تنشر على الملأ بصفة تفصيلية، وقد شاهدنا نصباً تذكارياً قد أقاموه على موضع قتله، يتألف من مسلة صغيرة عليها شيء عن هذه الحادثة، وفي أقرب ميدان من هذا المكان أقاموا نصباً آخر أكبر وأكثر تفصيلاً عن تاريخ حياته.

مسجد المسلمين السود:

في حي السكان الذين هم من أصل إفريقي شاهدنا المسجد الذي أقيم هناك، إلا أنه قد كتبت عليه لافتة تشعر بأنها كانت قد كتبت قبل تصحيح مسيرتهم الدينية؛ إذ اللافتة الرئيسية فيها نصها:

(مسجد محمد) وتحتها كتابات أخرى هي: الاجتماعات يوم الأحد الواحدة بعد الظهر، والأربعاء والجمعة السابعة بعد الظهر. والمفهوم من هذا أن صلاة الجماعة ليست المقصودة به، ولكنهم الآن قد حسنت حالهم، والأمل الكبير في أن تصبح أحسن وأكبر في المستقبل، وقد رأيناه مغلقاً، فلم نستطع أن نشاهد إلا خارجه، ويظهر من ذلك أنه واسع وإن كان ليس له منارة.

ويقع هذا الحي في جنوب دالاس ويسمى (جنوب دالاس).

ويذكر بهذه المناسبة أن نحو (٢٢٪) من سكان المدينة هم من أصل إفريقي، وأن مجموع سكانها يبلغون زهاء مليون نسمة، منهم ألف وثمانمائة مسلم. وهناك فيها وفي أطرافها من الطلبة المسلمين المبتعثين للدراسة، ومن الطلبة السعوديين من العسكريين وغيرهم عدد كبير. والحاجة ماسة جداً إلى بناء مسجد جامع كبير يتبعه مركز يقوم

بالخدمات اللازمة لهم، من صلاة الجمعة، إلى تعليم الأطفال الصغار مبادئ الإسلام، إلى توزيع الكتب والنشرات الإسلامية على المسلمين وعلى غيرهم، قياماً بواجب الدعوة والتبليغ.

وبعد ذلك حزمنا أمرنا، وحملنا أمتعتنا إلى المطار الدولي في مدينة دالاس، وكان الجو شديد الحرارة، فسألنا عن درجة الحرارة التي كانوا قد كتبوها بمقياس فهرنهايت، فقال الدكتور حسن البخاري: إنها تسع وثلاثون درجة مئوية، وذلك بعد العصر، وقال: صحيح أن الحرارة هنا شديدة في الصيف، ولكن كل شيء مكيف، حتى سيارة النقل هذه، وإشارة إلى سيارة ماشية أمامنا، إنها مكيفة الهواء.

إننا سنسافر الآن إلى جهتين مختلفتين، ذلك بأن زميلي الشيخ عبد الله بن منيع سيزور ابنه محمداً الذي يدرس في ولاية واشنطن ستيت، وأنا سأزور ابنتي الكبرى شريفة التي تقيم مع زوجها في مدينة هيوستن في ولاية دالاس، وقد اتفقنا على أن نختلس يوماً أو بعض يوم من العطلة الأسبوعية من يومي السبت والأحد، وأن يذهب كل منا لزيارة ولده في مكانه، على أن يكون اجتماعنا في مدينة لوس أنجلوس في ولاية كاليفورنيا يوم الأحد، وهكذا كان، فقد سافر هو إلى سياتل، وأنا سافرت إلى مدينة هيوستن.

فقد ركبت الطائرة التابعة لشركة برانيف، وأعلنت المضيفة أن الرحلة ستدوم أربعين دقيقة، بعد أن غادرت الطائرة المطار في الساعة الثامنة وخمس دقائق، وكانت الطائرة من طراز بوينغ (٧٢٧)، وهي ملأى بالركاب، وكانت ضيافتهم حبات من الفول السوداني المغلف تغليفا فنياً، وكوباً من الكوكالا أو غيرها من المشروبات الغازية، ولأول مرة في هذه السفرة إلى الولايات المتحدة رأيت مضيفة من أصل إفريقي بين مضيفات الطائرة، واتجهت الطائرة جهة الجنوب الشرقي، وكان الجو صافياً في

أول الأمر، ثم أخذنا نرى بعض السحب عندما قاربنا الوصول إلى هيوستن، لأنها واقعة على المحيط الأطلسي.

نزلنا في المطار، ووجدت فيه ابنتي شريفة وزوجها الأستاذ محمد بن عبد العزيز المعارك مدير الشؤون المالية في الملحقية الثقافية السعودية التي مقرها الرئيسي هنا في هيوستن ، وكان استقبالاً يختلف عن الاستقبالات السابقة في هذه السفرة، إذْ كان معظم الذين يستقبلوننا في السابق هم من إخواننا المسلمين الذين تربطنا بهم رابطة الدين، أما هذه المدينة فإن المستقبلين ممن تربطني بهم رابطة القرابة.

ومن المطار إلى البيت الذي يسكنان فيه في إحدى العمارات في ضواحي مدينة هيوستن، وكان الجو حاراً بالنسبة إلى أن الشمس قد غربت، إذْ تبلغ درجة الحرارة حسبما أعلنت المضيفة في الطائرة ٢٦ درجة مئوية، وقضيت أكثر هذه الليلة في جلسة عائلية في البيت.

يوم السبت: ١٦/ ٦/ ١٣٩٧هـ الموافق ٤/ ٦/ ١٩٧٧

مركز الفضاء في هيوستن:

هذا المركز من أشهر المراكز التي تعنى بعلوم الفضاء وأبحاثه، بل وبرامجه في أنحاء العالم، ومن وضعه انطلق أول إنسان وطئت قدمه سطح القمر، ومنه كانت التعليمات تصدر إلى رواد الفضاء بكل ما يفعلونه هناك، ومن وضعه العلمي وتخطيطه هبطت العربة الفضائية على سطح القمر، وفيه توجد عربة أبولو التي نزلت على سطح القمر، ثم عادت إلى الأرض.

وعلى وجه العموم، هو أشهر مركز لعلوم الفضاء في العالم.

لذلك وجب على من يزور هيوستن أن يزور هذا المركز، ويطلع على ما فيه من محتويات ومعلومات، ويشاهد ما في متحفه من محفوظات.

وصلنا إليه الساعة التاسعة تقريباً، ويبعد عن مدينة هيوستن نحو (٤٥) كيلا، ويشغل مدينة خاصة به قريبة من ساحل البحر، وكان رفقاء الرحلة إليه ابنتي شريفة وزوجها الأستاذ محمد المعارك.

كان أول ما شاهدناه من معروضاته نماذج حقيقية حية من الصواريخ الجبارة التي حملت سفن الفضاء، وحملت الصواريخ الكبيرة في التجارب، وهي كبيرة الحجم، كثيرة التعقيد، ويحتاج المرء إلى فهم آلاتها وأدواتها إلى ذهن رياضي وخيال مخطط، وهي في فناء المتحف الخاص بالفضاء، مكشوفة للشمس والهواء، ولكن الشمس لم تؤثر فيها بشيء، ولم نلاحظ عليها أي تغيير، وقد انتصب أحد الصواريخ كأنه المنارة الضخمة في أعلاه قمة هي للسفينة الفضائية التي تنفصل عنه في آخر مرحلة، وفوقها هوائي اللاسلكي كأنه الفنار على رأس المنار، أو قل كأنه المسلة

الفرعونية الهائلة، أو كأنه البرج الشامخ من أبراج القرون الوسطى.

ثم دخلنا قاعة المتحف، وهي قاعة كبيرة ذات أبواب مرقمة، وفي داخل هذه القاعة نماذج لجميع ما يتعلق بالفضاء من مصنوعات، ومن ذلك السيارة القمرية التي صممت للسير بها على سطح القمر، وسارت بالفعل فوق ظهره، وتركها الرُّوَّاد هناك، وهذه نسخة منها تامة دون زيادة أو نقصان، وتكاد تكون عادية المظهر، مألوفة المواد، إلا أن المرء إذا لمس موادها لا يستطيع أن يحس بذلك، لأنها يجب أن لا تكون موادها مألوفة، لكيلا تتأثر بالحرارة الشديدة على سطح القمر.

وقد سمعنا اسم الدكتور فاروق الباز، ورأيناه يتحدث في مقدمة العاملين المشاركين في هذا الإنجاز العظيم من شريط يعرضونه، وهو مصري حاصل على الجنسية الأمريكية.

وكان الوقت ظهراً، فمررنا بالمركز التجاري في مدينة هيوستن، وهو محل تجاري عظيم، يتألف من عدة طبقات، أنزلها مواقف للسيارات من طابقين تحت الأرض، ثم تأتي المحلات التجارية والمطاعم والمشارب، وفي أحدها ميدان للتزلج على ثلج صناعي في هذا الحر الشديد، وقد رأينا القوم من صبيان وصبايا وأطفال يتزلجون ويتمتعون بذلك، ومعهم بعض الكبار، وبخاصة من النساء، فمن بين مستقيم في السير، ومتعثر ساقط، ومن بين مجيد ماهر يتطوى ويتلوى كأنما به مس من الجن.

جولة في مدينة هيوستن:

كانت الجولة في هذه المرة مع أفراد الأسرة، إذْ هي مع الأستاذ محمد بن عبد العزيز المعارك وزوجته ابنتي شريفة، وقد تجولنا في المدينة، فكان أول ما يلفت النظر فيها حرارة الجو حرارة فيها رطوبة، مما يجعلها

ثقيلة علينا نحن الذين عشنا في جو جاف.

وكنا نشاهد أناساً ليسوا من أصل أوربي، ويشبهون العرب، فأخبروني أنهم من المكسيك، وأنهم كثيرون في هذه المدينة، وأخبرتني ابنتي أن النساء من هؤلاء القوم كثيراً ما يكلمنها بالإسبانية ظناً منهن أنها مكسيكية من أصل إسباني.

إن قلب المدينة أو ما يسمى بالداون تاون، يشبه مثيله في مدينة دالاس تمام الشبه، حتى الشارع الرئيسي في المدينة متشابه مع الآخر، ويظهر من منظر المدينة أنها غنية بالأموال، والأمر كذلك، لأنها قريبة من مراكز إدارة أعمال الشركات البترولية الكبرى الشهيرة في العالم.

أما معالمه من المتاحف والحدائق، فلم يكن الوقت يتسع لمشاهدة ذلك، لهذا عدنا إلى البيت لتناول الغداء والاستراحة قليلاً، ومن ثم توجهنا إلى مطار هيوستن.

وكنت أفكر عندما كانت ابنتي تسوق بنا سيارة أمريكية من أحدث طراز في مدينة هيوستن في الطريق إلى المطار، كيف أن ذلك لم يكن يخطر لي ببال، ولا دار في خيالي، وبخاصة أنني أقدم إلى هذه المدينة الأمريكية النائية جهة الجنوب بالنسبة إلى مدينتي نيويورك وواشنطن، وذلك للقيام بمهمة رسمية حكومية، وبنفقة الحكومة، ثم أجد ابنتي فيها حيث تقيم مع زوجها الذي هو مدير الأمور المالية في الملحقية الثقافية السعودية التي مقرها هيوستن، ويعتبر هذا المكتب مسؤولاً عن متابعة (٢١) ألف طالب سعودي يدرسون في الولايات المتحدة الأمريكية.

من المحيط إلى المحيط:

سوف تقوم طائرتنا من مدينة هيوستن على المحيط الأطلسي في شرق

الولايات المتحدة إلى مدينة لوس أنجلوس على المحيط الهادئ في غربها.

وتحركت الطائرة في الساعة الخامسة والربع بتوقيت هيوستن، ويتقدم ساعتين عن توقيت لوس أنجلوس، وهي من طراز سوبر (B ٧٢٧) تابعة لشركة نشنال للطيران.

وكانت الطائرة مليئة المقاعد تماماً، وكان جاري جندياً متقاعداً، أخذ يحدثني عن نفسه، فقال إنه من أصل فرنسي، وإنه قاتل في الحرب العالمية الثانية، وقتل أشخاصاً عديدين، وإن له ولداً وحيداً ليس له به صلة كبيرة.

وقد استمر الطيران مدة ساعتين وربع تقريباً، وكان مقعدي في وسط الطائرة، لذا لم أستطع رؤية الأرض إلا عندما كنا فوق مدينة لوس أنجلوس، إذ أفسح جاري لي لكي أراها.

وهكذا عندما هبطنا في مطار لوس أنجلوس كنا قد قطعنا أرض الولايات المتحدة من شرقها إلى غربها في هذه الناحية، وليس القول بأننا قطعنا من البحر إلى البحر ممكناً فحسب، بل القول الصحيح أيضاً: من المحيط إلى المحيط.

بدت المدينة من الطائرة كبيرة جداً، ولكنها متشعبة متباعدة، أما المطار فإنه كبير، إلا أنه ليس في مستوى مطار دالاس من حيث التنظيم، فعلى سبيل المثال: عندما نزلنا لم نجد في مدخل المطار ما يشير إلى الجهة التي نسلكها لنحصل على الأمتعة، وقد شملت الحيرة غيري من الركاب، وكان الناس من الكثرة فيه بحيث لا تعرف من كانوا معك في الطائرة من غيرهم، ولذلك نزلت إلى الطابق الأرضي متوقعاً أن أجد حقيبتي هناك، فوجدتها.

الشرق الأوسط في المطار:

لم أرَ في الولايات المتحدة مطاراً فيه من الضجة والضوضاء، بل والفوضى كما في هذا المطار، وقد كان الشريط العريض الذي تدور عليه حقائب الركاب ليتسلموها مكوناً من اثنين فقط، على شكل طبقتين، وكان الناس يزدحمون عليها ازدحاماً حتى لا يمكن من يكون مثلي، لا يحب أن يزاحم غيره، من أن يرى حقيبته، فضلاً عن أن يتسلمها، وكان الناس يضجون ويتنادون، والوجوه مختلفة القسمات والسحنات، فالجنس الصيني له وجود ظاهر، وهو الجنس الذي يشمل اليابانيين ومن يشابهونهم، إلا أنه قد تغير كثيراً فأصبح أكثر سمرة، وأقل جمالاً، والوجوه التي تشبه سكان الشرق الأوسط موجودة أيضاً، إلا أنها تختلف في بعض الأحيان في تفاصيل القسمات، وقد علمت بعد ذلك أن هؤلاء من المكسيكيين الذين هم من أصل إسباني أو برتغالي في أغلب الأحيان، ولم أكن أعرف المسافة من المطار إلى قلب المدينة، فتوقعت أن تكون طويلة، وأن تكون سيارة الأجرة غالية، فسألت جندياً في المطار عن الوصول إلى الفندق الذي سأنزل فيه، وهو فندق ((هولدي إن)) في قلب مدينة لوس أنجلوس، وكنت قد حجزت فيه لي غرفة من مدينة دالاس، فقال: إنها لسيارة الأجرة أو الكاب، كما يسمونها، تبلغ خمسة عشر دولاراً، أي نحو (٤٧) ريالا، فقلت وبالحافلة؟ فقال: إنها دولاران ونصف.

فقلت: دولاران ونصف خير لي من خمسة عشر دولاراً، ولكن أتصل الحافلة إلى فندقي؟. فقال: لا أعرف، وعندما أردت الخروج من البوابة رأيت رجلاً يوقف الناس ويطلب منهم قسائم الحقائب، أي الإيصالات التي تعطى للراكب، ولا يكتفي بذلك، بل يقارن أرقامها بأرقام الحقائب، ثم يأذن بالخروج بعد أن يتأكد من ذلك، ولا ينسى أن يمزق الورقة الموجودة على الحقيبة، فذكرت الشرق أيضاً، لأن هذا أمر قد تجاوزه الناس في

أوربا وفي شمال الولايات المتحدة، وكذلك أخذنا نحن نتجاوزه أيضاً في بلادنا، لأن الأصل في الإنسان البراءة من الجريمة، والثقة تجعل الناس يحترمون الأنظمة، وإذا فرض أن شذ بعضهم وأخذ حقيبة غيره فإن ذلك أقل غرامة من عدم الثقة بالجميع.

ولكنني عندما سألت إخواننا بعد ذلك عن هذه الإجراءات، قالوا: إنها بسبب وجود المكسيكيين بكثرة في هذه البلاد، بل إن لوس أنجلوس كانت لهم، لذلك تبلغ نسبتهم فيها النصف أو تزيد، وهم ذوو مستوى منخفض من التعليم، ويكثر بينهم الإدمان على الخمور، وينتشر عدم الصدق لديهم، لذلك يكون الأصل في هذه البلاد أن الجميع سيخدعونك، ويمكرون بك، فتكون على حذر، ولذلك كانت هذه الإجراءات التي تدل على عدم الثقة في المطار وما يشبهه. ثم قصدت كشكاً فيه امرأة تقطع التذاكر للحافلات (الأتوبيسات)، فأريتها عنواني فقطعت لي التذكرة على سيارة قالت: إنها تمر بالقرب من الفندق، ولا تقف عنده، ولكنك تستطيع أن تسير إليه على قدميك. وأعطتني رقم الحافلة، فانتظرتها حتى وصلت.

لوس أنجلوس:

ومعنى تسميتها: (الملائكة)، لأن لوس أداة تعريف، وأنجلوس: ملائكة، وهي من اسم إسباني طويل، وكان الإسبان الذين هم أول من وصلوا إليهم أول من قد سموها بالاسم الطويل، ومعناه: غابة الملائكة، فاختصر إلى الاسم الحالي.

وقفت الحافلة عند فندق هيلتون، وأشار لي السائق إلى جهة قال: إن فندق ((هولدي إن)) قريب، فسرت حتى عجزت، ثم رأيت كشكاً لتأجير السيارات وفيه أربعة رجال مظهرهم مظهر الأوربيين أصلاً، فلما حاولت أن

أسألهم عن الفندق بادرني أحدهم فقال: (تحكي عربي)؟ فقلت: نعم، واللسان العربي من عندنا ظهر، فأخذوا كلهم يتكلمون بالعربية بلهجة فلسطينية، فأرشدوني إلى فندقي، وعندما وصلت إلى الفندق ووجدت غرفتي محجوزة طالبوني بدفع الأجرة مقدماً، فقلت لهم: إن هذا ليس من عادة هذا الفندق وأمثاله من فنادق الدرجة الأولى، فقالوا: هذه هي عادتنا. وقد علمت بعد ذلك أنه كثيراً ما يحدث الاحتيال على الفنادق، ويهرب النزيل دون دفع الأجرة، وأن ذلك بسبب المكسيكيين كما زعموا، فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله. أذلك لكونهم من أصل إسباني، أو قريب منه، وربما كان بعضهم من أصل عربي؟

وطبيعي أن ذلك ليس السبب، وإن كان بعض الذين يستسهلون الحكم على الشيء يقولون به، ولكنه قلة التعليم، وضعف التربية، ونقص المهارة التي يترتب عليها تدني الدخل في هذه البلاد التي تحفل بالمهارات، إضافة إلى عدم الوازع الديني، لذلك تكثر الجريمة والاحتيال، وكانت المرأة التي في الفندق تشبه العرب الذين يميل لونهم إلى السمرة مثل سكان جنوب الجزيرة العربية، فرأيتها تحب أن تتحدث معي، فسألتها من أين هي؟ فقلت لها: من أين أنت؟ فقالت: أمريكية، فقلت: هذا مفهوم، ولكن أصلك؟ فأجابت: إنها من أصل برتغالي.

وعندما اطمأن بي المقام في الفندق خرجت في جولة على الأقدام في المنطقة القريبة منه، وهي (الداون تاون) أو قلب المدينة، وكان هذا من مزايا الطريقة التي أسير عليها، وهي أنني لا أحب أن يستقبلني أحد ممن لهم علاقة رسمية، ذلك بأنني أكون مرتبطاً بهم حال الوصول، مما يفوت عليَّ بعض ما أريد من الاستفادة من الوقت.

وكان معظم الوجوه التي قابلتني في هذا الجزء من المدينة وجوهاً تشبه الوجوه العربية، بل تكاد تسارع فتكلم أصحابها بالعربية، لولا أنك

تتمهل فتذكر أنك في لوس أنجلوس، أو أنك تسمعهم يتكلمون الإسبانية، ووجوه أخرى غريبة الشكل، هي خليط بين الجنس الصيني وجنس آخر غريب الملامح، ذي وجنات بارزة، ووجوه منتفخة، وأنوف عريضة غير مرتفعة، وقد سألت عنهم بعد ذلك فأخبرت أنهم من الصينيين الذين اختلطوا بالسكان الأصليين من الذين يسمون الهنود الحمر.

وقد شاهدت في هذا الجزء من المدينة مظاهر للانحلال الخلقي لم أشاهدها فيما رأيت من المدن الأمريكية، مثل لافتة تعلن أن لديهم في هذا المحل (فتيات)، وأخرى تعلن أن هذا المحل ممنوع من دخوله من يقل سنهم عن الحادية والعشرين، إلى جانب الحركات غير المحتشمة التي يشاهدها المرء من بعض السائرات في الطريق.

إلى جانب محلات كتب عليها الإعلان التالي: (لدينا غرف للإيجار، والمحل مفتوح ليلاً ونهاراً).

يوم الأحد: ١٧/ ٦/ ١٣٩٧هـ الموافق ٥/ ٦/ ١٩٧٧م.

في هوليود مدينة الفن:

اشتريت تذكرة من موظف في الفندق مختص ببيع التذاكر بالحافلات على منطقة لوس أنجلوس، كانت فيها جولات مغرية، إلا أنها تحتاج إلى وقت طويل، مثل مدينة الملاهي التي تسمى (ديزني لاند) التي سمعت عنها كثيراً، وفيها من الملاهي المرئية ما يفوق التصور، ومنها ما هو خطر على ضعاف الصحة، مثل البرنامج الذي يصور لك أنك في الفضاء في مكان قد انعدمت فيه الجاذبية الأرضية، ولكن ليس لدي الوقت الكافي، فمن المقرر أن يحضر رفيقي الشيخ عبد الله بن منيع من سياتل هذا المساء، وأن نبدأ اجتماع عمل في هذه الليلة، لذلك اخترت جولة قصيرة الأمد تستغرق خمس ساعات ابتداء من الثانية ظهراً.

وحملتنا من فندقنا حافلة (أتوبيس) إلى مقر شركة النقل المتخصصة في هذا الأمر، وهي (قراي لاين) أي الخط الرمادي. ومن هناك ركبنا حافلة حديثة مكيفة الهواء، أخرى غير حافلتنا امتلأت بالركاب، فبدأنا السير، وبدأ سائقنا الثرثار يتكلم، ويتكلم دون توقف طيلة الجولة، إلا ما كان من وقوف ونزول من السيارة، وقال في بداية كلامه: إنني سوف أتكلم ببطء حتى أمكن غير الأقوياء بالإنجليزية من متابعتي وحسناً فعل، فقد كنت من أولئك الذين أشار إليهم.

وكان أول ما شاهدناه (مسرح الموسيقى)، وقال السائق: إنه أكبر مسرح للموسيقى في جميع أنحاء العالم، وقد أقيم على مدرجات فوق تل طبيعي، نحتت حجارته، ومهدت أرضه حتى أصبح في غاية الروعة على شكل حذاء الحصان.

ومنه انطلقنا إلى (هوليود)، ومعنى اسمها: (الغابة المقدسة)، وقال السائق: إنها عاصمة السينما في العالم، وقلت أنا: إنها عاصمة الفن، إلا أن الذي ينبغي تذكره أن الفن والسينما والتلفزيون هي أدوات فعالة، إن استعملت في الخير كانت سبيلاً إلى الخير، وإن استعملت في الشر صارت طريقاً إلى الشر، وهم قد استعملوها في هذه المدينة للشر على وجه العموم، فمن هوليود هذه انتشرت الأفلام التي ساعدت على تدهور الأخلاق، وشيوع الانحلال، والدعاية للصهيونية، أما الدعوة إلى التحلل والاعتماد على المادة دون الروح، فذلك يكاد يكون الطابع لأفلامها، لذلك يصح أن تسمى هوليود عاصمة التخريب الخلقي في العالم، على أنه لا يخلو أمرها من أفلام علمية ثقافية، وأخرى تاريخية محايدة، وثالثة مسلية تسلية بريئة، ولكن هذه قليلة بالنسبة إلى غيرها مما هو كما ذكرته.

على أية حال، فإن المرء يلذ له أن يرى موطناً كثيراً ما سمع عنه، وقرأ ما كتب عنه منذ عشرات السنين، وها نحن في هوليود، وهي ضاحية جميلة من ضواحي مدينة لوس أنجلوس، لا يفصل بينهما فاصل من فراغ في البنيان أو نحو ذلك، وأول ما أعلن السائق أننا وصلنا إليها رأينا الإعلانات فيها الصور غير المحتشمة، والأماكن التي تشعر بمثل ذلك، ودور السينما التي تعلن عن الأفلام الخليعة التي يحظر دخولها على غير البالغين حسب القانون الأمريكي، إلى جانب دور العرض الأخرى، وأخذ السائق يشرح لنا ذلك، ثم انتقل إلى مكان جميل آخر من المدينة، مرتفع نسبياً، منسق الشوارع، مزين بالزهور، أجمل ما فيه أشجار من أشجار النخيل من فصيلة غير فصيلة نخيل التمر، ولكنها تشبهها قد غرست على نسق واحد في صفوف منتظمة مستقيمة.

وأخذ يشير إلى البيوت وإلى أرقامها التي كتبت على الأرصفة المحاذية لها، ويقول: هذا بيت النجم السينمائي المشهور فلان، وهذا منزل

الفنانة الذائعة الصيت فلانة، وذلك مسكن فلان، ثم مسكن فلان، كل ذلك والركاب يتابعونه بنظراتهم على الجهة التي يشير إليها من يمين الشارع ويساره، ولمدة طويلة.

وتلك البيوت كلها أو أكثرها تتألف من طابق واحد، وليس عليها طابع من الثراء والوجاهة يجعلها متميزة عن بقية البيوت، إلا الذوق الرفيع في تزيين زهورها، أو تنسيق حشائشها.

ثم أخذ السائق يشير إلى بعض الأستوديوهات الكبيرة التي تصور فيها الأفلام المشهورة في العالم.

وفي النهاية أوقفنا في شارع (بوليفار هوليود) حيث المسرح الصيني، والملهى الصيني، وليس فيه للصين غير التسمية، وإنما أقامه رجل يسمى (سيد)، ومن أبرز ما فيه آثار أقدام بعض الممثلين القدماء، أو آثار أكفهم مطبوعة على الإسمنت، مع عبارات كتبوها بأقلامهم، وذيلوها بتوقيعاتهم، وبعضها قديم التاريخ منذ أربعين سنة، وبعضها أحدث من ذلك.

نجوم هوليود تحت الأقدام:

على رصيف هذا الشارع (بوليفار هوليود) رسموا نجوماً كثيرة ممتدة مع امتداده، كتبوا في كل نجمة اسم فنان أو فنانة، ممن شاركوا في الفن بنصيب، كالممثلين السينمائيين، والمصورين، والرسامين، ورسموا في وسط النجمة ما يدل على عمل ذلك الفنان، مثل آلة التصوير إن كان مصوراً، وما يدل على التمثيل إن كان ممثلاً، ويمر عليها الناس يدوسونها بأقدامهم.

أبو نواس في هوليود:

لم أر من أحسن صنعاً في تسمية محله في (هوليود) كما أحسن ذلك العربي الذي سمى مطعمه (أبا نواس)، وكتبه عليه بالعربية بخط جميل (أبو نواس)، وتحتها بالإنجليزية (مطعم أبي نواس)، وهو أحد العرب المغتربين المقيمين في هذه البلاد.

فمن أجدر من أبي نواس بالمقام في هذا المكان الذي يحفل بالمستهترين والمنحلين، والمتاجرين بالجمال، والمادحين للانحلال بأقوالهم وأفعالهم ؟.

أما الخمر التي أفنى أبو نواس عمره في وصفها مدحاً في أكثر الأحيان، وقدحاً في أقل الأحيان، فهي إليه أقرب من حبل الوريد أنواعاً منوعة، وأصنافاً مختلفة الألوان، من صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها كما قال، وحمراء صافية كالياقوت، وبيضاء أصفى من دموع العاشقين، وقد استجيبت دعوته في هذه البلاد عندما قال:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء   وداوني بالتي كانت هي الداء

فلن يلومه أحد على معاقرة الصهباء في هذه البلاد، ولن يجد فيها من يدله على سبيل الرشاد.

وسوف يرى من الحسان في هذا المكان، ما لم ير مثيله في قديم الزمان، من نجوم طلعت من الغيوم، وعيون تسبي العقول، ورشاقة تصبي الحليم، وخدود يترقرق فيها ماء الشباب، وقد أبيحت دون نقاب أو حجاب.

ومع ذلك فأبو نواس غريب في هذه الديار، لا يؤنس غربته إلا كلمات من اسمه مكتوبة بلغته العربية، التي هي مثله غريبة فيها، و(كل غريب للغريب نسيب).

السوق المكسيكي:

كان آخر مطاف في جولتنا هذه الطويلة في السوق المكسيكي، وهو سوق متفرع من ميدان وسط محلة جميع سكانها من أهل المكسيك، وقد تجولت في السوق فألفيته يتألف من حوانيت صغيرة كلها من مصنوعات المكسيكيين، ومن السلع التي يقبلون على شرائها مثل قرون الثيران، أي: نعم، فهم يبيعونها ملتصقة بالعظم الذي يليها من جمجمة الرأس، بالقدر الذي يجعل القرنين متماسكين، وهي تباع لتعليقها زينة للبيوت، أخذاً من محبة المكسيكيين لمصارعة الثيران.

وهذا السوق يحفل بالنساء المتهتكات الكاسيات العاريات، وكلهن من ذوات اللون الخمري والشعر الأسود، وأحياناً يكون اللون داكناً، أما القسمات ففيها غرابة بعض الشيء عما ألفناه في بلادنا في الشرق، وقد رأينا حلقة من الفضوليين حول فرقة من الأطفال الصغار يعزفون الموسيقى، ولا تبعد كثيراً عن الموسيقى الشعبية العربية، ومع هذه الحلقة عجوز قد لبست لباس الساحرات، يريها الناس أكفهم لتقرأ لهم المستقبل، وقد رأيتها أخذت بيد شاب، وجعلت تركز نظراتها على عينيه، ثم أخذت تربت على كتفيه، وتدلك بيديها جنبه وذراعه، حتى كاد أن يستسلم إلى نوم عميق، ثم أخذت تقبله على خديه، وكأنما صحا من ذهول، وهي قد لبست لباساً أبيض فضفاضاً، وعلى رأسها منديل ليس ببعيد الشبه من الكوفية العربية، والناس معجبون بفعلها، منتبهون له.

وثم بعض المأكولات هناك، فالفاكهة مثل البطيخ الأحمر (الحبحب)، والأخضر (الخربز)، والخيار، يشترونها، ويضعون عليها الملح وشيئاً لا أعرفه يشبه الصلصة، ثم يأكلونها.

وفي الختام أنهى السائق الذي هو دليل الجولة في الوقت نفسه جولتنا

بالوقوف أمام مركز الحافلات لشركته، وودعناه شاكرين ثرثرته المتواصلة، وهو غريب الشكل، فهو إلى الزنوج أقرب في اللون، إلا أن تقاطيع وجهه ليست تقاطيع الزنوج، مما حمل إحدى الراكبات معنا، ويظهر أنها زنجية غنية، على أن تطلب منه أن يقف أمامها لتلتقط له صورة، وقد فعل. ومن هناك نقلتنا حافلة أخرى، فوزعت الركاب على فنادق خمسة، كان السائق قد عدها من قبل، كان من بينها الفندق الذي أنا فيه.

في جامعة جنوب كاليفورنيا:

وفق موعد سابق ذهبت مع الأخ سعد الدين العزاوي مدير مشروع المعهد الإسلامي في لوس أنجلوس، والأخ سالم رئيس فرع اتحاد الطلبة المسلمين في هذه الجامعة، وذلك للاجتماع في شقة الأخ خالد بن محمد الحمدان، وهو سعودي يحضر دكتوراه في هذه الجامعة في موضوع القوة الكهربائية، وقد دعانا لتناول طعام العشاء في بيته، وحضر زميلي الشيخ عبد الله بن منيع من ستايل، وضم الاجتماع عدداً من المهتمين بالنشاط الإسلامي في هذه المدينة من الطلاب وغيرهم، وكانت سهرة عذبة تناولت الشؤون الإسلامية في هذه البلاد، وقد ضمت الجلسة عدداً من إخواننا الطلاب المسلمين من سعوديين وعراقيين وهنود ومن الإمارات العربية المتحدة.

وقد علمنا منهم أنهم يقيمون صلاة الجماعة فجراً وعشاء، كل يوم في بيت واحد منهم، أما الأوقات الأخرى، فإنهم لا يستطيعون الاجتماع بسبب تفرقهم في كليات الجامعة لتلقي الدروس، أما صلاة الجمعة فإنها تقام في الجامعة، ويحضرها عدد طيب منهم ومن غيرهم من المسلمين، ويؤمهم لصلاة الجمعة، ويتولى الخطبة واحد منهم، يتناوب معه بعض

إخوانه الذين يحسنون الخطبة، وتقام صلاة الجمعة في عدة أماكن في لوس أنجلوس، هي جامعة جنوب كاليفورنيا هذه، وجامعة كاليفورنيا، ومسجد المؤمن، ويسمى (مسجد جماعة الإسلام) وهو مصلى ليس مسجداً كامل البناء، أي: إنه منزل صغير اشتراه الجماعة، وجعلوا يصلون فيه، وكذلك الحال بالنسبة إلى الجامعتين المذكورتين، فالصلاة تتم في غرف تأذن الجامعة بإقامة الصلاة فيها.

ويسكن الإخوان المذكورون متجاورين في المساكن التي خصصتها جامعة جنوب كاليفورنيا للطلاب المتزوجين ضمن مبانيها وداخل أسوارها، وقد صعدنا إلى شرفة الطابق الرابع من هذه المنازل قبل غروب الشمس بقليل مع عدد من الإخوان، وكان المنظر جميلاً، إذْ مباني الجامعة متفرقة، يفصل بينها مساحات واسعة من الفضاء، في بعضها مواقف للسيارات منتظمة مرتبة، تؤجرها الجامعة لطلابها، فتطلب مبلغ ٣٤ دولاراً عن السيارة الواحدة لكل ستة أشهر.

وهذه الجامعة عريقة لن يمضي وقت طويل حتى يبلغ عمرها مائة عام، وهي في الأصل جامعة تبشيرية، ولها أوقاف وعقارات تدر عليها ما تحتاج إليه من مصروفات، وتدرّس كافة الفروع العلمية من نظرية وعملية.

وعندما كنت مع الإخوان في شرفة الطالب، وقد تدنت الشمس للمغيب، تذاكرنا معهم موضوع القبلة، وإلى أي جهة يصلون، إذ هم قريبون من انتصاف المسافة في الكرة الأرضية بالنسبة إلى بعد المكان عن الكعبة، بمعنى أن من يكون قبل هذه فإنه يتجه في صلاته إلى الشرق، كما هي الحال في الولايات المتحدة، أما من يكون موقعه ذاهباً إلى جهة الغرب أكثر من ذلك، فإنه يتجه إلى الغرب كما عليه الحال بالنسبة إلى من يكون في اليابان، والشأن في تحديد الموقع هناك لمن هو بينهما،

فأخبرونا أنهم يصلون إلى جهة الشمال الشرقي، وقد عملنا ذلك بالفعل عندما صليت معهم المغرب والعشاء، والذي أعتقده أن جهتهم هي الشرق، لأنهم لم يبلغوا نقطة التساوي بين الشرق والغرب بالنسبة إلى موقع الكعبة المشرفة.

يوم الإثنين ١٨/ ٦/ ١٣٩٧هـ الموافق ٦/ ٦/ ١٩٧٧م

مدرسة قرطبة:

مدرسة قرطبة: مدرسة ابتدائية لا يزيد عدد الطلاب فيها عن (٢٧) طالباً، قام على إنشائها الأخ سعد الدين العزاوي، وهو عراقي متزوج من أمريكية، ومقيم في هذه البلاد، وهي جزء من مشروع كبير رسمه الأستاذ العزاوي في خطة تتضمن إنشاء روضة للأطفال، ومدرسة ابتدائية وثانوية وكلية إسلامية، ومعهد لتعليم اللغة العربية لغير العرب، ومعهد لتعليم الإنجليزية للعرب القادمين إلى هذه البلاد، ممن يحتاجون إلى دراستها من العرب القادمين، ومكتبة إسلامية. ولكن لم يتحقق منه إلا مدرسة قرطبة مع، أنها ناشئة، وتعمل على نطاق ضيق بسبب ضعف الإمكانات، وشح الموارد المالية، ويعمل معه في هذا المشروع إخوة كرام، ويأملون أن يتحقق مشروعهم على المدى الطويل، وتشغل المدرسة الآن بيتاً صغيراً مستأجراً في منطقة غرب مدينة لوس أنجلوس في حي يسمى ((كلفرستي)).

مارينا دول رى:

هذا هو اسم جزء من شاطئ مدنية لوس أنجلوس الواقع على المحيط الهادئ، وهو شاطئ جميل المنظر في خليج صغير يدخل إلى الأرض، وهو ميدان سباق القوارب التي تقام لها السباقات في هذه البلاد، وفيه يوقف المترفون والهواة الأغنياء قواربهم، ولكن البلدية لم ترد أن تحرم من ليسوا كذلك من عامة الناس من التمتع بجمال هذا الشاطئ، وقضاء أوقات الإجازة فيه، فأقامت فيه مظلات خشبية متفرقة، فيها كراسٍ للجلوس، وحولها الحشائش المنسقة ترويها النافورات الآلية التي ينطلق منها الماء،

فيرش تلك الحشائش وما حولها من الزهور رشاً ينطلق كأنه الدخان الخفيف، أو قل كأنه الضباب الذي يبدو جميلاً تحت شمس لوس أنجلوس الساطعة، وإلى الداخل قليلاً أقامت أكواخاً خشبية، في داخلها كراسٍ خشبية، وطاولات لوضع الطعام عليها، وبالقرب من ذلك دورات مياه نظيفة، يجري فيها الماء حاراً وبارداً، وفيها الصابون ومناشف الورق، وذلك كله نظيف غاية النظافة، تشعر إذا دخلته كأنك في بيت حديث، مع أنها مراحيض عامة، وفي الشاطئ عدة مواقع لمياه الشرب، يدير المرء صنبوراً فيندفع الماء صاعداً، فيتلقف بفمه ما يحتاج إليه ويشربه.

وعلى الشاطئ مباشرة - تقريباً - أقيم برج خشبي يصعد عليه بسلالم خشبية، يرقاه من يريد أن يرقب حركة الزوارق في الشاطئ، ولا يتسنى له ذلك من الأرض. وللمحافظة على نظافة هذا الشاطئ انتشرت فيه أوعية للنفايات، داخلها أكياس من اللدائن (البلاستيك) النظيف مفتوحة، وما على عامل النظافة إذا أراد تفريغها إلا أن يلملم أطرافها، ويأخذها بما فيها، والمهم أن الشعب يتجاوب مع رغبة الحكومة في نظافة هذا المكان، حتى إنك لا تجد قطعة من الورق في الأرض، وقد رأيت شيخاً هرماً قام من مقعده، وسار يتعثر في خطوه حتى وصل إلى وعاء القمامة، وألقى فيه ورقة كانت بيده.

إننا على المحيط الهادئ جئنا للنزهة والغداء، وقد رأى أخونا العزاوي أن أنسب ما يحسن أكله في غداء على البحر هو السمك، وهكذا افترشنا الحشيش على الأرض تحت شجرة وارفة الظلال في هذا المكان الشاعري الحالم، وأخذنا بتناول الطعام، ولا يعدم المرء بين الفينة والأخرى أن يمر به وجه جميل، أو قوام طري، فيزيد المقام شاعرية ورونقاً، ولا بد للصورة من أن تكتمل، فيمر بنا وجه شيخ كهل، قد جاء إلى هذا المكان ليزجي يوماً من أيامه، أو ليستعيد حلماً من أحلامه، ولعله يكون له فيه ذكريات

من ذكريات الشباب، أو هوى غاب كما غابت معه شمس شبابه، وقد مرت بنا امرأة عجوز قد أثقلت كاهلها السنون، وأرهقها حمل جسمها الضخم، فلما حاذتنا التفتت إلينا ونحن نأكل، وقالت: هذا أحسن من أي مطعم!

ولعلها تريد بذلك أن تجد وسيلة لكي يتكلم معها متكلم، أو يتبادل معها الحديث متحدث.

وما أقسى الشيخوخة في هذه البلاد التي ضربت في المدنية المادية بأكبر سهم؛ حيث لا تكون الحياة النشيطة إلا للأقوياء، أما الشيوخ والعجائز فإنهم لا يجدون من يتصدق عليهم حتى بالكلام.

أما ما يحتاجون إليه من طعام أو شراب، فإنه في الغالب مكفول لهم إما من جهة تصرف لهم ذلك إجباراً من معاشٍ تقاعدي لهم، أو من هيئة خيرية تصرفه اختياراً من باب الإحسان، ولكن ذلك يكون بقدر الكفاية أو دون الكفاية، وليس مجرد الطعام والشراب بكاف لشخص بلغ أرذل العمر، فأصبح يحتاج إلى العطف والحنان، كما يحتاج إليه الطفل الصغير.

مستشفى الكلاب والقطط:

مررنا في طريق العودة إلى الفندق بمحل كتب عليه (مستشفى الكلاب والقطط).

ويعجب المرء أن يوجد مثل هذا المستشفى في الوقت الذي توجد فيه شعوب كبيرة ليس لديها مستشفى للمرضى من بني آدم، لا شك أن الذين عمروا هذا المستشفى بإرسال قططهم وكلابهم إليه للاستشفاء فيه، إنما حملهم على ذلك وجود النقود، وشيء آخر له صلة بما ذكرناه عن مدينة نيويورك، وهي أن كثيراً منهم أو أكثرهم قد عدموا العطف والوفاء من

بني آدم، فوجدوا ذلك أو بعضه في الحيوان، لذلك صاروا يحافظون على حيواناتهم الأليفة، مثلما يحافظون على أصدقائهم من بني آدم أو أكثر.

أما موضوع علاج الحيوان إذا مرض وتخفيف ألمه، فإنه أمر وارد في الشرع الشريف؛ حيث ورد أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض (حديث صحيح).

وورد حديث آخر أن رجلاً من بني إسرائيل، ويروى ممن كان قبلكم أي من الأمم الأخرى رأى كلباً يأكل الثرى من العطش فنزل في بئر وسقاه فغفر الله له.

جولة ليلية:

أخونا زيد محمد نعمان، هو عراقي من الموصل، يحضر للدكتوراه في موضوع الحاسبات الآلية في جنوب كاليفورنيا، ومن النشطين في الدعوة الإسلامية، وهو عضو المعهد الإسلامي، مر علينا بسيارته مع غروب الشمس للقيام بجولة على بعض أنحاء مدينة لوس أنجلوس وفي هوليود، وكان أول ما قصدناه مرصد النجوم المقام على هضبة عالية تطل على مدينة لوس أنجلوس، وذلك على أمل الدخول إلى المرصد، ورؤية الأجرام السماوية من خلاله، وهذا المرصد من أشهر المراصد، ولكن كان حظنا سيئاً، إذْ كان الجو لا يخلو من الضباب، ثم وجدناه مغلقاً لا يفتح إلا في العاشرة هذا اليوم الإثنين، وصعدنا إلى شرفة عالية من المرصد، وشاهدنا مدينة لوس أنجلوس وضواحيها تحتنا، وهي تتوهج تحت الأضواء الخافتة بسبب الضباب الذي كان متدنياً، حتى إنه يغشانا وينزل تحتنا، وفي هذا الجو الجميل الذي قد رقَّ هواؤه، حتى أصبح نسيماً بارداً ليس فيه من غلظ هواء البحر، ولا لفح حرارة الشمس في نهار هذه المدينة شيء افترشنا الأرض، وصلينا المغرب، ثم درنا حول القبة العظيمة التي تعلو

المرصد، والتي تفتح فتنفرج عن وجه المنظار المقرب الضخم (التلسكوب)، فيرى المرء من خلاله من عوالم السماء العظيمة ما لم يكن يخطر بباله.

ثم انحدرنا إلى شارع هوليود الشهير المسمى (بوليفار هوليود)، فتمشينا فيه بعض الوقت، وكان مسك الختام عشاء في مطعم ياباني: حيث يأتي الطباخ ويعد الطعام على المائدة التي تجلس عليها وأنت تنظر، وسيطول عجبك من مهارته، وسرعة حركة يديه في الطبخ، ولكن عجبك سيكون أكثر إذا ذقت ذلك الطعام المكون في أغلبه من الخضراوات والزيوت النباتية، مضافاً إليها مما هو مالح وحامض وحار، ما يجعلها مقبولة مستساغة، وقد أبى مضيفنا الأخ زيد محمد نعمان إلا أن تكون وجبة دسمة حافلة، فجزاه الله خيراً.

يوم الثلاثاء: ١٩/ ٦/ ١٣٩٧هـ

من لوس أنجلوس إلى شيكاغو أو من أقصى الجنوب الغربي إلى أقصى الشمال الشرقي:

غادرنا فندقنا في الساعة السابعة صباحاً إلى مطار لوس أنجلوس، وشاهدنا في طريقنا إليه ما شاهدناه في القدوم من المضخات الضخمة التي تحركها رافعات تشبه الحفارات الإرتوازية ذات المضراب الرحوي التي تستعمل في حفر الآبار العميقة، وقد علمنا أنها كلها تستعمل لسحب بقايا البترول الموجود تحت أرض هذه المدينة مدينة لوس أنجلوس، وقد رأيت في طريق المطار عدداً كبيراً منها، ولعل ما لم أره أكثر من ذلك، وهم يفعلون ذلك حرصاً منهم على أن يرشفوا كل قطرة من البترول في هذه الأرض، ولم يكن الأمر كذلك في بداية الأمر، ولكنه أصبح على ما هو عليه بسبب كثرة السحب، ومن ثم انخفاض الضغط في الأرض.

ولهذا السبب قيل ما قيل من أن مدينة لوس أنجلوس تغوص في الأرض بمعدل بضع سنتيمترات في فترة زمنية محددة، ونقص البترول هذا، أو شح آبارها هو الذي جعل الولايات المتحدة يتزايد اهتمامها ببلادنا العربية التي تنتج البترول، ولكن ضعف العرب، ونفوذ اليهود في الولايات المتحدة لا يجعل سياستها تتأثر كثيراً بهذا الأمر.

وفي تمام الساعة الثامنة والدقيقة العشرين صباحاً تحركت بنا طائرة شركة (أمريكان أير لاين) شطر مدينة شيكاغو، وأعلنت المضيفة أن الرحلة ستدوم أربع ساعات إلا عشر دقائق دون توقف، أي أبعد مما بين الرياض وجدة ثلاث مرات، وأن مستوى ارتفاع الطائرة سيكون سبعة وثلاثين ألف قدم.

وبعد أن ارتفعت الطائرة صارت تطير فوق جبال سييرانفادا التي سماها الإسبان بهذا الاسم عندما وصلوا إلى هذه المنطقة من البلاد الأمريكية على اسم جبال سيرانفادا في إسبانيا، ثم أصبحنا نرى صحراء سيرا نفادا المشهورة بكونها ميداناً للتجارب الذرية الأمريكية، وهي صحراء لأن جبال سييرانفادا المذكورة تحجب عنها الرياح المحملة بالأبخرة التي تنطلق من المحيط الهادئ.

ومنظر هذه الصحراء لا يختلف عن منظر الصحراء في بلادنا من الطائرة بقليل أو كثير، فلا ترى فيها زرعاً ولا عمارة إلا بين فينة وأخرى ترى بقعة صغيرة كأنها سفرة الطعام تدعو المحلقين في الجو إلى النزول عليها إذا كان في ذهنهم الصحراء العربية وضيافتها التقليدية، وقد كان الجو صافياً شديد الصفاء، فلا غيوم ولا عواصف، ولا ضباب في هذه الصحراء الأمريكية، وكانت الأجزاء الشرقية من الجبال التي تليها أيضاً جدباء خالية من الخضرة، فكان الناظر إلى الأرض رغم ارتفاع الطائرة يرى كل شيء واضحاً تحته كل الوضوح، وقد استمرت الصحراء تماشينا مدة طويلة، وقدموا لنا طعام الإفطار بيضاً مقلياً، وشرائح من لحم الخنزير، فكرهنا الطعام لأنه مختلط باللحم، واكتفينا بشيء من الكعك الذي كان معه.

وبعد ذلك أعلن قائد الطائرة أننا لا نزال على ارتفاع (٣٧) ألف قدم، وأن سلسلة جبال الركي هي على يسارنا، يمكننا رؤيتها لصفاء الجو، وقد رأينا الأجزاء الداخلية منها من هذا الارتفاع جدباء ممتلئة بالشقوق العميقة.

مطار شيكاغو:

ويمكن أن نقول مدينة مطار شيكاغو، فالمطار كبير إلى درجة أنه

لو أحصي جميع الذين يدخلونه يومياً أو يخرجون منه من عاملين ومسافرين ما بين آيبين ومغادرين، لبلغوا مقدار سكان مدينة متوسطة، ولو أن مساحته مع مدارجه وساحاته أحصيت سعة، لبلغت مساحة إحدى المدن القديمة المشهورة في التاريخ، فهو كبير إلى درجة أن يضيع فيه من لا خبرة له بالطيران رغم اللوحات الإرشادية والإعلانات المكتوبة على كل ركن فيه، وإذا أخطأ المرء في رقم من الأرقام فقد يكون بينه وبين الرقم الصحيح مسافة، تُضل غير الخرّيت، ويظل يسير على قدميه، ويسير حتى يخشى أن يكون قد خرج من المطار.

كان الجو صاحياً عندما وصلنا المطار، وكان بارداً بالنسبة إلى جو لوس أنجلوس، بل وكان الفرق بينهما في درجة الحرارة كبيراً.

ووجدنا في المطار مندوباً عن الأخ هربرت محمد شقيق ((وارث الدين محمد)) رئيس المسلمين البلاليين في الولايات المتحدة، وكان اسمهم سابقاً ((المسلمين السود))، و((هربرت محمد)) له عمل آخر، فهو مدير أعمال محمد علي كلاي بطل العالم في الملاكمة للوزن الثقيل لسنوات عديدة، ولا يزال، ولذلك هو غني ذو ريع كبير من المال، وكان قد اعتزم إقامة حفلة كبرى لأخيه ((وارث الدين والس)) المذكور تكريماً له، دعا إليها عدداً من كبار المسلمين في الخارج من المهتمين بالدعوة، ودعا إليها من داخل الولايات المتحدة أعداداً من غير المسلمين من كبار السياسيين ورجال المال والأعمال، إلى جانب رجال الصحافة والإعلام، وكنا قد أبلغنا تلك الدعوة في مؤتمر الطلبة المسلمين في جامعة أنديانا شخصياً، كما اتصل بنا فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز هاتفياً، لكي يبلغنا بأن نحضرها.

أخذنا المندوب، وهو من إخواننا السودانيين، على سيارة فخمة من طراز كاديلاك، أقلتنا من المطار إلى الفندق الذي حجز لنا فيه غرفاً، وهو

فندق ((حياة رجنسي شيكاغو)) شقيق الفندق الذي نزلناه في مدينة ديترويت، وقدمت ذكره، ولكن هذا دونه في أكثر الأشياء، لأنه أقدم منه بناء، وطرازاً، وتنظيماً.

استرعى انتباهنا عندما نزلنا من المطار فوارق بين سكان الجنوب الغربي في لوس أنجلوس وبين الشمال الشرقي في شيكاغو، منها أن لغة هؤلاء أوضح لنا، وأفصح نطقاً، فأهل الجنوب ينطقون الإنجليزية بسرعة، لا يعرف أنها الإنجليزية مَنْ كان يعرف اللغات من نبرات الصوت دون فهم المعنى، وأهل الشمال أصفى ألواناً، وأنضر وجوهاً من أهالي الجنوب الذين كان لتأثير الجو والاختلاط بالمكسيكيين أثر كبير على ألوانهم ومظاهر أجسامهم.

مع إمام المسلمين البلاليين:

فور نزولنا في الفندق في الساعة الخامسة أخبرنا أخونا الدكتور تيجاني أبو جديري، وهو سوداني من أوائل المؤسسين لاتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا، ولا يزال يعمل فيه، ويعمل إلى ذلك لدى الإمام وارث الدين محمد والس زعيم المسلمين البلاليين، يريد أن يقابلنا مقابلة خاصة في جناحه في الفندق، وكنا قد رأيناه واجتمعنا به في الرياض عندما كان في زيارة للملكة العربية السعودية في أوائل هذا العام الهجري.

وكان موعد الحفلة المذكورة في الساعة السادسة والنصف مساءً، وهذه بدايتها، فذهبنا إليه في الساعة السادسة، وجلسنا في انتظاره، فحضر في الغرفة ١٩، أخوه هربرت محمد مدير أعمال محمد علي كلاي والداعي إلى الحفلة المشار إليها، وأخوه الأصغر أكبر محمد، وهو يعرف العربية بطلاقة، عرفها عندما درس في مصر لمدة سبع سنوات، وهو الآن

أستاذ في إحدى الجامعات الأمريكية، وكانت تحيتهما حارة، وأخذنا معها بعض الصور، ثم خرج علينا الإمام وارث الدين هاشاً باشاً محيياً، وقد أطلق لحيته، وعلى وجهه بهاء الإيمان ووقاره، وذكر المملكة بخير، وأخذ معنا صوراً تذكارية، وجلسنا معه بعض الوقت، ثم نزلنا إلى الطابق الأرضي من الفندق، وهو مكان الحفلة، وعندما خرجنا من عنده لفت نظرنا ما سبق أن لاحظناه عند الدخول إليه كثرة الحراس الذين يقفون على بابه، وتعدُّدهم وكونهم يقفون في مواقف متعددة، وهم أشداء الأجسام، حديدو النظرات، ولكنهم ينظرون إلينا بملابسنا العربية نظرات الود والاحترام، ويبادروننا بالتحية الإسلامية قائلين: السلام عليكم، ولو كانوا هم الواقفين ونحن نسير.

الحفلة الكبرى:

لم أرَ في حياتي حفلة منظمة منسقة مرتبة أكثر من هذه الحفلة، وربما ذلك لعدم حضوري كثيراً من الحفلات، ولكن هذه كانت كبيرة جداً، ومنظمة تنظيماً دقيقاً، وكان عدد المدعوين الذين يحملون بطاقات فيها ألفا مدعو، وأظن أن هناك غيرهم من الناس ممن حضروا ليشاركوا أو يعاونوا، وكانت محروسة من رجال مدربين، بل كان الفندق كله محروساً كذلك، والحراس الذين في الحفلة يعرفهم المرء من نظراتهم الفاحصة، ومن انتفاخ جنوبهم بالمسدسات وغيرها من قطع السلاح، وذلك كله اتقاء للأخطار من أعداء جماعة البلاليين الذين بينهم وبينهم ثارات وعداوات قديمة.

نزلنا إلى الحفلة في الطابق الأرضي من فندقنا بزينا العربي الكامل، بما في ذلك العباءات، فكانت ملابسنا محط أنظار من نمر عليه، أو نصل إليه من الأجانب، وفي أول مكان التجمع للحفلة في قاعة صغيرة أعدت

ليقف فيها خمسون من كبار الضيوف والمدعوين، استقبلتنا فتاة بيضاء، أو قل خلاسية، وابتدرتنا دون استشارة بأن وضعت في عروة سترة كل واحد منا وردة كبيرة، وكان هذا فعلها مع جميع كبار المدعوين، وهي قد أخذت زينتها الكاملة من ثوب زينته على صدرها، وطلاء قد وضعته على وجهها، وابتسامة مستمرة طبعتها على ثغرها، ولا أدري من تكون، ولا أية صلة تصلها بالحفلة، ومن هناك تسلمتنا امرأة أخرى نَصَف العمر، لونها بين لون الحمر والسمر، وهي امرأة من أصل إفريقي صقلته البلاد الأمريكية، حتى أذهبت عنه السواد، ولم تمنحه البياض، فبادرتنا بكل جرأة سائلة عن أسمائنا، ومن نكون؟ فأخبرناها بذلك، فنظرت إلى ورقة في يدها، ووجدتها فيها فأوقفتنا في موقف بين صف من كبار الزوار تأمرنا بأن نتقدم ونتأخر كما يأمر القائد الحازم جنوده المهملين، وذلك كله تحت بصر كبار المدعوين وملاحظاتهم التي ركزوها علينا استغراباً للباسنا العربي النادر، بل غير الموجود في هذه البلاد.

وكدت أقول في نفسي: لماذا تفعل ذلك؟ ولماذا لا توحي إلينا به إيحاء لا يصل إلى حد الأمر؟ فنفعله نحن كما تريد، ولكنني رأيتها تفعل ذلك مع كل المدعوين، وبينهم حاكم مدينة شيكاغو التي تعد سبعة ملايين نسمة، ووزير الأمور الخارجية في حكومتها المحلية، وفيها العضو الزنجي الوحيد في مجلس الشيوخ الأمريكي، وفيها أيضاً من أعضاء الكونغرس الأمريكي عدد، ومن كبار رجال المال والأعمال ومديري الشركات، وأعلام الصحافة والأدب، من بيض وسمر وسود عدد كبير.

وتبينت بعد ذلك حكمة هذا التدبير، فقد جاء الإمام وارث الدين محمد فوجد الناس وقوفاً صفوفاً على أقدارهم، وكانت تلك المرأة تسير على ترتيب الأسماء حسبما وضعوه قبل ذلك بوقت كبير، فأخذ يمر على الصفوف يسلم عليهم ويصافحهم واحداً واحداً، ويبتسم لكل منهم، وربما

كان مع الابتسام منه كلمة أو كلمتان، أو جملة أو جملتان، فسلمنا عليه معهم علىلاً بعدنهل، وكانت عدسات التلفاز تتابع خطواته، وتترصد كلماته، تسجل ذلك كله في الأشرطة.

وبعد أن اكتمل هذا السلام أمروا من كانوا في المقدمة من المدعوين وهم نحو الاثني عشر رجلاً وامرأة واحدة أن يتقدموا، وكنت أحدهم، فسرنا حتى مشارف القاعة الكبرى التي ستقام فيها الحفلة، وجعلونا ننتظر وقوفاً حتى يلحق بنا من ينظمونهم منهم بعد ذلك، واستمر وقوفنا نحو ربع ساعة أو يزيد، ثم قادونا إلى منصة الشرف في القاعة، مخترقين موائد مستديرة الشكل، كل مائدة عليها ثمانية كراسٍ، وأصعدونا منصة الشرف، وأجلسونا في صف طويل يطل من علو قليل على بقية المدعوين الذين ازدحمت بهم القاعة الكبرى على سعتها، فرأيناهم وهم ملتفون حول تلك الموائد معهم نساؤهم، من متبرجات ومستترات وما بين ذلك من درجات، وهم وهن من مختلف الألوان، ما بين شقر وبيض ودهم وسمر إلى سمر وسود، وقد جمعت هذه الحفلة من الأديان، كما جمعت من الألوان، فقد دعوا إليها المسيحيين من مختلف النحل، كما دعوا غيرهم من الملل، بل قيل لنا إن فيها بعض اليهود، وغرضهم في ذلك فيما قيل لنا: أن يسمعوا الناس صوت الإسلام، وإن المسلمين موجودون في هذه البلاد، وذلك عن طريق التوذد لا التشدد، وبواسطة الإعلام والكلام.

وليروهم بواسطة من حضر حفلتهم - من خارج الولايات المتحدة - أن المسلمين في أمريكا بعض من كل، وجزء من مجموع، وأن صلتهم بإخوانهم هناك متينة.

ويقولون: إنهم يكفيهم هذا نجاحاً، أما ما ينتظرونه معه من أن يرتفع قدر المسلمين في العيون، أو أن يهتدي إلى دين الله من ليس على الإسلام، فذلك أمر محتمل ومظنون.

وأمر آخر وضعوه في أذهانهم حينما خططوا لهذه الحفلة الكبيرة، وهو أنهم في عهد زعيمهم السابق (أليجا محمد) عندما كانوا يسمون أنفسهم (المسلمين السود)، كانت دعوتهم تتسم بالعنصرية والانعزالية، فأرادوا بدعوتهم هذه أن يظهروا أنهم يحاربون العنصرية عن طريق دعوتهم للبيض وغيرهم من سوى السود، وليظهروا أنهم ليسوا من ذوي الانعزالية عن طريق دعوتهم لذوي الديانات الأخرى من سود وبيض.

وعندما جلسنا في صدر المجلس كانت الأنوار الكاشفة القوية تسلط على وجوهنا نحن الذين اعتبرونا كبار الضيوف، وكانت عدسات التصوير تتلامع يكاد ضوؤها يذهب بالأبصار، أما مصورات التلفاز فهي في حركة دائمة، ولم تهدأ إلا بعد أن أعلن المكبر أننا يمكن أن نبدأ بأكل طعامنا، وكان الصحن الجاهز أمام كل ضيف على حدة هو الفاكهة والسلطة الخضراء، وقد بدأنا بالفاكهة أولاً، وكذلك فعل الجميع، ثم ثنينا بالسلطة الخضراء، ونسيت أن أقول إننا وجدناهم قد كتبوا اسم كل شخص على مكانه أمام المقعد في المائدة، ثم جاؤوا بعد ذلك بالطعام السخي، وكان شواء من لحم البقر لذيذ كثير، معه شيء من الخضراوات جيد، ثم جاؤوا بالشراب ماء نقياً، قد أغرقوا فيه قطعاً صغيرة من الثلج البلوري الشفاف حتى لا تكاد تفرق بينه وبين كأسه الشفاف، وهذا هو الشراب كله فلا شيء من المسكرات ولا من أقارب المسكرات كالبيرة وما خف من المشروبات، ثم أتوا بالقهوة والشاي، بمعنى لك الخيار أيهما يقع عليه منك الاختيار يملأ كأسك حتى الثمالة، ثم يعودون يسألونك أتطلب بعد النهل علالة؟

وأما الحلوى فقد أحضروها، وأحضروا معها الذي يسمى الكيك، وتسميته هذه أخذها الأوربيون من العرب دون أن يدركوا أنه ليس بين الكيك والكعك من نسب، فالكعك في العربية الفصحى جاف يبيس، لا

يكاد يستساغ إلا بالماء، ولا يدفع إلا إذا كان بالشدة يبلع، أما الكيك المحدث فإننا نعرفه حلو المذاق، طيب الأعراق، ينتمي نسباً إلى الدقيق، ومعه البيض والرحيق.

وهم على تلك المائدة يأكلون ويشربون، ويضحكون ويطربون، دون أن يكون فيها مسكرات، أو مشروبات منكرات، وهم أيضاً يتمهلون ولا يهملون، ويتلفتون ولا يتفلتون، وكثيراً ما رأيناهم إلينا ينظرون، فهم بثيابنا يتفرجون، ومنها يعجبون، ونحن كذلك فاعلون، وإن لم يكن في ملابسهم ما تستنكره العيون، إلا ما كان من أمر ثياب النساء المستهترات ولِبْساتهن المختلفات.

هذا وقد جعلوا الموسيقى تصدح بالألحان، ويرفرف صوتها في الآذان، هادئة هدوء النسيم، منسابة انسياب الجدول الكسلان ذي الصوت الرخيم.

وبعد ذلك أعلن المذيع أن زوجة مضيف الجميع الأستاذ هربرت محمد سوف تتكلم، وكانت بذلك أول المتكلمين، ولم يتقدم للمنصة غيرها من النساء. إلا ابنة أحمد سوكارنو رئيس جمهورية إندونيسيا السابق، فتكلمت زوجة المضيف، ورحبت بالجميع، وأوضحت أن هذه الحفلة أقامها زوجها تكريماً للإمام وارث الدين محمد.

ثم تتابع الخطباء والمتكلمون يتحدثون حديثاً مختصراً مفيداً، بحيث لو جمع كلامهم كله لكان دون كلام بعض هواة الكلام من الخطباء في بلادنا العربية، المبتلاة بكثرة الكلام، وقلة الفعال في هذا الزمان.

وكان من بين المتكلمين، بل كان أولهم بعدها حاكم مدينة شيكاغو الذي أعلن بأن هذا اليوم سيعتبر يوم (وارث الدين محمد) في مدينة شيكاغو من كل عام، ثم تكلم أحد قساوسة المسيحيين من أصل

إفريقي، وهو بينهم مشهور محترم المقام، فكان مما قاله: إننا نحن المسيحيون نعتقد أنه لا بد من توحيد جهود المؤمنين بالله في محاربة الإلحاد، وإننا نعلن هنا، وأمام هذا الجمع الحاشد أن قائدنا جميعاً هو الإمام (وارث الدين محمد)، ثم ختم كلامه بهذه الجملة قائلاً: ((السلام عليكم))، فضجت القاعة له بالتصفيق، ونهض الجميع وقوفاً، وظلوا يصفقون له فترة طويلة.

كما تكلم الإمام وارث الدين محمد بكلمة، منها قوله: إننا لا نضمر ضرراً لأحد، لا من حيث جنسه، ولا من حيث دينه، لأن هذه أوامر ديننا التي لا ترضى أن يكون المسلم مصدر أذى لأحد، وقال: إن الإسلام دين الله الذي ارتضاه لبني الإنسان جميعاً من جميع الألوان، ومن كل البلاد، وها أنتم ترون إخواننا في البلاد العربية قد حضروا إلى هذه البلاد ليشاركونا احتفالنا، ولم يمنعهم البعد من ذلك، وهذا دليل على وحدة الإسلام.

ثم قال: إننا نسمي إلهنا (الله) كما هو في القرآن، وتسمونه أنتم (قَدْ) بالإنجليزية، وإذاً نحن مشتركون في الإيمان بالله، ونحن أعداء للملحدين.

كما كان من بين المتكلمين ابنة أحمد سوكارنو رئيس إندونيسيا التي تكلمت عن الإسلام وقوته ورابطته، وأنه دين الإنسانية والقوة.

وكانوا قبل ذلك قد أعلنوا أنهم سيقدمون كبار الضيوف المدعوين بأسمائهم، وكل من ذكر اسمه يقف ليشاهده المحتفلون، فكان أول من بدؤوا به حاكم مدينة شيكاغو، ثم تتابعوا على ذلك، وكان نصيبي أن كنت السادس، فنادوا باسمي وقالوا: الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام للدعوة الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، وقد وقفت

استجابة لرغبتهم كما يفعل الجميع، وكل من وقف سلطت عليه الأضواء الوهاجة، وأخذ في تصويره المصورون، وتكاد تأكله العيون، كما يتسابق المصورون الصحافيون إلى أخذ نصيبهم من ذلك، وكنا بالزي العربي الكامل كما قلت، وقد وقفوا عند اسم الأوائل منا هنيهة ساكتين، أدري لماذا، وإن كانوا يظهرون إنه لكي يوجه الحاضرون المزيد من النظر إليه، ثم استمر التعريف حتى وصل إلى الإمام وراث الدين محمد، وإلى وزوجته والي الداعي هربرت محمد، حتى وصل إلى شخص قال المذيع الذي كان يقدم أسماءنا أنه لا يعرفه أحد، فتطلع الناس، فقال: إنه محمد علي كلاي بطل العالم في الملاكمة للوزن الثقيل، فضجت القاعة بالضحك والتصفيق.

وقد أعلن بأنهم سيوزعون علينا مظروفات حمراء، لا ينبغي أن نفتحها إلا بعد أن يعلنوا لنا عن فتحها بالمكبر، ووزعوها بالفعل، وعندما انتهى الاحتفال تكلموا من المكبر فقالوا: آن الأوان لفتحها، ثم أعلنوا أنها تحوي ميداليات فضية مهداة من الداعي هربرت محمد للمدعوين، وناهيك بعددهم الذي يزيد على ألفين، وقد فتحتها فألفيتها جميلة شبيهة بالمدالية من الفضة، ضمن غلاف جميل.

وبعد انتهاء فقرات الحفل، أعلن المذيع أن الحفلة مستمرة لمن شاء إلى وقت متأخر، وأن الموسيقى ستستمر في العزف، إلا أنه ينبغي أن يتذكر من لهم سيارات في كراج الفندق أنه يغلق بعد الساعة الثانية عشرة، فبدأ الناس في التفرق من القاعات، ولكن أكثرهم، أو كثيراً منهم بقوا فيها جماعات ومثنى يتحدثون ويتعارفون، وكان نصيبي من ذلك نصيباً كبيراً، إذْ تلفت أثوابي أنظارهم، فيقبلون على السلام والتحية.

وهكذا قبل منتصف الليل بقليل، صعدنا إلى غرفنا في الفندق الكبير، ولا يزال أكثر الناس في مكانهم.

يوم الأربعاء ٢٠/ ٦/ ١٣٩٧هـ

جولة في مدينة شيكاغو:

هذه هي المرة الثانية التي أزور فيها مدينة شيكاغو، ولكن الزيارة في المرتين كلتيهما قصيرة لا تزيد عن يوم وليلة.

وقد خرجنا بالسيارة مع أخينا الأستاذ محمد سعيد الدبَّاس، وهو سوري يعمل مدرساً في المدرسة التي هي تابعة للبلاليين، وقد جددت عهداً بمدينة شيكاغو في هذه الجولة، فبدت لي كما بدت في المرة السابقة كبيرة إلى حد التخمة، إن صح التعبير، تحتاج إلى كثير من المزيد من النظافة حتى تكون في مستوى مدينة دالاس أو مدينة هيوستن في الجنوب، بل إن بعض مرافقها - كأجزاء من الأرصفة والجسور - قد تركت دون ترميم، وفي بعض أحيائها المهمة - كقلب المدينة الذي يسمونه الداون تاون، والتي يقع فيها فندقنا - قد تركت فيها بعض النفايات الخفيفة، كالأوراق الممزقة، وقطع الورق المقوى (الكرتون)، وهي بمجموعها لا تعتبرمدينة جميلة، إلا أن الذي يعجب فيها هو سعة شوارعها الحديثة، وكثرة الجسور فيها التي تسهل حركة المرور لمئات الألوف من السيارات، ويكفي أن تعرف أن أحد شوارعها الرئيسية ذو اتجاهين، يسير في كل اتجاه ست من السيارات في آن واحد، أي أن هذا الشارع يتسع لمسير اثنتي عشرة سيارة متحاذية في وقت واحد، وطبيعي أنه يحتاج إلى أن يكون بين كل واحدة والأخرى مسافة من الفراغ كافية، إلى جانب الأرصفة اللازمة في وسطه وعلى جانبيه، فكم تقدر أن يكون عرض هذا الشارع؟

وكان من الشوارع الجميلة النظيفة فيها شارع يسمى شارع الشاطئ، أي شاطئ البحيرة، لأنه ليس بينه وبين بحيرة كبيرة إلا مساحات مزروعة بالحشائش والأشجار، ويقع عليه بعض المباني والمنشآت التابعة لجامعة

شيكاغو، وبعض الفنادق الغالية.

بيت الزعيم السابق:

وصلنا إلى بيت (أليجا محمد) زعيم المسلمين السود المتوفى، فأبصرناه ذا طراز شرقي، مُطعَّم بالطراز الغربي، وحظه من الشرق كله أخذ من الهند، كالنوافذ والستائر، وهو بمجموعه يدل على السعة في النفقة، والتوسع في التأنق، وهو الآن خالٍ إلا من حارس كهل، اسمه الأول مسيحي، والآخر مسلم، وهكذا يصنعون في أكثر أسمائهم، وكان الزعيم يحل فيه حتى توفي، ولكن الزعيم الحالي الإمام (وارث الدين محمد) أبى أن يسكن فيه، وقال: هذا بيت واسع فوق ما أحتاج إليه، وسكن في بيت معتاد، وبقي هذا يستعملونه أشبه بدار ضيافة للضيوف الذين يحلون عليهم، فيقيمون فيه إلى حين.

مكتب الروّاد:

هذا هو مركز إدارة حركة المسلمين السود الذين أصبحوا يسمون اليوم (البلاليين)، ويشغل مبنى واسعاً من أربعة طوابق، ويشتمل على مصلى، ومركز لتعليم الكبار، ومعرض الفنون الجميلة، وقسم للصحافة والنشر، إلى جانب القسم الطبي، وقسم الأمن، وهذا من أهم أقسامه، يتولى هذا القسم فحص جميع الداخلين لهذا المكان، ولا يمكن أن يتجاوز بابه شخص غير معروف، إلا بعد أن يجتاز فحصاً إلكترونياً للتفتيش، كالذي يكون قبل ركوب الطائرات، كما يغطي هذا القسم بالحراسة جزءاً هاماً من مدينة شيكاغو، رأيناه مرسوماً على الخارطة، ويقولون إن شرطة الحكومة تتعاون معهم في هذا الأمر، إذ من هدفهم منع الجرائم قبل وقوعها، ثم القبض على الجناة بعد ذلك، وقد رأينا أحد

ضباط الجماعة المسؤولين عن الأمن في الشوارع يخاطب رجاله بواسطة اللاسلكي ويخاطبونه، فيعرف تنقلاتهم، ويصدر إليهم الأوامر.

مسجد البلاليين:

لا يمكن أن يدخل الواحد إلا من خلال بوابة للتفتيش الآلي الكهربائي، وذلك احتياطاً للسلامة وضماناً للأمن، وعندما أتيناه وجدنا على بابه حراساً ثلاثة، ودخلنا إلى المدخل الخارجي، ومن هناك خلعنا الأحذية تمهيداً للدخول إلى القاعة الرئيسية للصلاة، أو إلى المصلى، فألفيناه واسعاً نظيفاً مفروشاً فرشاً فاخراً، يتسع لحوالي ١٥٠٠ مُصَلٍّ، وفي ركن منه عدة كراسٍ أعدت لمن يستمعون إلى الدرس في غير وقت الصلاة، وقال لنا إخواننا: إنه يمتلئ على سعته يوم الجمعة. وتعلوه قبة واسعة، وكان أول الأمر كنيسة، فاشتراها (أليجا محمد)، وجعلها للمسلمين السود، وسمعنا أنه لم يكن يسمح لغيرهم من المسلمين أن يدخله، ولكن ذلك قد تغير الآن، كما سمعنا أنه إلى ما بعد وفاته كانت القاعة الرئيسية هذه كلها مفروشة بالكراسي، فرفعها الزعيم الحالي للجماعة، ولم يمض على شرائه إلا أقل من عشر سنوات.

وحول المسجد مكاتب ومرافق، منها مكتب للزعيم وارث الدين محمد، ومكاتب أخرى لحاجات المسجد، ومكتبة صغيرة، وفيه طابق أسفل صغير فيه صحن متوسط، كتب عليه باللغة العربية كلمة: (مصلّى)، وقد قابلنا الإمام وارث الدين محمد في المسجد، وكان قد جاء يقضي فيه بعض الوقت جرياً على عادته، فسلّمنا عليه، وجددنا برؤيته رؤية كانت له في الليلة البارحة، وكان على عادته ودوداً سمحاً.

المدرسة الإسلامية:

قرب المسجد تقع المدرسة الإسلامية، وتسمى مدرسة الأخت كلارا محمد، وهي زوجة أليجا محمد، وكانت قد اشترت هذه المدرسة وأعطتها للجماعة، فسموها باسمها. وهي جميلة البناء، واسعة الأفناء، فصول الدراسة فيها كلها صحية، كاملة الإنارة، وتتبعها مواقف للسيارات، عددها ستون موقفاً، وهي كالمسجد لا يستطيع أن يدخل فيها إلا من يجتاز حاجزاً من التفتيش بالكهرباء - كما سبق - وذلك خوفاً من خصوم الجماعة، الذين قد يتسربون إليها فيؤذون من فيها.

وكان أول ما استرعى انتباهنا في مدخلها لافتة كتبت باللغة العربية (أهلاً وسهلاً)، ثم كانت لوحة في المدخل تصور كيفية مراحل الصلاة موضحة بالرسوم، ومكتوباً على كل رسم باللغة العربية ما يدل عليه مثل (قيام) و(ركوع) و(سجود).

وفي كل فصل من فصولها سجادة كبيرة نوعاً ما، إذا حضر وقت الصلاة صلى عليها الأستاذ وطلابه.

كما رأينا رسماً توضيحياً للكعبة يبين الطواف بالكعبة، كما يوضح للطلاب صفة الكعبة، وفي المدرسة قاعة واسعة مسقفة للألعاب الرياضية، وقاعة أخرى للاجتماعات، ومكتبة كبيرة، ولكنها فقيرة بالكتب الإسلامية، وبخاصة الكتب العربية.

وفي الممرات فيها أقاموا على الحائط خزائن حديدية بطول قامة الرجل تقريباً، كل طالب له منها خزانة، يضع فيها كتبه وأغراضه، ومعه مفتاحها.

ومستواها متوسط، وتطبق منهج الحكومة إلى جانب تدريس اللغة

العربية والدين الإسلامي، ولذلك عادلت الحكومة مناهجها بمناهجها، واعترفت بشهاداتها، ومع ما تقوم به من عمل جليل في تعليم أولاد المسلمين، فقد أخبرنا إخواننا أنها تعاني نقصاً في المدرسين، وتواجه ميزانيتها عجزاً حمل بعض الجماعة على النظر في عدم استمرارها، لأن جماعة البلاليين أنفسهم تعاني ضائقة مالية في الوقت الحاضر، نشأت من نقص في جباية الأموال التي كانت تجبى بأساليب أبطلها الزعيم الجديد وارث الدين محمد، حين قرر أنه لا يجوز أن تجبي من الأموال إلا ما كان برضى أربابها. قالوا: ولأن الجماعة تؤدي الآن أقساطاً لقرض كانت قد حصلت عليه من الحكومة الليبية لشراء الكنيسة التي حولت إلى مسجد، ولغير ذلك من الأغراض.

مسجد السلام:

وكانت المرحلة التالية هي زيارة مسجد السلام في حي أشلاند، وهو حي يقطن فيه عدد من العرب، ويقع في جنوب مدينة شيكاغو، ويشغل الطابق الأول من بناء ليس بالكبير، إلا أن المسجد ذو سعة مناسبة، وفي ركن منه مكان صغير للاجتماعات، وإلقاء بعض الدروس، وفيه سبورة عليها كتابة باللغة العربية هي موضوع إنشائي يتضمن بعض النصائح، وجميع ما فيه من اللافتات والكتابات باللغة العربية، لأن معظم المصلين فيه من العرب.

وكان وقت الظهر قد حان، فصليناها مع العصر جمعاً وقصراً في هذا المسجد، ونظرنا إلى الساعة فاضطررنا أن نوقف جولتنا في شيكاغو، لأننا على وشك أن نغادرها بعد ساعة أو ساعتين، ومهمتنا التي قدمنا إليها فيها، وهي تلبية الدعوة التي وجهت إلينا من هربرت محمد قد انتهت.

فرجعنا إلى الفندق، وكانت السماء قد غامت، ثم بدأت تمطر، فازداد الجو برداً على برده في هذا الفصل من السنة الذي هو فصل الصيف في هذه البلاد، وقد جاء بعد شتاء قاسي البرد، كثيف الثلج، أمات عدداً من الناس بقسوته، وهو في هذا الظهر يشبه أيام الشتاء في الرياض، ويكفي أن تعلم أن درجة الحرارة كانت في الساعة الخامسة عصراً في مطار شيكاغو (١٣) درجة مئوية، وقد حدثنا بعض إخواننا بعد ذلك أنها تدنت في الليل إلى (٩) درجات، مع أننا في شهر يونيو، شهر الحر والعرق. وقد بدت عمارات مدينة شيكاغو في هذا الجو الكثيف السحاب، وهي تناطح السحاب حقيقة لا مجازاً، وفعلاً لا قولاً، بل إن برج ((سير)) الذي هو أعلاها، بل هو أعلى بناء في العالم، قد اختفى نصفه الأعلى كله في السحاب.

إلى مطار شيكاغو ثانية:

قال الدكتور التيجاني أبو جديري: لقد تم الحجز لكم بناء على رغبتكم في الطائرة المسافرة إلى (أنديانا بولس) في الخامسة إلا عشر دقائق عصراً، وقد هتفنا لإخواننا في مدينة (أنديانا بولس) لاستقبالكم في المطار، فشكرناه وأسرعنا إلى حزم أمتعتنا، وقد بقي على الموعد ساعة وربع، وأردنا أن ندفع حساب إقامتنا في هذا الفندق الفخم، فقال المحاسب: إنكم ضيوف على هربرت محمد، وأنه يكفي منكم التوقيع، وغادرنا الفندق الواقع في قلب المدينة إلى المطار، وقد بقي على موعد إقلاع الطائرة ساعة وخمس دقائق، قدرنا أن ثلثي هذه المدة كافٍ للوصول إلى المطار، وأن الثلث الباقي يكفي لإجراءات الركوب، ولكن الأمر لم يكن كما توقعنا، فقد كانت هذه الساعة ساعة انصراف الموظفين والعاملين والتجار إلى بيوتهم من أعمالهم، وقد ضاقت الشوارع بالسيارات حتى أصبح مسيرها

زحفاً، مما جعلنا نصل إلى المطار بعد أن أمضينا في السيارة ساعة وربعاً، وقد فاتت الطائرة، فأسرعت إلى إحدى الموظفات في إحدى الشركات ممن توسمت في وجهها سماحة وقلت لها: أرجوك أن تخبريني عن أول رحلة تقوم إلى (أنديانا بولس) وعن شركتها ما تكون، فعمدت إلى الكمبيوتر تجس أوتاره، وتحرك أصابعه تستفتيه وتستهديه، وما أسرع أن أسعفها منه الجواب، فقالت: إنها في الثامنة مساء بعد ساعتين ونصف، وإنها لدى شركة (دلتا)، وكان همنا التخلص من الحقائب الكبار، فقبلتها الشركة وتسلمتها، وقضينا الوقت في مقصف المطار نستجلي الغادين والرائحين حيناً بعد حين، وجعلت أسوّد أوراقي بهذا الذي تقرأه الآن حتى قاربت الثامنة، وما أسرع أن قاربت، فقصدنا البوابة المعيَّنة، ولكن مكبر الصوت أعلن أن الطائرة ستتأخر لمدة ٣٥ دقيقة، وأنهم لهذا التأخير آسفون.

من شيكاغو إلى أنديانا بولس:

كانت طائرة شركة (دلتا) للطيران من طراز (بوينغ ٧٢٧) تزحف في مطار شيكاغو لتنطلق منه إلى مطار أنديانا بولس، وكان أمامها وخلفها عدد من الطائرات كذلك، ينتظر بعضها من بعض أن يخلي له مدرج المطار، وفي تلك الأثناء كانت المدارج الأخرى تستقبل وتودع المزيد من الطائرات، وكانت سماء المطار مليئة بالذاهبات والآيبات من الطائرات الضخمة مما لم أرَ له مثيلاً في غيره من مطارات العالم الكبيرة، ولو قلت إنه لا يكون بين هبوط طائرة وإقلاع طائرة أخرى في مختلف مدارجه إلا أقل من الدقيقة الواحدة لما كان في هذا القول شيء من المبالغة.

وأقلعت الطائرة في التاسعة إلا ربعاً، ووقت المسافة بينهما (٣٥) دقيقة ليس غير، ولم يكن يتسع الوقت لأن يقدموا غير شراب من عصير الفواكه، معه شيء من النُّقْل من الفول السوداني المغلف غلافاً جميلاً.

أنديانا بولس:

هي عاصمة ولاية أنديانا إحدى الولايات الشمالية للولايات المتحدة الأمريكية، يبلغ عدد سكانها (٧٥٠٠٠٠) ألف نسمة، فهي مدينة ليست بالكبيرة، ولكن مطارها جميل، وإن لم يكن كبيراً، والبوابات فيه محيطة بقاعة رئيسية على شكل خيمة ضخمة تصب فيها الممرات التي تستقبل أو تودع الغادين والرائحين.

وعند بوابة الخروج من المطار، بحثت عن سيارة أجرة فلم أجدها، فسألت أحد موظفي المطار فقال لي: في أي فندق ستسْكنون؟ فقلت: في فندق (رود وي إن)، فقال: هذا يرسل لكم سيارة تحملكم بالمجان، لأنه قريب من المطار، اهتف به من الهاتف المخصص له في المطار وأخبره، فإذا كان عنده الغرف التي تحتاجونها أرسل إليكم من ينقلكم إليه، وإلاَّ سألْتم فندقاً آخر.

وهكذا فعلت، فأجابت فتاة فيه بأن الغرف موجودة، وأن السيارة ستأتي إليكم، فأخبرونا مع أي شركة قدمتم ثم قفوا في مكانكم، وذلك لأن كل شركة من الشركات المحلية لها بوابة كتب عليها اسمها الخاص، فأقبلت السيارة بعد دقائق سبع يقودها فتى مهذب، كان لنا الناقل، وكان لحقائبنا الحامل، إلا أننا في النهاية لم نخيب ظنه، فنفحناه ما نعتقد أنه قد أرضاه، ونزلنا في الفندق كل واحد في غرفة خاصة، كأنها غرف من فنادق الدرجة الفاخرة، إذْ هي أعلى من الدرجة الأولى.

ونزلنا إلى قاعة الفندق نبحث عن العشاء، فقالوا: إن المطعم قد أغلق أبوابه لانتهاء وقته، ولكن هناك محلاً آخر، فدخلناه فاستقبلتنا فتاة قد كشفت عن نحرها وصدرها، وما حاذى ذلك من ظهرها، كما كشفت

عن ساقيها ، فاستفهمت عما نريد ، فقلنا لها : إنه الطعام ، فقالت: ليس هذا بمكان للطعام، وإنما يقدمون هنا الشراب. فقلنا لها : لسنا له من الأصحاب.

يوم الخميس ٢١/ ٦/ ١٣٩٧هـ

في مقر اتحاد الطلبة المسلمين:

بكرنا بزيارة مقر اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا، وبعد التعرف على العاملين فيه، وعددهم نحو خمسة عشر ما بين رجل وامرأة، عقدنا جلسة عمل مع الدكتور تيجاني أبو جديري؛ أحد المؤسسين النشطين لهذا الاتحاد، والدكتور جمال البرزنجي أحد أركان هذا الاتحاد في الزمن السابق والحالي، ويعمل الآن إلى جانب ذلك مديراً للوقف الإسلامي في الولايات المتحدة وكندا.

وقد استعرضوا الأعمال التي قام بها الاتحاد، ومن أهمها رعاية الطلبة المسلمين الوافدين إلى الولايات المتحدة وكندا من الناحية الدينية، وتوزيع الكتب الإسلامية، والمساعدة على رعاية من يسلمون حديثاً، إلى غير ذلك من النشاط المهم، ومن أهم نشاطهم وأطرفه الدعوة الإسلامية في السجون، ولهم الآن أعداد من المسلمين الجدد فيها يتزايدون كل أسبوع، ويقولون إن من يسلمون في السجون يصبحون دعاة للإسلام بين المساجين الآخرين، وإن إدارة السجون كانت في أول هذه الدعوة تتوقف عن فتح السجون للدعاة المسلمين حتى جربتهم، وتيقنت أن من يسلمون يصبحون هادئين مطمئنين، بعيدين عن الإجرام وشراسة الخلق، ففتحت لهم الأبواب، فأصبحوا يدخلون السجون، ويوزعون الكتب، وبخاصة تفسير معاني القرآن بالإنجليزية.

وتحدث الدكتور جمال البرزنجي عن الوقف الإسلامي فقال: إنه قد يحدث أن يهبط مستوى المنطقة التي يكون فيها المسجد، فيهجره المسلمون، فيعطل، أو يبيعه من لا يؤمن على ذلك، فيضيع ثمنه، كما حدث أحياناً أن استولى على المسجد جماعة منعوا غيرهم منه، وهدفنا أن

يشتري الوقف الإسلامي المساجد لحسابه، وهي حسب القانون لا تباع إلا بشروط خاصة فيما إذا انقطعت منافع المسجد، فإنه يمكن أن ينقل ثمنه في مسجد آخر، ولكن ذلك لا يجوز إلا بتوقيع شخص من إدارة الوقف الإسلامي، وشخص من جمعية المسجد المراد بيعه. وقال: إن إدارة الوقف تشتري المسجد، وتكتب عقداً يتضمن تأجيره على جمعية المسجد بأجرة رمزية، مثل دولار واحد في السنة، حتى لا يتصرف أحد فيه. وقال: إن أكثر الجمعيات الإسلامية يعطوننا النقود التي جمعوها لشراء المسجد، ليتم الشراء عن طريقنا، وقال: إنه قد تم شراء (١٥) مسجداً حتى الآن.

وقال: إننا نفتتح مسجداً غداً الجمعة في منطقة تبعد عن مدينة شيكاغو بمسافة خمسين ميلاً، وأنه كان كنيسة في السابق، اشتراها المسلمون وحولوها إلى مسجد.

وقد استمرت المباحثات في اتحاد الطلبة المسلمين فترة من الوقت، انتقلنا في آخره إلى مقر جديد للاتحاد، اشتروا أرضه بمبلغ (٣٨٠) ألف دولار، ويقدرون لعمارتها حتى تفي بكافة أغراضه مبلغ مليون ومائة ألف دولار، تبرعت حكومة قطر لهم بمبلغ مليون دولار، وقد أرانا الدكتور أبو جديري الأرض المذكورة، فلم أصدق ذلك لأول وهلة، لأنها مساحة كبيرة في أرض خصبة مزروعة، تبلغ مساحتها (١٢٠) فداناً، وفيها بيت كبير مؤثث بتأثيث من الطراز الأول، وبيت آخر أصغر منه، ولكنه يعتبر بيتاً كبيراً، واثنان من المخازن الكبيرة، كل واحد منفصل عن الآخر. وفيها آبار ثلاثة عليها ثلاث مضخات، قد أعدت لتأمين مياه الشرب، وإلا فالمزروعات فيها تسقى بماء المطر، وفيها بحيرة واحدة جميلة، ويخترقها خط إسفلتي خاص لها، يوصل من الطريق العام في المنطقة إلى المنشآت التي فيها، وأرضها مزروعة الآن بالذرة الشامية، وكان فيها قمح، وقال الدكتور أبو جديري: إننا قد أعطينا بعض مزارعي المنطقة الأرض

يزرعونها ، على أن يكون الناتج منها مناصفة بيننا وبينهم، لا نعرف من نصيبنا إلا أخذه صافياً ، فعجبت لذلك، وتذكرت أرضاً زراعية صغيرة لي في بلدتي (بريدة)، وكيف أنني لم أجد فلاحاً يقوم عليها إلا بعد أن بنيت له بيتاً مزوداً بالماء العذب وبالكهرباء، وبعد أن التزمت بأكثر المصاريف، على أن يكون الناتج بيننا مناصفة.

وهذه من الرخص بحيث لم أصدق أن يكون كل ما ذكرته بمبلغ ٣٨٠ ألف دولار فقط، ونسيت أن أقول إن فيها أيضاً أشجاراً خضراً كبيرة من أشجار الزينة، وفيها أشجار تفاح مثمرة، ولكنها ليست كثيرة، وهي تبعد عن مدينة أنديانا بولس مسافة ١٨ ميلاً.

جولة في أنديانا بولس:

أخذنا أخونا الدكتور جمال البرزنجي بسيارته إلى مدينة أنديانا بولس لرؤية كنيسة معروضة للبيع، يرى أنها صالحة لكي تكون مقراً لقسم الدعوة والتبليغ في الاتحاد، فرأيناها في قلب المدينة على شارع رئيسي وآخر فرعي، وأمامها حديقة جميلة، ويتبعها فناء قد خصص لوقوف السيارات يتسع لثمانين سيارة، وقاعتها الرئيسية فيها كراسٍ هي بالعدد والإحصاء ألف ومائة وثلاثون كرسياً، وفيها عدا ذلك ثلاثون غرفة تصلح مكاتب، وكان بعضها يستعمل بمثابة فصول للدراسة، وفيها نظام لتوزيع الصوت على طراز علمي حديث، وأنابيب التدفئة الكاملة والتبريد، ولها أقبية تستعمل مخازن وأماكن للطباعة، هذا عدا المرافق الكاملة، كل ذلك مطلوب له مبلغ ٢٥٠ ألف دولار.

ولما سألنا الرجل الذي يتولى عرض البيع عن السبب الذي حملهم على بيع هذه الكنيسة، قال: إن عدد المصلين قد تناقص كثيراً، فبعد أن كان يحضر إليهم ألف، أصبح لا يحضر إلا خمسين، مما يجعل الكنيسة

لا تستطيع أن تقوم بالنفقات اللازمة لتشغيلها، وهي لا يحضر إليها إلا عدد قليل، وقيل لنا إن السبب في تناقص عدد المصلين يرجع إلى عزوف كثير من المسيحيين عن التمسك بدينهم، لأنهم لا يفهمون ما فيه من تعقيدات، مثل التثليث الذي يعني الابن والأب والروح القدس، الذي يقول اتحد اللاهوت بالناسوت فنشأ عنهما الروح القدس.

ومثل مواعظ بعض رجال الكنيسة وتصرفاتهم التي لا تتماشى مع روح العصر، وقد أخبرنا أحدهم أن أمه توفيت فطلب من راعي الكنيسة أن يصلي عليها، ويجهزها للدفن حسب عقيدتهم وعادتهم، فطلب منه الكاهن الذي هو راعي الكنيسة أن يدفع المصاريف اللازمة لذلك، وهي ثلاثة آلاف دولار.

وقال لي أحد الإخوة المسلمين إن ذلك الرجل الذي توفيت أمه هو محام، ذكر انه عرف من المسلمين أنهم يصلون على الجنازة مجاناً، ويجهزونها بما عندهم مجاناً، ما عدا ما يشترونه من خارج المسجد كالكفن والحنوط الذي هو الطيب الذي يوضع في الكفن.

هذا وقد انتهزنا فرصة لإكمال جولة في هذه المدينة، فألفيناها نظيفة غاية النظافة، جميلة إلى مستوى الجمال المطلوب، وهي على نظام المدن الحديثة قد نثرت فيها المنازل نثراً، وانتشرت فيها الحدائق انتشاراً، حتى أصبحت أشبه بضاحية منها بمدينة كبيرة.

هذا وفي هذا اليوم أجرينا مكالمتين هاتفيتين، إحداهما إلى الرياض، وسألناهم عن الوقت عندهم فقالوا: الساعة الثامنة والنصف مساء، وكانت عندنا في أنديانا بولس الواحدة والنصف ظهراً، وبعد ذلك مباشرة كلمنا الدكتور صالح السامرائي من مدينة طوكيو، وسألناه عن الوقت فقال: إنه عندهم الثانية بعد منتصف الليل.

إلى سان فرانسيسكو:

سنغادر إنديانا إلى سان فرانسيسكو على طائرة شركة أميريكان أير لاين، أخبرونا أننا سننزل في مدينة دالاس، ونغير الطائرة فيها، إذْ نأخذ طائرة أخرى مسافرة إلى سان فرانسيسكو، والمسافة بين أنديانا بولس وبين دالاس ساعة وأربعون دقيقة، وكنا غادرنا إنديانا بولس في الساعة السادسة والنصف وخمس دقائق عصراً، ولم يكن بين نزولنا من طائرتنا في دالاس وصعودنا إلى الطائرة الأخرى المسافرة إلى سان فرانسيسكو للشركة نفسها إلا ثلث ساعة، وهي أيضاً من طراز (بوينغ ٧٢٧) ذات المحركات الثلاثة.

تحركت الطائرة في تمام الساعة الثامنة والنصف بتوقيت مدينة دالاس المساوي لتوقيت أنديانا بولس، ومن طريف ما فيها أن المضيفة عندما جاءت إلينا تسألنا عن نوع الشراب الذي نريده كما يفعلون مع ركاب الدرجة الأولى، وأجبناها بأنه عصير الفاكهة ابتسمت ابتسامة الدهشة وقالت: أنتم إذاً من الجزيرة العربية؟ فقلنا: نعم فازدادت حفاوة وإمعاناً في الخدمة، وعندما أحضرت الطعام سألتها عن اللحم ما هو، وقلت: إننا لا نأكل لحم الخنزير، فاستنكرت ذلك القول وقالت: أعرف أنكم لا تأكلون لحم الخنزير، وقد أحضرت لكم هذا الطعام خاصاً بكم من دون بقية الركاب، وهو من لحم البقر، بخلاف الآخرين.

ثم جاءت بقائمة الركاب مكتوبة بالإنجليزية، وقالت: أهذه أسماؤكم، وأخذت تشير إليها، فقلنا: نعم. فسألتها أزرت المملكة العربية السعودية؟ فقالت: لا، ولكن أخبرني عنها بعض الأشخاص، وفهمت أنها ذات أصدقاء أو جيران من أهل المملكة المقيمين في أمريكا، وأنهم لديها من الأعزاء، ولذلك أخذت أسماءنا حتى تريها إياهم، وتحدثهم بأن قوماً

من بلادهم ركبوا معها في الدرجة الأولى.

وقد استمر الطيران مدة ثلاث ساعات كاملة دون زيادة أو نقص، فوصلنا الساعة الواحدة والربع بعد منتصف الليل بتوقيت أنديانا بولس، وهي الساعة الحادية عشرة والربع بتوقيت سان فرانسيسكو، إذْ فرق التوقيت بينهما يبلغ ساعتين.

في مطار سان فرانسيسكو الذي لا يتسم بما يميزه عن غيره من جمال أو فرط اتساع، ركبنا الحافلة، وقالوا: إنها تقف في محطة (الترمنال) أي الموقف الثابت في قلب المدينة، وإننا نستطيع أن نركب سيارة أجرة إلى فندقنا الذي حجزنا فيه، وهو فندق (هولدي إن) في قلب المدينة، وتبلغ المسافة بين المطار ومحطة الحافلات في قلب المدينة سان فرانسيسكو (٢٢) كيلاً أخذوا عنها دولاراً وأربعين سنتاً، أي ما يعادل خمسة ريالات للشخص الواحد. أما الأجرة إلى الفندق فكانت دولاراً ونصفاً لأنه قريب من المحطة.

مدينة سان فرانسيسكو:

هي من أكبر المدن الأمريكية الواقعة على الساحل الشرقي للمحيط الهادئ أي الساحل الغربي للولايات المتحدة، ومنها ينطلق من أراد الشرق الأقصى من أمريكا على الطائرات أو البواخر، ولكنه يولي وجهه شطر الغرب فيصل الشرق، هذه هي طبيعة الشكل الكروي كما هو شكل الأرض، و الغلط في هذا هو تسمية اليابان وما حولها بالشرق الأقصى، لأن ذلك ليس بصحيح إلا بالنسبة إلى البلدان الأوربية التي كانت مسيطرة على الثقافة العالمية في فجر هذه النهضة الصناعية، وإلا فإن اليابان ونحوها يجب أن يسميها الأمريكيون الغرب الأدنى، أو ليقولوا المغرب الأقصى، لأنه كذلك بالنسبة لمن يكون في غربي بلادهم، على أن

الغرب والشرق إنما هو أمر نسبي، وإلا فالمحل الذي تطلع منه الشمس هو شرق، والذي تغرب فيه الشمس هو غرب، وما كان شرقاً لقوم كان غرباً لآخرين، وبالعكس.

نزلنا في فندق (هولدي إن) الواقع في قلب المدينة (داون تاون)، وهناك أربعة فنادق أخرى اسمها (هولدي إن) مفرقة على أنحائها وضواحيها، وهو من أرقى فنادق هذه المجموعة في كل أنحاء أمريكا، وهو أغلى فندق منها سكناه، إذْ تبلغ أجرة الغرفة الواحدة فيه الليلة الواحدة اثنين وخمسين دولاراً. أي: مائة وثلاثة وثلاثين ريالاً، وهو مؤلف من ثلاثين طابقاً، وفي أعلاه مقصف يشرف على أنحاء كثيرة من المدينة، إلا ما حجبته عنه التلال، كما يرى الجالس فيه خليج سان فرانسيسكو المشهور، والجسور المعلقة عليه.

وكانت غرفنا في الطابق الخامس والعشرين، ولكننا وسط مجموعة من العمارات العالية لم تجعلنا نشعر بالعلو.

يوم الجمعة ٢٢/ ٦/ ١٣٩٧هـ

الجولة في سان فرانسيسكو:

كان صباحنا اليوم مخصصاً للتجول على مدينة سان فرانسيسكو، فكانت الجولة الأولى على الأقدام، وكان الجو بارداً حتى يحس المرء أنه في أيام الشتاء، ولقد كنت في الصيف الماضي في البلاد الباردة، وهي الدول الإسكندنافية، فكان صيفها أشد حراً منه في هذه المدينة، ولا أدري أهذا أمر طبيعي أم هو موجة برد غير معتادة.

وبدت لنا المدينة من رؤية قلبها جميلة منسقة، تعج بالمتاجر الكبيرة، وفروع الشركات الأمريكية المشهورة، وقلب الحي الذي هو قلبها ميدان صغير، ولكنه منسق جميل، يسمونه (يونيون إسكواير)، أي: ميدان الاتحاد، أعلاه زهور وحشائش منسقة، وأسفله مواقف للسيارات، تستفيد منها البلدية مورداً ثابتاً للدخل.

ومن مظاهر سكان هذه المدينة، ومن سحنات وجوههم يحكم المرء بان الذين هم من أصل أوربي ليسوا فيها بالكثرة الكاثرة، فهناك الوجوه الشرقية الصفراء، ذات الوجنات البارزة، والعيون المائلة، من صينيين وفلبينيين وغيرهم، وهناك بعض الملونين من السود، ومن يقرب لونهم من السواد، ولكنهم أقل فيها نسبة من أية مدينة أخرى رأيتها في الولايات المتحدة، اللهم إلا إذا كانوا قلة في قلب المدينة، ولهم تجمع آخر، فهذا ما لم أره.

وكنا نلاحظ أن منظرنا يلفت النظر هنا أكثر مما في المدن الأخرى، وذلك راجع لقلة من يشبهون العرب في مظاهرهم كالمكسيكيين واليونانيين في هذه المنطقة.

أما الجولة الثانية، فكانت رحلة بالحافلة (الأتوبيس)، استغرقت أربع ساعات، وشملت الاطلاع على أهم ما في هذه المدينة، إلا أن ذلك كان

من الخارج فقط، فقد مررنا بالمتاحف، ولكننا لم ندخلها لضيق الوقت، كما هو الحال بالنسبة إلينا في المدن الأمريكية الأخرى التي مررنا بها، والتي لم يسعفنا وقتنا برؤية الأشياء مفصلة فيها.

وكنا مع جماعة هم خليط من الناس، ولكن ليس فيهم مَن لونه أسود أو أسمر داكن السمرة، والدليل هو السائق، وهو يطلق نكاته بلغة أمريكية، فيه شيء من العامية السريعة، فكنت لا أفهم أكثرها، إلا مرة قال: إننا سنقف هنا مدة عشرين دقيقة، ولكن لن أقول لكم إلا أن وقوفنا سيستمر خمس عشرة دقيقة حذراً من أن تتأخروا، فقلت له مداعباً: ماذا استقر رأيك عليه؟ أعلى عشرين ؟ أم خمس عشرة؟ فأجاب ضاحكاً: عشرون للرجال، وخمس عشرة للسيدات، يشير إلى أنهن أكثر تخلفاً في العودة إلى الحافلة من الرجال في العادة.

وشملت الجولة السير فوق الجسور الحديدية الضخمة العالية الارتفاع، المقامة على خليج سان فرانسيسكو، وقد جعلوها على ذلك القدر من الارتفاع حتى تمر السفن التي تسير في الخليج من تحتها، وهي كثيرة ومتعددة، مما يجعلها من أهم معالم هذه المدينة، وبعض الجسور قد أقيم فوق شوارع المدينة، بحيث تمر فوقه السيارات مسرعة لا تتأثر بالحركة في الشوارع، والأغرب من ذلك أن الجسور المزدوجة كثيرة في هذه المدينة، فتجد جسراً يمر فوق شارع، وفوق ذلك الجسر جسر آخر، والسيارات تمر من الجميع مسرعة لا يعوقها شيء.

ثم أوقفنا السائق عند مدخل كنيسة اسمها (بعثة دلر)، وقال: إن تاريخ إنشاء الكنيسة يزيد على المائتي عام، وقد أنشئت قبل أن يكون هناك بلد اسمه الولايات المتحدة الأمريكية، أي قبل عهد الاستقلال، وألفيناها تستحق الزيارة لغرابة بنائها، فسقوفها من الخشب، والتماثيل الكبيرة التي معظمها مطلي بلون الذهب، ولا أدري أهو من الذهب أم من

غيره، تملأ أرجاءها، وملحق بها مقبرة مكتوب أسماء أهلها على شواهد القبور، وتاريخ وفياتهم، ومعظمهم من أهل أوائل القرن التاسع عشر.

ثم بدأت الحافلة بالصعود إلى التلال المشهورة التي تتألف منها المدينة، وقال السائق إن الرئيسية منها سبعة تلال، وبلغنا القمة في أحدها فقال: إن ارتفاعه يبلغ ٩٤٠ قدماً عن سطح البحر، وهذا بلا شك ارتفاع ليس بالكبير إذا كان الارتفاع تدريجياً، أما إذا كان مفاجئاً، كما الحال في هذا المكان، فإنه يبدو كبيراً جداً، إذ من هذا الارتفاع ترى الخليج تحتك، وترى البيوت متدرجة في شوارع منظمة على سفح هذا التل من ارتفاع شاهق إلى أقل منه، حتى تصل مستوى البحر، كأنها مدارج الزراعة في الجبال الخصبة.

وانحدرت السيارة منه إلى أراضٍ جميلة المناظر، بل رائعة قد انتشرت فيها الملاعب الرياضية، وفيها الأطفال والشيوخ يلعبون، ولعبة الشيوخ هي الغولف، وهي ذات حشائش خضراء نضرة، وزهور مختلفة الألوان بهيجة، إلا أن مما يسترعي الانتباه أنها تسقى بمياه نافورات أرضية صغيرة، ترش عليها الماء رشاً، وهي تسقيها بهذه الطريقة جمالاً على جمال، وقد رأيت بعض الطلاب الصغار من بنين وبنات معهم مدرسات، قد حضروا إلى هذه الحدائق للعب، أو لغير ذلك مما لا أعرفه.

ثم وصلنا إلى حديقة جميلة، فيها خلجان صناعية وأخرى طبيعية، وفيها وهاد ونجاد ومنخفضات ومرتفعات، وزهور من أغلب أنواع الزهور المعروفة، وغير المعروفة اسمها إسباني لعله عربي الأصل، إذ تسبقه أداة التعريف العربية (ال)، وهو الكتراز أو بالإنجليزية (Alcatraz)، فقضينا فيه بعض الوقت.

ثم واصلت السيارة سيرها، حتى مرت بطريق عريض يتسع لثماني

سيارات، أربع ذاهبات ومثلها من الآيبات، وهو جزء من الطريق المسمى عندهم (هاي وي)، أي الطريق الطويل، وقال السائق إنه ممتد لآلاف الأميال، وإنه يذهب إلى كندا والمكسيك مخترقاً أرض الولايات المتحدة كلها في هذه الناحية الغربية، وليس هذا هو ما يستحق الذكر، ولكنه كونه قد بنى على حافة منزلق بين الجبل والبحر، فجزء منه على ما أشرف من الجبل، وأجزاء أخرى أقيمت لها أعمدة ضخمة، تحملها صاعدة بها من الأرض المنخفضة إلى مستوى الطريق في حضن الجبل.

وبعد ذلك جاء دور الحي الصيني، ويكاد المرء الذي يدخله يشعر أنه في الصين دون شك، فاللافتات كتبت كلها بالصينية، تحتها الإنكليزية: وملصقات الجدران، بعضها كتبت بالصينية فقط، وهندسة البيوت وواجهات المتاجر صينية بحتة، ليس فيها لذوق الغربيين من أوربيين وأمريكيين نصيب، والمطاعم كتب عليها بالإنجليزية تحت الصينية أنها تحوي الأطعمة الصينية، وسمعت السائق يذكر أن عدد الصينيين في هذا الحي يبلغ (٥٠) ألفاً، ولا أحق ما ذكره، إذ لعل عددهم أكثر من ذلك إلا إذا كان القصد سكان الحي هذا دون غيرهم، وتبدو على وجوه الصينيين هنا علائم التغذية الجيدة، والحالة المالية غير المتدنية.

ثم استمر السائق وهو يتحدث لا يتوقف عن الحديث إلا إذا توقف محرك سيارته عن الدوران، وهو يشرح حال كل ما نمر به من شوارع ومتاجر وكنائس وفنادق إلخ. حتى أعادنا إلى النقطة التي انطلقنا منها في ميدان الاتحاد في المدينة قرب فندقنا.

المركز الإسلامي في سان فرانسيسكو:

حدثونا عنه، وأعطونا عنوانه ورقم هاتف أحد العاملين فيه، ولكننا جهدنا نحاول الاتصال به فلم نستطع بعد أن هتفنا وهتفنا حتى تأففنا

فأيسنا من زيارته آسفين، لأنه لم يبق لنا من مكث في مدينة سان فرانسيسكو إلا بقية من نهار هذا اليوم.

وخرجنا بعد العصر إلى شوارع المدينة للسير فيها، ولكن كان البرد شديداً، والأسواق مغلقة، فالقوم لا يعملون إلا إلى بلوغ الساعة الخامسة، أما بعد ذلك مما بقي من النهار، فهو لهم راحة، علماً بأن الشمس تغيب في الساعة الثامنة والنصف في هذه الأيام، أي ما يعادل وقت أذان العشاء في بلادنا.

يوم السبت ٢٣/ ٦/ ١٩٧٧م

إلى هونو لولو:

كنا حجزنا مع شركة (نورث ديسترن أوريانت) للطيران للسفر إلى هونو لولو، وقد قام بالحجز لنا موظف في مكتب بان أمريكان في مدينة سان فرانسيسكو، وحجز لنا في فندق (هولدي إن) هناك، قال إنه أحسن من غيره، وأن أجرة الغرفة الواحدة فيه هي ثلاثون دولاراً لليلة الواحدة، كما قام بالحجز لنا من هونو لولو إلى طوكيو، وقال: أنتم ستصلون في نفس اليوم الذي تسافرون فيه طوكيو، ولكنكم ستجدونه بعده بيوم.

وصلنا المطار من المدينة، وأخذ موظف من أصل إفريقي حقائبنا على رصيف الطريق، وأعطانا قسائم البطاقات التي توضع عليها، وأخبرنا أن البوابة هي الرابعة والثلاثون، فوجدنا أن تلك البوابة ذات بوابات فرعية عددها خمس، يمكن أن ترحل خمس طائرات في آن واحد، وعند البوابة الرابعة والثلاثين، وقبل الرحيل، أخذت أتصفح الوجوه الجالسة على المقاعد استعداداً للسفر إلى الشرق الأقصى عندنا، أو الغرب الأدنى عندهم، سَمِّهِ ما شئت، فأراد خيال الشاعر أن يتكلم، وأراد صوت العقل أن يكبح جماحه، فغلب خيال الشاعر عندما قال له: إن ما تسمعه مني إنما هو شعر من الشعر في ثوب من النثر، ليس فيه من الحقائق التي يترتب عليها أخذ وعطاء شيء.

قال خيال الشاعر: أكثر هذه الوجوه التي في هذا المكان تنذر بوجوه مثلها، غير ما كانت الوجوه التي تراها تكون.

هذه الوجوه التي بعضها سمر إلى حد الاغبرار، وبعضها صفر إلى حد الانكدار، وهذه الأجسام الضئيلة، ذات الوجوه النحيلة، أين هي من

القامات المديدة، والوجوه الصبيحة المليحة، أين هي من تلك البشرات النضرة، والشعور الذهبية العطرة، والثغور الباسمة، والعيون الحالمة ؟

إن كان هذا هو ما سيقدر لك أن تراه بعد أن رأيت ما رأيت، فلتندب حظك، ولتغسل عينيك بما في كأس الجمال من صبابة تترقرق على بعض الوجوه في هذا المكان، كالزهرات الناعسات بين الأشواك، والنجوم النيرات في الأفلاك، وقد صار الوجه المعتاد منها وسط هذه الوجوه الشرقية، كأنه وجه ملكة من ملكات الجمال، أو كأنه البدر في ليلة الاكتمال، عندما يراه العاشق الملتاع، فيذكره بحبيبه الذي ضاع.

وسكت خيال الشاعر أو كاد، في زحمة الركاب في الخروج والركوب، ولكنه كأنما غفا فصحا من غفوته عندما رأى مضيفتين اثنتين في أحد جناحي الطائرة، إحداهما بيضاء زهراء، مشرب بياضها بحمرة وردية، كأن خديها تفاحتان أحضرهما عفريت من الجان من جبال لبنان، ذات ابتسامة يفتر عنها ثغرها الذي يمزق الأحزان، ويصبي الحليم أكثر مما تصبيه ابنة الحان، وهي - في خدمتها - تتلطف وتتعطف، وتحيي وتبيي، وترسل الابتسامات تلو الابتسامات في مناسبات وغير مناسبات.

أما الأخرى فهي سوداء اللون، قميئة الجسم، دقيقة العظام، قصيرة القوام، لا أدري إلى أي بلد تنتمي، ولكنني حسبتها في نفسي من جزائر جنوبية، وهي إذا سألت أخشنت، وإن أجابت ما أحسنت، وإذا استفهمت صدت وردَّت، كأنما هي بالخدمة تصدق، أو كأنها في مضايقة الركاب تريد أن تتعمق. وظن خيال الشاعر أنها تعمل كذلك مع جميع الركاب، فقال: إذا كان طبعها هذا فمن الظلم أن نلومها، وإنما من أحضرها إلى هذه الطائرة هو الملوم، ولكنها كانت إذا حادثت قوماً من ذوي جنسها من الشرقيين انبسطت أساريرها، وافتر ثغرها، بل إنها تبادلهم الغمز واللمز،

وأما نحن قلنا منها التقطيب والتغضيب، فقال لسان حاله (القلوب شواهد، يا جنوبية).

وأمسك خيال الشاعر عن الكلام.

وغادرنا مطار سان فرانسيسكو في الساعة العاشرة تماماً من الضحى بالتوقيت المحلي لمدينة سان فرانسيسكو الذي يتأخر عشر ساعات عن توقيت المملكة، وأخبرتنا المضيفة أن الطيران سيستمر خمس ساعات وربعاً، وأن التوقيت سيتأخر عن توقيت سان فرانسيسكو ثلاث ساعات.

كانت الطائرة من طراز (بوينغ ٧٤٧) المسمى (جامبو جت) العملاق، وكانت الطائرة مؤهلة لحمل أربعمائة من الركاب، إلا أن نحو نصف مقاعدها خال من الركاب، وأكثر الذين فيها هم من الجنس الشرقي، ما بين الصين واليابان والجزر التي بينهما أو حولهما كالفلبين.

وفور إقلاعها من مدينة سان فرانسيسكو اختفت اليابسة في مياه المحيط، ثم اختفت في غلائل من الغيم الرقيق، فكان بيننا وبين الأرض حجب من تحتها حجب، وإنني أكتب هذه الكلمات بعد إقلاعنا بساعتين وأنا فوق السحاب، أشاهد أدناه إلى الطائرة كأنما هو في قاع سحيق، وبين ذلك وصفحة المحيط مثل ذلك أو أكثر من ذلك، وبين صفحة المحيط وقاعه ما لا يعلمه إلا الله.

وقد أبطؤوا بإحضار الطعام، ثم قدموا فيلماً من الأفلام حتى يعاونوا الركاب على تمضية الوقت فوق المحيط، وبين آونة وأخرى ينفرج الغيم عن صفحة المحيط العظيم، فتبدو زرقاء زرقة تضرب إلى السواد، وكأنما السحاب دونها السجاد الأبيض على الأرض الزرقاء، أو قل كأنه النقاب الأبيض على وجه غانية سمراء شديدة الاسمرار.

أما وجهة الطائرة فإنها الغرب المائل إلى الجنوب، ولا غرو في ذلك إذ مدينة سان فرانسيسكو تقع على خط العرض (٣٧) شمال خط الاستواء على حين أن جزيرة هونو لولو، تقع على خط العرض الثاني والعشرين.

وعندما قاربنا الوصول، وزع علينا المضيفون استمارات لنملأها، وهي معقدة كثيرة الأسئلة، ولكن المضيفة عادت وقالت لي: لا ضرورة لملئها كلها، يكفي الاسم، ثم أخذتها ولم نرها بعد ذلك، وعندما كانت الطائرة تقترب من الجزيرة كانت هذه تبدو على البعد كأنها نقطة صغيرة في فضاء واسع، أو قل كأنها في هذا المحيط بيت البدوي المنعزل في وسط الصحراء، وعجبت كيف لا يخالط أهلها شعور بالعزلة في وسط هذا الخضم من المحيط الذي يعزلهم عن العالم، ما عدا جزراً صغيرة معزولة أيضاً مثلهم، كما عجبت كيف لا يخالطهم شعور بالخوف من أن يطبق عليهم هذا المحيط الذي هم في الحقيقة يعيشون بين فكيه.

هذا هو الشعور عندما يقترب المرء من هذه الجزيرة التي تبدو صغيرة جداً ضيقة جداً من فوق الطائرة المحلقة في السماء.

في مطار هونو لولو:

نزلت الطائرة بعد أن تدنت كل التدني وهي على البحر، وكان مدرج المطار مناسباً في الطول رغم ضيق الأرض، وقد لاحظت أن جزءاً من مدرج فيها قد أقيم فوق مياه البحر.

ولم يسألوا عن جوازاتنا لأن الرحلة داخلية، إذْ جزر (هاواي) التي منها هونو لولو هي ولاية أمريكية، وعندما وصلنا بحثنا عن مكان الحقائب فلم نجده، وسألنا عنه، فقيل لنا إنه ليس في هذا المكان، وإنما ينبغي أن تركبوا إليه القطار، ووجدنا القطار ثلاث عربات من عربات

(الثرولي باص) فركبناها إلى بناية أخرى، كانت في الطابق السفلي منها حقائب المسافرين.

وقد لاحظت عند وصول المطار أننا قد خرجنا بالفعل من بلاد الجنس الأبيض، إذ وجدنا بعض النساء العاملات في المطار ممن يلبسن زي المضيفات، وعلى رؤوسهن القبعات، قد تركن الكراسي وجلسن على الأرض، وقد مدت الواحدة منهن رجليها كأنها بذلك تعود إلى أيام طفولتها، وأيام طفولة بني قومها، هذا بالإضافة إلى أننا بينما كنا نقترب من الجزيرة كانت أشجار النارجيل كأنها ترفع إلينا فروعها لتحيينا وهي تقترب أيضاً، فتذكرت بلاداً كثيرة كنت رحلت إليها تنبت النارجيل كإفريقية والهند.

وشيئاً آخر ذكّرنا أننا أصبحنا في بلاد غير بلاد البيض، هو أنه في بوابة الخروج من المطار وقفت فتاة تفحص بطاقات الحقائب التي يحملها المسافرون، وتطبق أرقامها على أرقام القسائم التي معهم. وهو أمر تجاوزه الناس في البلاد المتقدمة كما أسلفت.

وأمر غير ذلك، وهو أننا عندما خرجنا من بناية المطار أخذ سائق سيارة أجرة ينادينا بصوت عال: هنا تاكسي، اركبوا، هيا. وهذا أمر غير مألوف في البلاد المتقدمة.

ولكننا لن نركب مع سيارة أجرة في بلاد لا نعرف أهلها، لذلك ركبنا مع حافلة صغيرة يقودها أحد السكان المحليين، ولكن ليس له من الأمر شيء إلا ذلك، أما تدبيرها وأخذ النقود فكان من نصيب فتاة شقراء سألتنا أين فندقنا؟ فقلنا: لقد حجزنا في (هولدي إن) في الداخل، فأخذت الأجرة خمسة دولارات ونصفاً للشخصين.

وحدثت واقعة لم أر لها مثيلاً من قبل، وهي أن السائق تسلم

حقائبنا، ووضعها في السيارة، وهي حافلة صغيرة تحمل اثني عشر راكباً، ومع ذلك وضع عليها بطاقات بأنه قد تسلمها، وأعطانا قسائم تلك البطاقات، مع أنها معنا في السيارة نفسها خلف المقعد الأخير.

هونو لولو:

ولنقل إنها مدينة هونو لولو، وإن كان ذلك ليس دقيقاً كل الدقة، لأن الجزيرة كلها تقريباً مأهولة، وقد نثرت فيها المنازل نثراً، وشمخت عليها العمارات الضخمة حتى لتكاد تجزم أنك في مدينة من مدن الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك القول بالنسبة إلى الشوارع، وإشارات المرور، واللوحات الإرشادية، وغير ذلك.

وقصدنا فندق (هولدي إن)، ويشغل موقعاً ممتازاً من المدينة، إذْ يقع على شاطئ المحيط، وأنزلونا في غرفتين في الطابق الخامس والعشرين، وهو أعلى طوابق الفندق، وكانت الغرفة ذات شرفة مكشوفة، تطل على المحيط من هذا الارتفاع في منظر شاعري جميل، إحدى صفحتيه زرقة المحيط، والأخرى خضرة جبال الجزيرة، لا يكاد يفصل بينهما فاصل إلا شريط من عمارة قليلة، وتهب عليك نسمات البحر باردة بليلة، لا يشوبها حر اليابسة، ومع ذلك فالطقس جميل معتدل، رغم أن البلاد تقع على خط العرض ٢٢ شمالاً، وكنا قد وصلنا إلى هونولولو بعد طيران استمر خمس ساعات كاملة من سان فرانسيسكو، وبلغ فرق التوقيت بينهما ٣ ساعات، والعادة أن يحتاج الإنسان إلى الراحة في فندق بعد رحلة طويلة كهذه، ولكننا لم نستطع مقاومة حب الاستطلاع، ومشاهدة تفاصيل هذه البلاد، ولم يكلفنا ذلك أكثر من أن انحدرنا إلى الفندق، وكان هو نفسه أشبه بخلية من خلايا النحل، يموج بالساكنين فيه وغير الساكنين، وأمام مكتب الاستقبال فيه بركة سباحة قد استلقى النزلاء فيها على

ظهورهم، أو انقلبوا على وجوههم لكي يجعلوا أجسامهم تختزن من أشعة الشمس في هذه البلاد ما يكفيها مؤونة لشتاء بلادهم الطويل.

خرجنا من الفندق الذي يقع على الشارع المحاذي للمحيط، وتجولنا قليلاً في هذا الشارع الذي هو من الشوارع الرئيسية، ورأينا عجباً من العجب، كنا شاهدنا بعضه ونحن في السيارة في الطريق إلى الفندق من المطار، بأن النساء كلهن ومن جميع الأقطار، ومن مختلف الألوان، يمشين في الشوارع، وقد يدخلن الحوانيت ليشترين، وهن بلباس البحر، أي بلباس الاستحمام، وليس بمقتصر على اللباس الضروري القديم، بل إنه لباس ليس بينه وبين الستر نسب، فهو يكشف أكثر مما يستر، وهو يظهر أكثر مما ينبغي أن لا يظهر، ومع ذلك فلا ترى مستنكراً لهذا الأمر، فضلاً عن أن ترى له منكراً، بل إن المرأة تسير في الشارع وكأنها داخل حمام بيتها، ولأول مرة يعرف بعض الناس أن الألبسة الباطنة هي كذلك أنواع وفنون، كما أن الألبسة الظاهرة هكذا تكون.

وكان البحر أقرب إلينا من بقية البر، فقلنا: لنلق نظرة عليه، فاتجهنا إليه، وكان فيه أكثر مما في البر، ورأيت لأول مرة نساء أهل البلاد الأصليين اللائي سمعنا عنهن، وقرأت من قصصهن، ما كان موضع الاستغراب والإنكار، وهن يسبحن وكأنهن عرائس البحر اللائي شربن حتى طربن، وليس عليهن من اللباس، أو لتقل من الخرق، أو على الأصح من الحبال، إلا ما تستعيذ بالله منه الأوربيات والأمريكيات، وناهيك بمن تستعيذ الأوربيات والأمريكيات من قلة حيائهن، أو على حد قول القائل القديم: (يا ويح مَنْ كَفَّرَه الجاحظ).

ومع ذلك، لا يبين على وجه الواحدة منهن أي خجل أو حياء، بل لا يبين على وجهها إلا كما يبين على وجه المرأة التي سترت سائر جسمها في محضر من ذوي رحمها.

وهن قصار القامات، سمراوات الألوان، ولكن سمرة تضرب إلى حمرة، فطس الأنوف، إلا أنه لا يبعد عن المألوف، وهن دائماً يبتسمن أو يتضاحكن، وقد يختصمن فيتمازحن، أو هكذا خيل إليَّ من سماع بربرتهن التي كثيراً ما يخلطنها بإنكليزية لهجتها أمريكية، ولكنها هاوائية، أما رجالهن، أي رجال المواطنين من هذه البلاد، فحدث ولا حرج عن عدم الوجاهة، فضلاً عن عدم الصباحة، فهم قصار الأجسام، مائلو السيقان، مشيهم كالدبيب، وركضهم كأنما إلى جهة اليمين حيناً يميل، وإلى جهة الشمال أحياناً يكون.

وهم يحادثون نساءهم كما يحادثون أطفالهم، فلا يشعرونك أنهم يرون بين الرجل والمرأة فرقاً في المعاملة، مما يجعلك تجزم بأنهم ربوا على ذلك، ونشؤوا عليه.

هذا هو المظهر من مظاهر هذه البلاد، أما المخبر فلا يستطيع مثلي أن يعرفه، ويمكن أن يسأل عنه خبير من الخبراء به فيجيب.

هونو لولو جزيرة الأحلام:

قرأت عنها كثيراً فيما قرأت عن غيرها من البلاد، وعرفت أن كثيراً من الأمريكيين والأمريكيات وغيرهم من سائر الجنسيات يفضلونها لقضاء الإجازة على غيرها من البلاد، وحسبت أن ذلك لجمالها الهادئ، أو لسحر في نسائها يجتذب إليهن الرجال، ولكن المرأة الأمريكية الآن قد قاربت أن تكون في حقيقتها هاوائية من الهوائيات، أو هونولولية من الهنولوليات، فلم إذاً العناء، وتجشم السفر إلى هذه الجزيرة المعزولة وسط خضم المحيط؟.

الجزيرة جميلة إلى أقصى حدود الجمال، فزرقة البحر إلى خضرة

البر، إلى سطوع الشمس، واعتدال الجو، أما المرافق العامة هناك من فنادق وأنزال، والمتع البريئة، من زوارق البحر أو سيارات البر، ومن قمم الجبال وانفساح شواطئ الرمال في أحضان المياه، فذلك ما يقل نظيره، وإن كان يوجد ما يشبهه أو يقرب منه، هذا عدا الجمال الطبيعي والصناعي في هذه البلاد، ولكن ذلك ليس هو ما يجذب إليها الناس دون غيرها من البقاع، لأنه قد يوجد ما يقرب منه في المنزلة، وهو أقرب منه في المكان، إذاً لا بد من شيء آخر في هونولولو، فما هو ذلك الشيء؟

لقد تساءلت عنه، فخيل إليّ أنني وجدت الجواب، لقد رأيت الجواب فعلاً لا قولاً، رأيته مرسوماً على الوجوه، مطبوعاً على الشفاه، منعكساً على الأبدان، دون أن يخبرني عنه قائل، أو يشرحه شارح، ذلك بأن الزائر منهم إلى جزيرة هونولولو يخلع أرسانه، ويدع أحزانه، ويشعر وكأن بينه وبين تقاليد بلاده وأعرافها التي يشعر أنها تقيد طريقه، وتحد من انطلاقه سداً من أمواج المحيط، وجداراً من البعد الشاسع، لا تستطيع متاعبه أن تخترقه، ولذلك يرغب في التوجه إليها النساء أكثر مما يرغب الرجال، ويمشي زائرها بما شاء من الثياب، وقد يخلع ما عليه داخل الفندق أو وسط الشارع، حتى لا يبقى إلا ما لا تغري رؤيته.

وبعضهم يمشون حفاة بلا نعال، بل ربما كان أكثرهم يودع الحذاء حتى يعود، وليس ذلك فحسب، وإنما يطلق الواحد العنان للسانه كما أطلق لقدمه، فتراه يضحك ضحكاً عالياً بملء فيه لما يعجبه ويطربه، دون أن ينظر إلى انعكاس ذلك على وجوه الناظرين، وهو يعلق ما شاء على من شاء، ويظل يضحك ويصيح دون أن يقول له قائل: استح فلا تفعل، أو إنك وسط مجتمع من الناس، لأن كل من هناك يفعل ما يفعله.

أما أهالي البلاد الأصلاء، فهم قلة في هذه الجزيرة التي هي ليست أكبر جزر هاواي، ولكنها أحفلها بالسكان، وقد غزاها البيض حتى

كادت تكون مدينة بيضاء، ولكنهم مع ذلك ليست لهم تقاليد تمنعهم من الانطلاق، فزادتهم المدنية الأمريكية حرية سياسية على حريتهم، فأصبحوا ينحلّون أكثر مما يتماسكون.

وإذا كانوا معذورين في انحلالهم لأنهم في جزرهم هذه النائية لم تصل إليهم في قديم الزمان دعوة سماوية، ولا أعراف دينية، فإن الأمريكيين الذين هم من المتقدمين المثقفين، ليسوا بمعذورين بكونهم منحلين متفككين، ولكنهم هنا - كما قلت - يحلون عقد ما أبقت لهم المدنية المادية من عقد، فيصبحون وكأنهم في حلم من الأحلام، يريدون أن ينعموا فيه بكل ما يستطيعون، قبل أن يصحوا على صوت المضيفة أو المضيف في طائرة العودة، يعلن أنهم إلى بلادهم واصلون (ولله في خلقه شؤون).

وقد جربت نفسي في هذه البلاد، وأنا رجل قد بلغ من العمر أوسطه، فهو في عمر الخمسين، ولي من ديني وتربيتي ما يمنعني من الانطلاق في كل شيء كما ينطلقون، ولكنني انطلقت كما يحسن بمثلي الانطلاق، فمشيت حتى أضنيت، وتطلعت حتى أرهقت، وبهرني من جمال الطبيعة ما لم أشعر أنني قد عرفته من قبل، وكان السير على رمال الشاطئ يسلمني إلى المشي على الشوارع الواقعة في أحضان الجبال الخضرة.

كل ذلك وأنا لم أشاهد أحداً من المتخاصمين، بل ولا رأيت أناساً غاضبين، وإنما الجميع يبتسمون أو يضحكون أو لا يتكلمون، وإذا رأيت قوماً مجتمعين، فلك أن تقف عليهم وأن تحملق فيهم، دون أن ينتقد ذلك منتقد، أو ينكر عليك منكر، فهم جميعاً كذلك يفعلون، ولا يعد تطفلاً أن تحادث من لا يعرفك، إلا إذا عزفت أنت عن الكلام، على أن يكون ذلك في ثوب من الذوق مناسب للمقام.

ومن بعد أن رأيت ما رأيت، عرفت السر في أن صاحب الفندق على حق حين أخبرنا أن الطريقة التي يسيرون عليها أن لا يسلموا مفتاح الغرفة لشخص حتى ينقد الأجرة مقدماً دون تأخير، بل إنك إذا نقدت أجرة يوم واحد، وطلبت أن يسجل لك يومين أبى إلا أن تدفع أجرة اليومين كليهما، ذلك بأنه لا بد أن كثيراً من الناس يغرقون في سبات هذه الجزيرة جزيرة الأحلام، فينفقون ولا يحسبون، فتكون النتيجة أن صاحب الفندق هو المغبون.

هذا مع أن الغرفة في الفندق في هذه البلاد لا يبقى فيها المرء إلا قليلاً من قليل من الوقت في منتصف الليل وأطراف من النهار، وإلا فبقية ساعاته في التجوال والترحال، وهو لن يملّ من ذلك أو يكلّ، إلا إذا أقام طويلاً أو كان في عمل.

والغريب في هذا المجتمع المتحلل من القيود أنني لم أر المعاكسات أو المغازلات بين الرجال والفتيات ولا مرة واحدة، فكل في طريقه سائر إلى ما يريد، أو متسكع ينظر بعينيه، وكأنه لا يشعر بقلبه، فليس فيها ما يكون في بعض البلاد الأوربية من الأفعال الخلاعية الظاهرة، فضلاً عن أن يكون فيها ما في البلاد الاستوائية المنحلة من مشاهد يندى لها الجبين.

وربما كان سبب ذلك شعور الناس بأنهم ليسوا في حاجة إليه، إذْ بلغوا منتهى رغبتهم فيما يريدون.

الوها (Aloha):

هذه كلمة لم أسمع كلمة أخرى أكثر شيوعاً منها في هونولولو، فهي تقال كثيراً، وتكتب أكثر حتى في السيارات وفي النزهات، يقولها المواطنون الأجانب، وقد سألت عنها فقيل لي: إنها كلمة هاوائية من اللغة

المحلية تدل على معانٍ كثيرة، منها: مرحبا، ووداعاً، وأنا أحبك. وقد سمعت بعض الأمريكيات وهي تقول مع زميلاتها بصوت عالٍ: (ألوها)، ثم تضيف: كل واحد يقول: ألوها.

الألوان واللغات:

يرى المرء في هذه البلاد اللون الأبيض من الناس كثيراً يكاد يكون غالباً، يليه اللون الذي يسميه الناس الأصفر ظاهراً في الصينيين واليابانيين، وفي أهل الفليبين، وأما المواطنون فإنهم من أولئك يقربون، وإن كانوا عنهم يتميزون.

وأما اللغات فالإنكليزية هي السيدة الرئيسية، وتسمعها ولا تسمع غيرها في المحلات العامة، إلا ما كان من حديث المواطنين من السكان الأصليين، أو بين المهاجرين من اليابانيين أو الصينيين.

وأما اللوحات فهي مكتوبة كلها بالإنجليزية، وفي بعض الأحيان يكتب معها لغة من لغتين، إما الصينية وإما اليابانية، وهذا هو الحال في الفندق الذي نزلنا فيه.

صلينا إلى الغرب بعد أن كنا نصلي إلى الشرق:

يقع الخط الذي تتساوى عنده المسافة إلى الكعبة المشرفة في نقطة بين مدينة سان فرانسيسكو وجزيرة هونولولو، وهي إليها أقرب من سان فرانسيسكو، وعندما كنا في الولايات المتحدة كلها كانت الكعبة أقرب إلينا إذا اتجهنا شرقاً، مما إذا اتجهنا غرباً، وإن كان ذلك يميل إلى الشمال، أما الآن وقد أصبحنا في هونولولو في نقطة هي أقرب إلى الكعبة من جهة الغرب منها من جهة الشرق، فقد اتجهنا غرباً إلى الكعبة، مع أننا كنا متجهين شرقاً بالنسبة إلى سفرنا إلى بلادنا.

وهنا تبرز نقطة طريفة، وهي أنه إذا كان شخصان يقفان في الخط الذي يتساوى فيه البعدان بالضبط عن الكعبة، فإنه يجوز أن يصلي كل منهما مستدبراً للآخر، أي أن يتجه أحدهما إلى الشرق والآخر إلى الغرب، وتكون صلاة كل واحد منهما صحيحة.

وهنا يخطر على بال المرء هذه الآية الكريمة ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة ١١٥].

يوم الأحد ٢٤/ ٦/ ١٣٩٧هـ الموافق ١٢/ ٦/ ١٩٧٧م

أصبحت على شروق شمس في مكان قصي من العالم هو هونولولو، هذا ما شعرت به عندما استيقظت اليوم، وسارعت بفتح باب الشرفة العالية في هذا الفندق، فتدفق منها هواء البحر العليل، وسافر البصر في عالم من المتعة جميل، ومن أين للمرء أن يحصل على مثل هذه المتعة في بلاد غير هذه البلاد؟ أين يجد القمم الشامخة الوادعة، والأمواج الهادئة السادرة، والصفحة الزرقاء تلامس الصفحة الخضراء التي تصافح الصفحة البيضاء صفحة الغيوم، وفي بلد يلبس المرء فيها ما يعجبه من لباس، ويذهب فيها إلى ما يريد أن يذهب إليه من أماكن.

وكان تجوالنا اليوم مقسماً بين البحر والبر وبين المتاجر والمهاجر.

فانقضى شطر النهار الأول، وما شعرنا بانقضائه، وأسرعنا إلى الغداء، لأن لنا موعداً مع سواحل هذه الجزيرة لا بد من وفائه لنرقب منها قمم جبالها المكللة بالغيوم، وعماراتها الشاسعة المتناثرة ذات اللون الأبيض كلون النجوم، وذلك في:

جولة بحرية:

نظمتها شركة (قري لاين) للتجوال، واخترناها لأنها تبدأ في الساعة الخامسة بعد الظهر، ولم نكن نعرف عنها إلا أنها تستمر لمدة ثلاث ساعات، وأنها تمر بشواطئ الجزء الشمالي من الجزيرة، وأنهم سيقدمون فيها عشاء وقت غروب الشمس في المحيط الذي نوهوا به في مكان بارز من نشرة الدعاية للجولة، وهكذا أخذتنا حافلة الشركة من الفندق في تمام الساعة الخامسة بالضبط، وفوجئنا بأن نزلت منها فتاة قد لبست لباس النساء الوطنيات، وهو فوطة قصيرة قد لفتها حول وسطها، إلا أنها

مشقوقة من إحدى جهاتها، وعلى صدرها غطاء غير عريض، وليس عليها غير ذلك من لباس، وقد أسدلت شعرها السبط الفاحم.

وعندما ركبنا قابلتنا بقولها (ألوها)، وهي التحية الوطنية، وقالت: إنني سأكون دليلتكم، واسمي (ليلو)، ومرت على بعض الفنادق، فأخذت منها من أخذت، وكان كل من دخل يقول: ألوها، فيرد عليه الركاب وبعضهم من النساء الأمريكيات بصوت مرتفع دون احتشام (ألوها).

وسارت الحافلة هنيهة في جزء من المدينة بمحاذاة قناة من البحر تشق جزءاً منها إلى شقين، إلا أنهم نظموها ورتبوها حتى أصبحت كأنها قناة صناعية في منتزه جميل، أو كأنها إحدى البرك المستطيلة في قصر فرساي الشهير في فرنسا، أو في مدخل تاج محل في الهند، ثم قصدوا ميناء صغيراً فأصعدونا إلى زورق كبير، ولشد ما دهشت حين رأيت تنظيمه، فإنه قاعة من القاعات فيها أمكنة لغرفة موسيقية، وحلبة للرقص، وموائد قد صفت صفاً، وكراسٍ واسعة، واسع ما بينها في كل اتجاهاتها، وقد أحاطوا جوانب الزورق بستائر من اللدائن الشفافة، حتى يستمتع من بداخله بمنظر البحر دون أن يصيبه رشاشه، وبادرونا بعد أن أجلسونا بعصير الأناناس الأصفر، وهو شراب نبات في بلادهم أصيل، لأنهم يزرعونه، بل يصدرونه، وشراب متخذ من جوز الهند، وهو أيضاً في بلادهم موجود، وخصوصاً ما كان من جزرها إلى الجنوب.

وكان الركاب في الزورق عدد من الجنسيات، ما بين بيض أمريكيين، وصفر يابانيين، وليس بينهم من السمر أحد غيرنا.

وكان القارب مؤلفاً من طابقين، أحدهما هذا، والثاني أعلى منه وهو مكشوف فيه الكراسي وغير ذلك. فانطلق بعض الركاب إلى الأعلى، وبعضهم بقوا في الأسفل، وأخذت الموسيقى تصدح، ولكن ما من

راقص، مما اضطر المسؤول عنها أن يطلب منهم أن يرقصوا، فلم يستجب لدعوته إلا زوجان يظهر أنهم يقضيان شهر العسل، وآخران غيرهما، ولكن السير فوق صفحة المحيط وبمحاذاة جبال جزيرة هونولولو الفاتنة، وعصير الفاكهة النقي الذي تديره ساقيات من أهل الجزيرة أنفسهم، جعل الركاب يسرون ويطربون، دون أن يكونوا يشربون، ففي هذه الجولة كلها لم يقدم شراب مسكر، لا من الخمر ولا من أبنائها كالبيرة، أو أشقائها كالنبيذ، ولم يقدموا ذلك لا عطاءً ولا شراء، أما العصير الذي يوزعونه فإنه مجاني محسوب على التذكرة، ومع ذلك فقد طرب القوم طرباً دونه طرب كل شارب، ورأيت ذلك على وجوههم وعلى حركاتهم ظاهراً غامراً، وطرأت على ذهني فكرة هي أن الإنسان منهم يستطيع أن يستغني عن المسكرات، ويستطيع أن يجلب لنفسه السرور من غيرها، ولا أقول هذا لمن عافاهم الله من شرورها وسرورها أمثالنا، فنحن ولله الحمد كل حياتنا هكذا، ونعرف ذلك من أنفسنا، ويعرفه عنا غيرنا، وإنما أقول هذا بالنسبة لمن يعاقرونها، ويدعون أنهم على ذلك مجبرون، ولقد كنت أرى في الطائرات وفي المطاعم والمقاهي شُرَّاب الخمر يشربون، ثم يطربون، وإن طربهم لدون ما رأيت على وجوه القوم الذين في الزورق الآن، والذين لم يشربوا خمراً، ولا سيما بعد أن أعلن المذيع أننا ينبغي أن نستعد لمفاجأة، وذلك بينما نحن نتناول طعام العشاء، وظهرت الفتيات اللائي كن يخدمن الركاب، ظهرن بملابس وطنية (هاوائية)، وقد وضعن على رؤوسهن قبعات من الريش، وشددن على أوساطهن فوطاً من القماش، وهن حافيات الأقدام، وأخذن يرفسن الأرض بأرجلهن، ويرقصن رقصاً وطنياً أدهش الجمهور، وأعجبهم، ثم توالت الفقرات التي يقدمنها.

كل ذلك والركاب يتناولون طعام العشاء الذي تألف من لحم البقر المبرد، وشيء من الخضراوات والسمك، ثم قليل من الحلوى، وقطعة من

الخبز، وكوز من الذرة التي نسميها الحبشية مسلوق بالزيت، وهو كافٍ وافٍ، وأضافوا إليه علالاً بعد نهل الأناناس الطازج.

وظن الناس أن الحفل قد انتهى، وكانت الشمس قد قاربت المغيب، وهي ترسل أشعتها وردية ناعسة إلى صفحة المحيط، ولكن كبيرة الفتيات، وهي فتاة قصيرة بدينة يغيب رأسها بين كتفيها من السمن، أخذت تطوف على الركاب وتختار، فاختارت واحدة منهن ولا أدري إلى أي جنسية تنتمي، وجذبتها من يدها بالقوة، فأظهرت الامتناع ثم أطاعت، فأوقفتها، ثم عمدت إلى أحد الرجال وجذبته وقال: هذه ستراقصك، وهكذا حتى أخذت خمساً وكانت السادسة فتاة شقراء هيفاء، هي أجمل من في الزورق كله، فأوقفتها ثم أقبلت عليَّ، ونزعت يدي بالقوة وقالت: هذه ستكون مراقصتك، فامتنعت، ولكنها ألحت فألحفت، فأخبرتها أن رجلي لا تطاوعني لأنها مريضة، أريد بذلك التخلص منها، كل ذلك ورفيقي الشيخ عبد الله بن منيع يكاد يتمزق ضحكاً، فهو يعرف أنني لن أجيب.

وبعد أن أيست المرأة مني اختارت لها شخصاً آخر، إلى أن أتمت سبعة أزواج، فوضعت النساء في صف والرجال في صف آخر، كل واحد مقابل من اختارتها له، وإذا بها تريد أن تعلمهم رقص الوطنين في هذه البلاد، وأخذت تريهم وتأمرهم وتنهاهم، وتطلب منهم أن يفعلوا كما تفعل، وهم لا يستطيعون، وذلك بين عجب الركاب وضحكهم.

قبل مغادرة هونولولو:

أردنا أن نشرك القارئ الكريم في هذه المعلومات عن هونولولو، وحال المسلمين فيها، طبقاً لورقتين قدم إحداهما مكتب رابطة العالم الإسلامي في أمريكا، وقدم الثانية اتحاد الطلبة المسلمين.

ملخص ما جاء في تقرير مكتب الرابطة في نيويورك عن جزر هواي وأوضاع المسلمين فيها:

١- تقع جزر هاواي في منتصف محيط الباسيفيك، ويبلغ عددها ثماني جزر:

أ- جزيرة هاواي، وهي أوسع الجزر من حيث المساحة، ولذلك سميت جميع الجزر باسمها، ويبلغ عدد سكانها اثنين وتسعين ألف نسمة، وهي قسمان: هيلو، وكونا.

ب- جزيرة أواهو، ويبلغ عدد سكانها سبعمائة وستين ألفاً وتسعمائة وسبعة وخمسين نسمة، وفيها تقع مدينة هونولولو العاصمة، وهذه الجزيرة أكثر الجزر كثافة في السكان.

ج- جزيرة ماوي، وعدد سكانها ستة وأربعون ألفاً ومائة وستة وخمسين نسمة.

د- جزيرة مولوكاي، ويبلغ عدد سكانها خمسة آلاف وتسعمائة وثمانين نسمة.

ه- جزيرة لاناي، وعدد سكانها عشرة آلاف نسمة تقريباً.

و- جزيرة كاواي، وعدد سكانها تسعة وعشرون ألفاً وسبعمائة وواحد وستون نسمة.

ز- جزيرة نئيها، وعدد سكانها ألفان ومائتان وأربعة، وهذه الجزيرة نفسها لا يزورها أحد إلا إذا ادعي من أحد سكانها، أي أنها مملوكة ملكاً خاصاً.

ح- جزيرة كاهالاوي، وهي غير مسكونة وتستعمل لأغراض حربية.

فمجموع عدد السكان قرابة المليون نسمة، معظمهم في جزيرة أواهو، حيث العاصمة هونولولو.

٣- المسلمون في جزر هاواي يوجدون في مدينة هونولولو التي تقع في أواهو، وهم من جنسيات مختلفة، ويتراوح عددهم بين ٥٠٠-٦٠٠ نسمة، وقد لا يصلون إلى ستمائة نسمة، ولا يوجد مسلمون في جزيرة هاواي نفسها، وكذلك الحال تقريباً في بقية الجزر الست.

٤- لم يكن هناك جامع يجتمع فيه المسلمون، فكانت كل جالية تجتمع حسب جنسيتها في مسكن واحد من أفرادها، حتى تم شراء الدار التي هي مقر فرع اتحاد الطلاب المسلمين، ولا يمكن جعلها جامعاً حسب قانون الولاية، إذ المنطقة لا تساعد على ذلك. ولهذا فإنهم في حاجة إلى جامع مناسب لعددهم. والقائمون على هذه الدار عاملون على استبدالها.

٥- إن بعض المسلمين يرفضون اعتبار هذه الدار جامعاً، ويرفضون الذهاب إليها، على حين أن رئيس اتحاد الطلبة المسلمين الدكتور شاه يقول: إنها مفتوحة لكل مسلم، ونحن لا نفرق بين مسلم وآخر، ولكن نرفض أن ترتكب المعاصي في الجامع.

٦- إن المسلمين في هاواي في حاجة إلى إمام متخصص يحسن اللغة الإنجليزية.

الورقة التي قدمها اتحاد الطلبة المسلمين في أمريكا:

المسلمون في هونولولو:

إن استمرار تزايد عدد المسلمين، ولو بنسبة صغيرة في هاواي، يمثل انتشار الإسلام المعجز في أجزاء بعيدة من الولايات المتحدة الأمريكية،

ويتكون هذا المجتمع الإسلامي من أناس عاملين في مختلف جنبات الحياة، يكرسون جهدهم للإبقاء على عقيدتهم الإسلامية.

ولما كان معظم الطلبة في هذا المجتمع المسلم يمثلهم اتحاد الطلبة المسلمين في هاواي، فهم فرع للاتحاد، وهناك عقبات تعترض طريقهم واتجاههم لنشر الإسلام، من بينها عدم استطاعتهم النشاط الفعال على مستوى المجتمع، نتيجة عدم تلقيهم أي اهتمام من قبل المنظمات الإسلامية المعنية بإمدادهم بالمساعدات المالية، أو حتى الوسائل الخالصة لنشر الدعوة. ولعل في هذا يكمن السبب لعدم وجود مكان لأداء الصلاة في هاواي، وبالتالي لا تقام صلاة الجمعة.

ونظراً لما يلقاه اتحاد المسلمين من عقبات أكاديمية، ومشكلات مالية، فإن عليه أن يتحمل مسؤولية القيام بالنشاط، وإسداء الخدمات للمسلمين في هاواي.

وقد استطاع اتحاد الطلبة المسلمين أن يوفر حجرة صغيرة لإقامة الصلوات المنتظمة في إحدى العمارات، وعليهم أن يبحثوا عن مكان ما لأداء صلاة العيد، وإقامة المؤتمرات.

ومن ألزم الحاجيات للمجتمع الإسلامي هناك التسهيلات التعليمية في المقام الأول، وخاصة بالنسبة للأطفال، حيث لا يوجد مركز إسلامي أو ما يقوم مقامه مما اضطر حوالي ٩١١ شاباً مسلماً أن يتلقوا تعليمهم في المدارس الأمريكية، وكذلك هم محرومون من وجود مكتبة تمنحهم، ولو أقل فرصة للاستفادة من الكتب الإسلامية.

ولا يستطيع اتحاد الطلبة المسلمين الوفاء بحاجات المجتمع المسلم، نظراً لإمكانياتهم المالية المحدودة.

وقد حاول الاتحاد لفت انتباه المنظمات الإسلامية المعنية، سواء في

داخل الولايات المتحدة أو خارجها لمساعدتهم، ولكنهم لم يصلوا إلى نتيجة حتى الآن.

رغم ذلك كله، يظل اتحاد الطلبة المسلمين يأخذ على عاتقه معالجة الشؤون الخاصة والعامة للمسلمين في هاواي.

الأنشطة والحاجات والخطط:

يبلغ تعداد المسلمين متضمناً الطلبة القادمين للدراسة نحو (٥٥٠) شخصاً بما فيهم الزوجات والأطفال، وينمو هذا العدد بصفة مستمرة لعدة أسباب:

- دخول طلبة جدد في الإسلام في جامعة هاواي.
- تحول بعض أصحاب الديانات الأخرى إلى الإسلام.

والأنشطة التالية يمارسها المسلمون بصفة منتظمة:

١- الصلاة في جماعة خمس مرات في اليوم.

٢- صلاة الجمعة والخطبة.

٣- دراسة القرآن وترجمته وتفسيره والرد على الاستفسارات الخاصة بموضوعاته.

٤- قيام أحد الإخوة المسلمين من البلاد العربية بتدريس مبادئ اللغة العربية للداخلين في الإسلام والأطفال المسلمين، ولسوء الحظ فقد توقف هذا البرنامج لنقص الإمكانات، وعدم وجود وقت لدى الشخص الذي كان يقوم بهذه المهمة.

٥- اجتماع المسلمين العام مرتين في الأسبوع، أو شهرياً، كنشاط اجتماعي لهم يمارسونه.

٦- أداء صلوات العيدين.

٧- ترتيبات عقود الزواج واعتناق الإسلام من غير المسلمين، وتشييع الجنازة، وختم القرآن، وإعداد الطعام في رمضان والولائم .. وتؤدى مثل هذه الأنشطة تحت إشراف اتحاد الطلبة المسلمين في هونولولو.

الاحتياجات القائمة حالياً:

- شراء مكان لدفن موتى المسلمين، حتى لا يدفنوا في مقابر المسيحيين.
- مكتبة صغيرة عن الإسلام، وهذا مطلب ملح وعاجل.
- مركز إسلامي يوجد به من يعلم الإسلام والعربية.

وفي سبيل تحقيق هذه الغايات قام المسلمون في هاواي باقتصاد مبلغ بسيط من المال، ويأملون أن يعاونهم إخوانهم المسلمون على تحقيق رغباتهم بما حباهم الله من فضل، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً وشكراً[(١)]

وقد انقضت هذه الجولة بعد غروب الشمس بساعة في الساعة الثامنة.

---

(١) أرسلت بعد ذلك تبرعات ومساعدات إلى المسلمين في هونولولو وحسنت حالهم ولله الحمد.

يوم الإثنين ٢٥/ ٦/ ١٣٩٧هـ الموافق ١٣/٠٦/ ١٩٧٧م

يوم الثلاثاء ٢٦/ ٦/ ١٣٩٧هـ الموافق ١٤/ ٦/ ١٩٧٧م

نعم هكذا ينبغي أن أكتب هذا اليوم المزدوج، إنه يوم مؤلف من يومين، أحدهما يوم النصف الشرقي من الكرة الأرضية، والآخر يوم النصف الغربي منها أو العكس. لقد غادرنا مطار هونولولو يوم الإثنين الساعة العاشرة والنصف إلا خمس دقائق، والشمس مشرقة، والسماء صافية قاصدين طوكيو، واستمر الطيران سبع ساعات وخمسين دقيقة، ووصلنا مطار طوكيو في الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخمسين من ذلك اليوم نفسه، ومع ذلك وجدناه عندهم يوم الثلاثاء ٢٦/ ٦/ ١٣٩٧هـ، وفرق التوقيت بينهما هو خمس ساعات، فهل كسبنا يوماً؟ أم خسرناه، أم لا ربح ولا خسارة؟

لجلاء هذا الأمر لمن لم يسمعوا به من قبل نقول: إن هناك اصطلاحاً دولياً على أن يوم الأسبوع في الكرة الأرضية يبتدئ من خط وهمي بين هونولولو وبين طوكيو ماراً بالمحيط الهادئ من الشمال إلى الجنوب، وهو إلى هونولولو أقرب منه كثيراً إلى طوكيو، وهو خط الطول ١٨٠ شرقاً، وذلك مقابل لخط الطول الذي اصطلح على أنه هو الخط الذي يبتدأ منه قياس التوقيت في العالم، وهو خط غرينتش، وكلاهما خط وهمي اصطلاحي.

بقي افتراض طريف، وهو أنه إذا وجد شخص على ذلك الخط نفسه، فإنه يكون في يوم بين يومين، فلا يوم الإثنين ولا يوم الثلاثاء، أو قد يقال إنه في يومين اثنين في آن واحد، وليس في يوم واحد، أما نحن فإن الشمس طلعت علينا ولم تغب حتى كنا قد صار لنا يومان لا يوم واحد، كما كان ذلك هو الذي يحدث في السابق، وهذه أول مرة في العمر تحدث

لنا ، إنها لشيء غريب، ولكنه واقعي.

الطائرة تابعة للشركة اليابانية للطيران وهي من طراز (جامبو ، أي بوينغ ٧٤٧) العملاقة المؤهلة لحمل أربعمائة مسافر، وكانت الدرجة السياحية فيها على سعتها مليئة بالركاب، وكلهم من اليابانيين، وكنت أتوقع أن يكون فيها أناس من الأوربيين أو الأمريكيين يذهبون سواحاً إلى طوكيو، ولكن لم يحدث ذلك، ونظراً إلى ازدحام الدرجة السياحية أحضروا إلى الدرجة الأولى بعض الذين تذاكرهم في السياحية، ومنهم شخص جلس بجانبي، سر بذلك لأن الخدمة والطعام كانت تقدم له كما تقدم لركاب الدرجة الأولى الآخرين ما عدا الخمر.

كانت الخدمة جيدة، وكان يخدم الدرجة الأولى فتاتان وفتى، وكان الطعام وافراً، ومعه لأول مرة بالنسبة إلينا الشاي الياباني الأخضر الذي يشرب دون تحلية، وإن كنا لم نستسغه، فجعلنا نحليه بسكر، وكان الغداء بعد ركوبنا بنحو نصف ساعة، ثم عرضوا فيلماً أمريكياً ترجموه إلى اليابانية على قناة خاصة بوساطة سماعة المقعد.

وقبل الوصول إلى طوكيو بنحو الساعة أحضروا لنا طعاماً آخر خفيفاً، ولنسمه طعام العشاء، لأن الأول كان طعام الغداء، وهذا ليس بالغريب إذ مدة الطيران كما أسلفت ثمان ساعات إلا عشر دقائق.

أما الطريق فليس فيه شيء من الإمتاع، لأنه فوق المحيط الهادئ، لا يرى المرء إلا السماء والماء، ما عدا فترات يكون فيها سحاب كثيف طبقات بعضها فوق بعض، فيكون لذلك منظر جميل.

في مطار طوكيو:

حامت الطائرة عليه بعد أن تدنت إلى مستوى السحاب، فراعني

كثرة البواخر في مياه طوكيو وما بقربها، وعندما تذكرت أنني في بلاد اليابان التي تستورد الخامات وتصدر المصنوعات زال عجبي.

وقد كانت الطائرة، وهي تكاد تصل الأرض تطير على مياه البحر، حتى وصلت أرض المطار المجاور للبحر.

وكان المطر ينهمر مدراراً، ولكننا لم نقلق لعلمنا أننا في اليابان المتقدمة صناعياً، وأنهم سيوقفون الطائرة الضخمة أمام مبنى المطار، ويلصقونها بالدهليز المتحرك، كما تفعل المطارات الكبيرة والصغيرة في أوربا وأمريكا، ولكن الأمر لم يكن كذلك، فقد وقفت الطائرة بعيداً عن المبنى، وصعد إليها موظفان في الشركة، ثم لبثا مع المضيفين يتكلمون ويتحاورون، والركاب واقفون، وبعد مدة نصبوا السلم المتحرك، وأحضروا مظلات صغيرة يعطون كل راكب واحدة، ثم إذا نزل إلى الأرض ودخل حافلة كانت واقفة هناك أخذوها منه، وأحضروها ثانية ليستعملها الخارجون من الطائرة من جديد، ولكنها لا تقي من المطر لصغرها وشدة نزوله، فأصابنا بللان أحدهما حينما نزلنا من الطائرة، والآخر عندما نزلنا من الحافلة إلى مدخل الباب الرئيسي للركاب القادمين.

وسار الركاب صفوفاً إلى مكاتب الجوازات، ولكن ما أسرع أن انتهوا، ووصلنا الدور فأسرع الضابط بختم جوازاتنا، وفحص ضابط الجمرك جوازاتنا قبل أن يقول افتحوا الحقائب فلما أبصرها سعودية قال: تفضلوا، ولم يفتح منها شيئاً.

وخُيِّل إلينا أننا أنهينا كل شيء، ولكن تبين أن الصعب لم يأتِ، فقد أردنا أن نصرف دولاراً أمريكياً بعملة يابانية وهي (الين)، فلم نجد هناك مصرفاً، وقيل لنا إنه في بناية ثانية تابعة لهذا المطار، ولكنها

منفصلة عن هذه، بل بعيدة نوعاً منها، وكان الصرف ضرورياً إلينا للمكالمات الهاتفية، ولأجرة النقل إلى المدينة، وبعد أن وصلنا إلى البنك أمر بملء استمارة بكل المعلومات المتعلقة بالشخص الذي سيصرف النقود، ثم بعد ذلك أعطانا رقماً للانتظار حتى ينادى علينا، وهكذا ضيعنا وقتاً.

ثم حجزنا من مكتب في المطار في أحد الفنادق في قلب المدينة، واشترينا تذاكر ركوب بالحافلة إلى فندقنا بخمسة دولارات تقريباً للاثنين، ووقفنا في موقف الحافلة، ولكن قيل لنا إنها لن تصل قبل نصف ساعة.

مدينة طوكيو:

من المطار إلى قلب المدينة أو ما يقرب من قلبها يشاهد المرء مما يشاهده مضايقة مياه البحر لها في هذا الجزء، ولكنهم كافحوا ذلك بالجسور، وفي بعض الأحيان يكون فوق الجسور جسور أخرى، وفي حالات أقل تكون الجسور طبقات ثلاث، ومع ذلك فالذي يشاهد من المدن المتقدمة ليس موجوداً بكثرة في هذه المدينة العظيمة التي هي أعظم مدينة في العالم من حيث عدد السكان، فسيارتنا ذاتها كانت تسير أحياناً في جسور فوق الشوارع، وأحياناً في أنفاق تحت الجسور، وبين الفينة والأخرى يرى المرء قطاراً حديثاً مسرعاً يسير فوق الأرض، بل فوق الشوارع مخترقاً المدينة، دون أن يعترض طريقه شيء من شوارعها لأنه يسير على جسور فوقها.

أما المدينة ذاتها فهي مدينة عمل لا مدينة فنّ، فيما بدا لنا من أمرها لأول وهلة، ووقفت السيارة عند الفندق الذي قصدناه، وهو فندق داييشي، ويقع في حي جنزا من قلب مدينة طوكيو التجارية، وهو كبير معروف في هذه البلاد، ومستواه مستوى فنادق الدرجة الأولى غير الفاخرة، وما أن

دخلناه ورأينا كثرة الداخلين إليه والمراجعين فيه، ونشاط الموظفين العاملين فيه، حتى حصلنا على مثل من أمثال النشاط الفعال لهذا الشعب المتفاني في العمل، فالطابور أمام مكتب الاستقبال كان طويلا، ولكن الموظفين وهما اثنان كانا يعملان كما يعمل الألمان، وكانا ينجزان العمل بسرعة ومهارة، كأنهما في سباق مع الزمن، فلا تردد ولا انزعاج، ولا توقف في الأشياء العادية.

وأنزلونا في الدور السابع كل واحد في غرفة واحدة خاصة به، وصدمنا عندما وصلنا الغرفة، فقد كنا قدمنا من الولايات المتحدة بلاد السعة والترف حتى في الفنادق التي تكون فيها الغرفة كأنها بيت من البيوت، بل إن الفندق الذي كنا فيه في هونولولو يبلغ عرض السرير فيه وحده مثل عرض هذه الغرفة أو أكثر، لأنهم وضعوه يكفي لثلاثة، وعليه ثلاث وسائد مصفوفة صفاً إذ يفترض أنه ربما نزل في الغرفة زوجان لهما طفل.

وكانت هذه الغرفة اليابانية بالنسبة إلى الغرف في الفنادق الأمريكية، بل وفي الفنادق السعودية كأنها القبر، طولها أربعة أمتار ونصف متر، وعرضها نصف ذلك، وهذه هي مساحتها مع حمامها الخاص، ولكن زالت دهشتنا عندما تأملناها، ففي هذه الغرفة الصغيرة جمع أثاث بيت كبير، بل إن شئت قلت فيها العجائب السبع، فيها حمام خاص يغلق بباب محكم، وفي داخله حوض للاستحمام لا يتمدد فيه المرء تمام التمدد، ولكنه يكفي للاستحمام، وفيه ثلاجة صغيرة مثبتة بالحائط يفتح باب لها صغير، فيأخذ المرء ما يحتاج إليه من ثلج، وفيه هاتف صغير، أو قل سماعة للهاتف، وفيه مياه جارية ثلاثة، أحدها حار، الثاني بارد، والثالث للشرب. عدا ما يكون من مستلزمات الحمام في فنادق الدرجة الأولى، وفي الغرفة نفسها مطبخ كهربائي لصنع الشاي،

وقد وجدناهم أعدوا لكل واحد أربعة أكياس صغيرة من الشاي الأخضر تحت هذا الموقد المعلق، وما عليك إذا أردت أن تصنع الشاي إلا أن تملأ الوعاء ماء وتضعه عليه. فإذا بلهبة حمراء صغيرة تضيء تشعرك أنه قد اشتعل. وبعد قليل يغلي الماء وتضع فيه الشاي، وإذا فرغ الوعاء من الإناء ووضعته على الموقد لم يشتعل، وذلك لأنهم قد صنعوه بحيث يكون ثقله هو الذي يبعثه على الاشتعال. وعلى منضدة صغيرة في الوسط وضعت صينية جميلة وكوبان من النخار مع صحنين صغيرين من الخشب منقوشين جميلين يوضع فيهما فنجالا الشاي، وذلك شيء لا يكون في غرف الفنادق الواسعة، وفيها جهاز للتلفاز الملون من صنع شركة ناشنول اليابانية قد ربطوا فيه ساعة كهربائية تريك الوقت طول الوقت ما عدا ساعات النهار، أي ساعات العمل، فهي تريك الوقت على مينائها هي، وتريك الوقت على شاشة التلفاز مرسوماً متواصل التغير بالدقائق، ولا أدري كيف جعلوها كذلك، أما في المساء وفي غير أوقات العمل فإن أرقام الساعة لا تظهر على شاشة التلفاز.

وفي هذه الغرفة الضيقة سرير كافٍ لشخص واحد، ولكنه ضيق، ومقعد مستطيل مغطى ببساط نظيف ما أن ترفع عنه غطاءه حتى تجد أسفل منه سريراً آخر إضافياً يمكن أن يستعمله من يسكن الغرفة مع صاحبها الأصيل.

وفيها جهاز للراديو، وصمامات تفتحها فتنساب إليك منها الموسيقى طوال الوقت إذا شئت، ومصباح كهربائي على البطارية الجافة قد وضعوه احتياطاً للطوارئ، لا لعدم ثقتهم بكهربائهم، وإنما احتياطاً لحدوث الزلازل، إذ ينبغي إذا حدث منها شيء أن تقطع الكهرباء عن المنطقة فوراً، حذراً من الأضرار، وهذا المصباح مثبت على قاعدة غير متحركة إذا نزعته منها اشتعل ضوؤه، وإذا أعدته إليها انطفأ.

وفيها من أنواع المصابيح الكهربائية عدة، شيء للإضاءة العامة، وشيء للقراءة، واثنتان تضيئان ضوءاً خافتاً تحت الأقدام يستعملان في وقت النوم.

وقد أعدوا فيها لكل نزيل روباً، أي ثوباً للغرفة والنوم مكوياً نظيفاً، كأنه الجبة مشقوقة من أمام، ومعه رباطه، فما عليه إذا أراد البقاء إلا أن يتجرد في الغرفة من جميع ثيابه، ثم يرتدي هذا الثوب.

وفيها زوجان من الأحذية الخفيفة اللطيفة المريحة للأقدام، تستعمل للبقاء في الغرفة وفي الحمام وفي المشي من غرفة إلى أخرى في الفندق، حتى اللسان المساعد للبس الحذاء موجود معلق، وهو ذو يد طويلة بحيث لا يضطر من يستعمله إلى الانحناء كثيراً لاستعماله كما في الألسنة العادية، وفي الغرفة أيضاً غطاءان للشعر عند الاستحمام، وكيسان لمسح الأحذية، وصابونتان صغيرتان.

هذا إلى جانب مكتب صغير عليه كرسي لطيف، ودرجان للأوراق والأشياء الصغيرة لما يحتاج إلى رفعه، وهي مكيفة الهواء على ثلاث درجات متفاوتة القوة، أما النافذة فلها ستارة من اللدائن واحدة تغير أوضاعها حسبما شئت، وفي الغرفة حاملة للحقيبة، ومشاجب للثياب، ووعاء قد وضعت فيه المناديل الورقية.

وعلى وجه العموم فإن في هذه الغرفة التي يستحيي المرء منا أن يذكر أن مثلها موجودة في بيته إلا إذا ذكر أنها لطفل، أو لخزن الأشياء الصغيرة، كل ما يحتاج إليه النزيل.

وقد بينت ذلك كله لأنه يعطينا نموذجاً لما يصنعه اليابانيون في بلادهم من اختصار الأشياء، والانتفاع بالمساحات الضيقة في الأغراض المتعددة.

وقد رأينا بعد ذلك الأمثلة في طوكيو، فالسيارات اليابانية معروفة، ومعروف أنها صغيرة، ولكنها مستكملة الأدوات، وطوكيو نفسها مدينة كبيرة، بل هي أكبر مدن العالم قاطبة، أي أكثر مدينة سكاناً، ومع ذلك مساحتها لا تساوي مساحة مدينة متوسطة من مدن الولايات المتحدة الأمريكية، ولكنهم عملوا على الانتفاع من كل شبر فيها، فأنشؤوا قطارات للمواصلات العامة تسير تحت الأرض في طبقات ثلاث، بعضها فوق بعض، في كل طبقة تكون القطارات وأحياناً المحطات، وأقاموا على سطح الأرض الجسور فوقها الجسور، أما الشوارع العامة فيها فهي ضيقة على وجه العموم، ولكنهم يستعملون حكمتهم في عدم السرعة فيها، وباحترام حق الراجل في المشي، وحق السائق في المرور.

ويتساءل المرء عن السر في هذا العمل، أو قل السر الذي علم هذا الشعب العجيب كل ذلك، فيوحي إليه خياله أنه ربما كان ذلك راجعاً إلى طبيعة بلادهم الضيقة التي تتألف في معظمها من جبال ضيقة بطبيعتها، والسهول قليلة، استعملوا بعضها لإقامة المصانع والمنشآت، وبعضها للزراعة الحقلية كالأرز ونحوه، فعلمهم ذلك أن يستفيدوا من المساحة الصغيرة أغراضاً عديدة، أكثر مما يستطيع غيرهم أن يفعله.

وقد يوحي خيال المرء إليه أن ذلك شيء من طبيعة الحجم في أجسامهم، فهم في الغالب ذوو قامات قصيرة، وأجسام ضئيلة، ولكن هذا من وحي الخيال، إذْ ليس الفرق بينهم وبين غيرهم من الناس في الأبدان كالفرق بينهم في استعمال هذه الأشياء.

جولة على الأقدام:

خرجنا إلى جولة في الشوارع القريبة من الفندق، ويقع في الحي التجاري في المدينة المسمى قنزا، تحيط به المتاجر والمطاعم، ورأيناهم

يصنعون في المطاعم عجباً من العجب، إذْ يضعون على واجهاتها الزجاجية نماذج مما يقدمونه فيها ممثلاً في الأطباق بكل تفاصيل الطبق، وهو كله من اللدائن (البلاستيك)، فترى بعضها أحمر، وبعضها أصفر، وبعضها أرجواني اللون، ولنفترض أن الطبق يضم فاكهة مختلفة، فستراها كلها بألوانها، وقد كتب على كل طبق سعره، فما عليك إلا أن تشاهد هذه الأطباق، فما أعجبك لونه، وناسب لك سعره، استطعت أن تدخل فتطلبه، فيحضر إليك كما طلبته، إلا الفاكهة والخضروات فإنها غالية كل الغلاء، وأكثرها يباع إما بالواحدة كالتفاح والخوخ، وإما بالغرام الواحد كالعنب وقطع البطيخ، فتراه مكتوباً عليه كل مائة غرام بكذا.

ولما رأينا ذلك حمدنا الله وشكرناه، فنحن في بلادنا لا نعرف هذا التقتير، ولا هذا التقدير، والواحد منا يشتري عدداً من البطيخ الأخضر، مثلاً يكفي أن يبيع منه صاحب الدكان هنا أياماً، ويمكن ألا تحصل أسر كثيرة فيها إلا على أقل من واحدة لكل عدد منها.

وقد أردنا أن نجرب طعام المطعم، فنظرنا إلى واجهة أحد المطاعم، واخترنا لونين لكل واحد من أنواع الأسماك ومن السلطات الخضراء، وذلك لأنهم ليسوا من أهل الكتاب الذين تحل للمسلمين ذبائحهم، وقد طلبنا لكل واحد منا صحنين مزدوجين، أي ما يفترض أنه يكفي عندهم لشخصين، ومع ذلك طبق من الأرز الياباني الذي لا نشتهي أكله، لأنهم يقدمونه أبيض خالياً من أي شيء آخر جافاً، لا يستساغ ابتلاعه، ومع ذلك يقدمون معه لك الأعواد لتأكله بها بدلاً من الشوكة أو الملعقة، وهي أعواد لا تستطيع أن تمسك بها نفسها كما يمسكون بها بين أصابعهم إلا إذا تعلمت ذلك، فكيف بها تأكل الأرز؟ إن ذلك يحتاج إلى مران طويل، كيف ونحن لن نحل حتى نرتحل؟ وربما لا نتعلم قبل ذلك، إذاً الأفضل والأسلم أن ندع المحاولة من أولها، و(نزول من أسفل الدرجة أسهل من نزول

من أعلاها) كما يقول المثل العامي.

لذا طلبنا شوكة، وظللنا بها نأكل الأرز والسمك والجمبري بين عجب الآكلين في هذا المطعم الشعبي المزدحم، ولكنهم لأدبهم وتهذيبهم لا يظهرون لك الاستغراب.

أما الطعام فهو صحن من السلطة الخضراء لا نعرف منها إلا الخس، وصحن من شرائح سمك السلمون الحمراء، وصحن من الجمبري لكل منا، إضافة إلى الأرز. وقد أكلناه كله ما عدا الأرز، ولكنه لم يغن عنا من جوع، فذهبنا إلى بقالة قريبة واشترينا شيئاً من البسكويت، وبعد أن رجعنا إلى فندقنا صنعنا فيه الشاي بسهولة، كما أعدوا للنزلاء وأكملنا عشاءنا من ذلك البسكويت.

عندما رأيت أنواع الوجبات في واجهات المطاعم، وكلها دون استثناء مما أنبتت الأرض، ومما أخرج البحر، وليس فيها من لحم البقر أو الغنم شيء، عرفت لماذا كانت أجسام اليابانيين رشيقة، وأحياناً نحيلة، ذلك بأن وجبات طعامهم خفيفة، وهي أيضاً من النوع الذي لا يسمن مثل الأسماك والزيوت النباتية والخضراوات والأعشاب البحرية، وعرفت لماذا يكون شيوخهم خفيفي الحركة رغم كبر السن، إلا إننا نحن الذين تعودنا على اللحم والشحم، والطعام الدسم، أجسام بعضنا تكبر كلما كبر في السن، فهو مع الأيام ككرة الثلج التي كلما تدحرجت كبرت.

هذا إلى أن اليابانيين شعب يشرب الكحول كثيراً، وبخاصة الخفيفة منها كالبيرة، وهذا هو الذي يضر بصحتهم، ولولا ذلك لكانوا ممن لا يتبين عليهم مظاهر الشيخوخة كما تبين على غيرهم إلا في سن متأخرة.

الذوق الياباني:

خلال جولتنا هذه مر بنا آلاف من اليابانيين من رجال ونساء وشبان وفتيات، فكان المرء يلاحظ أن الرجال يحرصون على ارتداء الزي الإفرنجي الكامل، وقلّ أن تجد فيهم من لم يحكم لبس رباط الرقبة، أما السير بقميص وسروال دون صدرية فذلك أمر نادر، وإذا اضطر أحدهم إلى الانتقال من مكان إلى مكان قريب، فأنه يخلع صدريته، ولكنه يبقي رباط العنق.

هذا بالنسبة للرجال، أما بالنسبة للنساء فإنهن يلبسن لباساً هو أقرب لباس عام للنساء رأيته في بلد صناعي، فهو طويل لا يرتفع إلى الركبتين، وهو واسع بحيث لا يصف حجم أجزاء الجسم، وهو إلى ذلك جميل يبدو في نظر الرجل أكثر جمالاً من الألبسة غير الساترة بكثير، ولا يشذ عن هذه القاعدة أحد من النساء إلا من لا يذكر، و(النادر لا حكم له) كما يقال.

وما قيل عن لباسهن يقال عن زينتهن، فهن يستعملن المساحيق وأدوات التجميل، ولكن بدون إسراف، حتى يكاد يخيل إليك أنهن لا يستعملن شيئاً من ذلك، وهن ذوات أجسام معتدلة أو نحيلة، شأنهن شأن الرجال إلا أنهن أقل إسراعاً في المشي، وإذا سارت الواحدة منهن فإنها تسير إلى الأمام، وكأنها في طابور للتدريب لولا خطواتها الوئيدة التي تشبه خطوات الأوز، فهي لا تتسكع ولا تلتفت، وإذا رأت ما يسترعي انتباهها مثل منظر الغرباء أمثالنا فإنها تنظر بأدب، وكأنها تنظر إليه دون استشراف. وهن قادرات على إخفاء ما يفعله الزمن بهن أكثر من الغربيات، لذلك إذا رأيتهن في طوكيو تساءلت لماذا لا يوجد فيها من العجائز من العدد مثل ما هو في غيرها من البلاد، إلا أنهن لا يضعن ما يعظم صدورهن، لذا ترى أكثرهن - على البعد - صدورهن كصدور الرجال.

ومن العجيب أنك ترى وجه الواحدة منهن في وسط الزحام، أو من وراء حاجز غير مرتفع، فيخيل إليك أنك ترى امرأة ذات وزن ثقيل، فإذا بك بعد أن تراها دون حاجز تجدها معتدلة الجسم، ذلك بأنهن ذوات وجوه منتفخة، ووجنات بارزة، ولكنها متناسبة مع الوجه، فلا تحس أنها في شكلها نشاز من النشاز، وإذا رأيت الواحدة منهن بعينيها المائلتين أو الغائرتين، وأحياناً بكلا الوصفين، وبينهما أنف قصير، ولكنه لا يصل إلى حد أن يكون أفطس كأنوف الكنغوليات، وفمها الضيق جداً بالنسبة إلى وجهها العريض، وشفتيها المعتدلتين اللتين لا هما بالممتلئتين ولا بالدقيقتين، وهي تخطر أمامك في خطو متقارب، ورأسٍ من الأدب متطامن، وغلالة من اللباس النظيف الساتر، خيل إليك أنك تنظر إلى دمية جميلة يود الرجل أن يرنو إليها ولا يمسها، أو أنه ينظر إلى زهرة نضرة يخشى أن يلمسها فيفسدها، أو هي الفراشة الملونة المحلقة، تراها فتعجب بألوانها وهي محلقة.

فهي بالنسبة له ليست إغراء يتجسم، ولا فتنة تمشي على الأرض كما هي عليه الحال بالنسبة إليه مع الفرنسيات، ومعظم الأوربيات، وبعض الأمريكيات.

والنساء هنا عاملات دون أن يجعلهن العمل خشنات مسترجلات، كما هي عليه الحال في بلاد الشيوعية.

أما الذوق الياباني الذي تجلى لنا في واجهات المتاجر، وتزيين المحلات، فهو ذوق خاص بهم، مبني على الاقتصاد والاختصار، فالأضواء ساطعة ولكنها الأضواء البيضاء (الفلورسنت)، وقد غلفت كلها بأغلفة جميلة مكتوب عليها الإعلانات، وأبواب المطاعم والمقاهي صغيرة، ولكنها نظيفة.

ومن الواقع الذي رأيته ولمسته هنا أن الرجال والنساء يحفظون للشارع العام آدابه، فلا حركات بذيئة، ولا شيء مما يخدش الحياء أمام الناس، بل ترى الرجل يتصرف أمام المرأة كما يتصرف أمام رجل مثله.

وتصرفه أمام الرجل والمرأة بمنتهى الذوق والأدب، أما التحية اليابانية فهي مضرب المثل في هذا الشأن، وإن كنت قد لاحظت أنها ليست شاملة عامة، كما أخبرنا عنها من قبل، وهي الانحناء إلى الأمام مرة، وربما أكثر من مرة، حسب مقام الشخص الذي تهدى إليه التحية.

يوم الأربعاء ٢٧/ ٦/ ١٣٩٧هـ الموافق ١٥/ ٦/ ١٩٧٧م

في جامع طوكيو:

ذهبنا مع أخينا الدكتور صالح مهدي السامرائي المسؤول عن الشؤون الخارجية للمركز الإسلامي في اليابان، والأستاذ موسى وهو من إخواننا السودانيين المعنيين بالعمل الإسلامي، وكان جاء إلى اليابان للدراسة، فعرف اللغة اليابانية، وعندما تخرج التحق بالعمل في المركز الإسلامي.

وقد اخترقنا جزءاً كبيراً من مدينة طوكيو القديم التي كانت قائمة قبل الحرب، شوارعها ضيقة جداً بالنسبة إلى شوارع عاصمة لدولة صناعية كبرى، وبيوتها معظمها ذات طوابق منخفضة، لا تكاد تتجاوز الطابقين، إلا أنه يوجد على بعض الشوارع الأكثر اتساعاً بيوت أعلى من ذلك.

وقبل الوصول إلى المسجد ظهر بمنارته العالية، وقبته الجميلة المبنية على الطراز العربي الجميل، وهو في تلك المنطقة مَعْلَم من معالم مدينة طوكيو، لا يعلو على ارتفاعه في منطقته بناء آخر.

دخلناه فإذا به على طراز الجوامع في تركيا، ما عدا زجاج النوافذ، فهو خليط من الفن العربي والفن الياباني، وعلى بابه الرئيسي من الخارج كتبت الشهادتان بخط عربي جميل (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

وعند الباب الداخلي وقبل الصعود لمكان الصلاة، يخلع المرء حذاءه ويلبس فيها قباقيب من الخشب، مما استعاض الناس عنه الآن في بلادنا بنعال اللدائن والمطاطية.

وفي المدخل مكتب عليه بعض مطبوعات المركز الإسلامي في طوكيو، ليطلع عليها من يأتي إلى المسجد للصلاة، وعلى جدرانه الداخلية كتب اسم الجلالة، واسم النبي ﷺ، ثم أسماء الخلفاء الراشدين باللغة العربية داخل دوائر جميلة، كما هو عليه الحال في المساجد إلى جانب لوحات مثل (هذا من فضل ربي)، و(هو على كل شيء قدير).

والمسجد بني عام ١٩٣٨م، قام على بنائه رجل ثري من المسلمين الذين هاجروا من روسيا عندما استولت عليها الشيوعية، وقد توفي رحمه الله، ويوجد له أبناء رأينا منهم ولده محمد أسعد، وأما اسمه فهو (عبد الحي قربان علي).

وفي المسجد عدد من المدافئ - جمع مدفأة - لتدفئته في شتاء طوكيو الشديد، ومع ذلك ليست بكافية، مما حمل أحد الإيرانيين عند زيارته للجامع مع أسرته على أن يتبرع بتكاليف تدفئة كاملة له.

وتقام في المسجد صلاة الجمعة، وأخبرونا أن عدد المصلين يبلغ ما بين ٣٠ إلى ٥٠، وذلك لأن صلاة الجمعة توافق وقت العمل في اليابان، أما في الأوقات الأخرى فلا يقام فيه من الصلوات إلا العشاء والفجر بسبب بعد بيوت المسلمين عنه.

وملحق بالمسجد مدرسة مكتملة البناء، ولكن لا يدرس فيها أحد في الوقت الحاضر، كما تتبعه أرض صغيرة، غالية الثمن، لكونها في وسط المدينة، ولأن المنطقة غالية ومطلوبة للسكن، وقالوا لنا: إن قيمة المتر المربع في مثل هذه الأرض بلغ نحو (٤) آلاف دولار، أما في المنطقة التي فيها فندقنا، وهي قلب المدينة التجارية، فيساوي ضعف ذلك. وهذه قيمة عالية جداً.

ويقع الجامع في حي يسمى (شي يوياكو) أي: مركز شي يوياكو

لأن كلمة كو تعني مركزاً، ويراد بها هنا مركز حي من أحياء المدينة، أو قل قسم من أقسامها الرئيسية ذات الإدارة الخاصة بها، وكانت تصدر عن المركز مجلة شهرية، ولكنها توقفت الآن.

المركز الإسلامي:

ومن هناك انطلقنا إلى المركز الإسلامي في اليابان في حي من الأحياء المزدحمة، شوارعه ضيقة، وبعضها غير مستقيمة، وبيوته أكثرها من طابقين اثنين، وبعضها من طابق واحد، وكلها مبنية من الخشب والورق ما عدا بعض الدعائم الضعيفة من الآجر.

وهي ضيقة جداً حسبما رأينا أحدها، وهو الذي اشتراه المركز الإسلامي بمائة ألف دولار، ويكفي أن نعلم أن مساحة الأرض المبنية منه هي ستون متراً مربعاً في الطابق الأسفل منه غرفة طعام، ومطبخ يستعمل في الوقت نفسه مجلساً، وحمام، ومطبخ، أما الحمام فهو أضيق من فؤاد أم موسى، وأما المطبخ فهو ضيق، ولكن ليس ضيقة شديداً إلى جانب سلم خشبي متعرج متفاوت السعة بين الدرجات، يصعد عليه إلى الطابق الأعلى الذي فيه غرفة مفروشة بالحصر، وعليها وسائد مربعة، أو قل حشايا مربعة يجلس عليها الجالس متربعاً، وغرفة تستعمل مكتباً، وأخرى صغيرة فوق المطبخ تستعمل مكتبة، أما الشرفة (البلكونة)، فإنها تستعمل في نشر الغسيل، ولا يزيد عرضها على نصف متر، ومن عادتهم أن لا يستعملوها للجلوس، لئلا يطلع الجالس فيها على مداخل بيوت الجيران التي هي قريبة منه جداً، لصغر البيوت، وغلاء الأرض، ولو أن متنحنحاً تنحنح في بيتٍ لسمعه جاره، ولذلك يحرصون على أن تهدأ الأصوات في البيوت بعد الساعة العاشرة ليلاً طلباً لراحة الجميع، فيستنكرون رفع صوت المذياع أو التلفاز في مثل هذا الوقت، أو حتى التحدث بأصوات

مرتفعة، وذلك لصغر البيوت وقرب بعضها من بعض كما ذكرت، ولأن حواجزها مبنية من الخشب المضغوط والورق المقوى، فلا تستطيع أن تكون في منع الصوت كالجدران المبنية بالإسمنت.

وإنك إذا دخلت بيتاً يابانياً شعرت كأنك في خيمة مؤقتة، ولست مستقراً في بيت خاص بك، وذلك لعدم فصله فصلاً تاماً عما يحيط به من البيوت إلا ما يحجب النظر من ستائر وخشب مضغوط، والحقيقة أن الأمر كذلك، إذ لا تعمر هذه البيوت الخشبية أكثر من عشرين سنة إلا في النادر، وذلك لكثرة الأمطار، ولأنها هي ليست قابلة لذلك، هذا مع أنهم يطلونها بطلاء يجعلها تبدو وكأنها البيوت العادية المطلية بالإسمنت، وكافة أنواع الطلاء، إلا أنك إذا نقرت عليها بإصبعك تبين لك أنها من الخشب.

وقد تسأل نفسك: ولماذا يصنع اليابانيون بيوتهم كذلك، مع أنهم قوم مهرة يصنعون العجائب لغيرهم؟ والجواب: أن ذلك بسبب الزلازل، فالزلازل قد علمتهم أن تعتادهم في أوقات متفاوتة، حتى أصبحت شبه لازمة لبلادهم، ومثل هذه البيوت الخشبية تقاوم الزلازل، فتهتز معها، ولا تسقط لخفتها، وإذا اختل منها شيء فإصلاحه يسير، على أنه يوجد لديهم عمارات عالية، وبيوت مبنية بالإسمنت، ولكن هذا كله ليس القاعدة، وهي غالية جداً بحيث يكلف بناؤها أكثر مما يكلفه في غير اليابان أضعافاً مضاعفة قد تصل إلى خمسة أضعاف، ذلك لأنه لا بد فيه من شروط ومواصفات كثيرة غير لازمة للبناء في البلدان التي أرضها مستقرة، لأنهم إذا بنوها فلا بد من مضاعفة كل شيء يجعلها تقاوم الزلزال وتصمد له.

ولضيق البيوت ووفق عادة قديمة كانت شائعة بسبب الأوحال التي تكون في الشوارع بعد الأمطار، والتي لا توجد الآن، فإن اليابانيين قد

اعتادوا أن ينزعوا أحذيتهم عند الدخول للبيت، ويلبسوا بدلاً منها أحذية خفيفة من اللدائن والقماش، ما رأيت أخف منها وزناً وألين منها على الرِّجل.

ولنعد إلى المركز الإسلامي فنقول: إننا عقدنا فيه جلسة عمل مع الإخوة المسؤولين عنه.

وحان وقت الظهر، فسمعنا أحد الموظفين يؤذن بصوت شجي يطرب الآذان والنفوس، وهو من أصل تتري من الذين فروا بدينهم من الشيوعية، والذين بلادهم في روسيا قريبة من موسكو، فأدينا معهم صلاة الظهر.

طعام ياباني:

تركنا السيارة، وذهبنا مع بعض إخواننا وهم الدكتور صالح السامرائي، والدكتور عبد الباسط.

فركبنا القطار الذي يسير فوق الأرض، ومن هناك انتقلنا فركبنا القطار الذي يجري تحت الأرض، ثم نزلنا إلى قطار يسير تحت القطار الأول، وذلك كله في جوف الأرض، ليرينا إخواننا نظام القطارات التي تجري تحت الأرض في طوكيو، ومن هناك ارتفعنا إلى محطة لهذه القطارات في الطابق الأرضي الأدنى إلى السطح، فدعانا إخواننا إلى مطعم ياباني يقدم الأطعمة اليابانية، ومنها أنواع السمك المشهورة عندهم.

فلما جلسنا على المائدة بادرنا رجل وامرأة من العاملين بأكواب الشاي الأخضر الحار الخالي من السكر، وبعده الماء وأعواد الخشب التي يؤكل بها الأرز وغيره من الطعام، ثم لبثنا مدة ظلوا فيها يعدون الطعام، ثم أقبلوا به كل واحد في طيفورية، أي صحن من الخشب، داخله شرائح من لحم السمك النيئ الذي يشبه (التونة)، ويسمونه ساشيمي، وطبق من

الخشب فيه الأرز الياباني، وصحن فيه نوع من السرطان البحري أبو جلمبو المقلي بالزيت النباتي ويسمونه تمبرا، وثلاثة أنواع من سائل يشبه الخل وليس هو بالخل، مخصص كل نوع منه لنوع من أطباق السمك يغمس فيه، ويؤكل معه، وشيء يشبه الزيت لا أدري ما هو، وطبق فيه خضار مخلل، لا يعرف المرء منا أي نوع من الخضار هو.

وكان طعاماً لذيذاً جداً، لم يكدره إلا عدم استطاعتنا الأكل بالأعواد التي اعتادوا أن يأكلوا بها، وقد شعرنا بعده بالشبع الحقيقي.

قنزا:

قنزا حي تجاري في قلب مدينة طوكيو، ويقولون: إن من لم يزر قنزا لم يزر طوكيو، هكذا أخبرنا إخواننا، ولهذا صحبونا الليلة في جولة ليلية على هذا الحي، كانت في الساعة الثامنة، وكان السير على الأقدام، لأنه قريب من فندقنا، وكان الشارع الرئيسي فيه فخماً دون أن يبلغ حد الإسراف، بل تكاد تقول إن الطابع الياباني متمثل فيه، فهو جميل ومنار بشكل يجعله أكثر إنارة من الشوارع التي تماثله في المدن الكبرى، إلا أن ذلك لم يخرجه عن حد الاقتصاد، فأنواره أغلبها ذات قوة غير عالية، وواجهات المحلات التجارية فيه أغلبها يحفل بالسلع الفاخرة، وتنتشر على جانبيه المقاهي ذات الواجهات الزجاجية التي تشبه المقاهي في شارع الشانزلزيه في باريس، إلا أن الأخيرة أكثر إسرافاً، كما تكثر المطاعم الفاخرة الغالية الأسعار فيه.

أما الشوارع الفرعية، ففيها كثير من الملاهي والمشارب، ولكنك لا ترى الازدحام على أبوابها كما في أكثر البلدان.

ومن العجائب أننا رأينا في هذا الشارع لافتة كبيرة جداً مرسوماً

عليها أنواع الكف، ومكتوب عليها: نحن نقرأ لك حظك من خلال معرفتنا بكفك، ونستعمل في ذلك أحدث الآلات الإلكترونية، ووراء تلك اللافتة جلس الشخص الذي يقرأ الكف، ورأيت بعض النساء يردن قراءة أكفهن، أما الأجرة فقد كتبت أنها ثلاثمائة ين، أي: ما يزيد قليلاً على دولار أمريكي واحد.

وأخبرني إخواننا أنهم رأوا مرة قارئة كف مشهورة، عليها طابور من الناس واقف كل منهم ينتظر أن يصله الدور فتقرأ كفه.

وهذا غريب أن يكون في هذه البلاد المتقدمة صناعياً وثقافياً مثل الإيمان بهذه الأشياء التي لا تسندها الحقيقة.

التعريف باليابان

اليابان

دولة تتكون من عدة جزر، تقع في الشمال من المحيط الهادئ، مواجهة لكل من روسيا وكوريا والصين، وتتألف من آلاف الجزر، وأربع كبرى هي: هوكايدو، وهونشو، وكيوشو، وشيكوكو. ويسمى اليابانيون بلدهم نيبون، أو نيهون، أي مصدر الشمس، أما اسم اليابان فربما جاء من الاسم الإيطالي ريبانغو الذي أطلقه عليها الرحالة ماركو بولو في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي.

العاصمة: طوكيو.

اللغة الرسمية: اليابانية.

المدن الرسمية: طوكيو (٨,٣٥٣,٦٧٤) نسمة، يوكوهاما (٢,٩٩٢,٦٤٤) نسمة، أوساكا (٢,٦٣٦,٢٦٠) نسمة، ناغويا (٢,١١٦,٣٥٠) نسمة، سابورد (١,٥٤٢,٩٧٩) نسمة، كيوتو (١,٤٧٩,١٢٥) نسمة، كولى (١,٤١٠,٨٤٣) سمة.

المساحة: (٣٧٧,٨٠١) كم٢.

شكل الحكومة: ديمقراطية برلمانية.

الرئيس الرسمي: الإمبراطور.

السلطة التشريعية: ويشمل مجلس النواب (٥١٢) عضواً، ومجلس الشيوخ (٢٥٢) عضواً.

رئيس الوزراء يختاره المجلس التشريعي، ويعاونه الوزراء.

السلطة التنفيذية: الذين يختارهم رئيس الوزراء.

الأقسام السياسية: (٤٧) مقاطعة.

عدد السكان: ١٢٦٨٧٥٠٠٠ نسمة إحصاء ١٩٩٦م.

السكان بالكامل من اليابانيين، ويوجد قليل من الكوريين.

٩٠٪ من السكان شنتو، وهي الديانة التقليدية اليابانية، و٧٥٪ من البوذيين (معظم اليابانيين يدينون بالشنتو والبوذية في آن واحد)، وأقل من ١٪ نصارى.

الإسلام في اليابان:

اعتنق أول شخصين يابانيين الإسلام في إسطنبول عام ١٨٩١ وهما (خليل يامادا، وعبد الحكيم نودا)، وبعدهما أحمد أريجا، وحج أول ياباني في عام ١٩٠٩م، وهو الحاج عمر ياما أوكا، وثاني حاج محمد نور تاناكا ١٩٢٥م، وثالث حاج صالح سوزوكي ١٩٣٦م، الذي حظي باجتماع مع المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله.

وأول زيارات من العالم الإسلامي إلى اليابان كانت من قبل علي أحمد الجرجاوي، وأحمد مصلي من مصر، وعبد الرشيد إبراهيم تركي تتاري، ومحمد بركة الله، ومرفاز حسين من الهند.

أول من استقر من المسلمين هم من الهنود التجار الذين بنوا مسجد كوبي سنة ١٩٣٥م، ثم بعدهم المهاجرون التتار الذين فروا من قازان، وبنوا مسجدهم، مسجد طوكيو عام ١٩٣٨م.

وأول جمعية إسلامية يابانية أسست في عام ١٩٥٣م، وفي عام ١٩٦١م أسست جمعية الطلبة المسلمين، ويعتبر ذلك بداية تطور في الدعوة إلى الإسلام من قبل الطلبة المسلمين، وإن كان قبلها قد جاءت جماعة التبليغ من باكستان سنة ١٩٥٦م، والذي شد اهتمام اليابانيين أكثر بالإسلام كان بعد حرب رمضان ١٩٧٣م، وحدوث أزمة البترول.

وفي خلالها تم إنشاء المركز الإسلامي الياباني في طوكيو والمعهد العربي الإسلامي، وأيضاً إنشاء كرسي الدراسات الإسلامية.

عدد المسلمين في اليابان:

يقول الإحصاء الرسمي إن عدد المسلمين في اليابان يبلغ (٥٠٠٠٠) على وجه التقريب، والدخول في الإسلام مستمر، وهم متواجدون في البلاد من الشمال إلى الجنوب، ويتوزعون على عدة جمعيات، أما الأجانب المقيمون المسلمون، فيبلغ عددهم نحو (٢٠٠٠٠٠) مائتي ألف أو يزيدون، وأيضاً موزعون من شمال اليابان إلى جنوبها، إما في المصانع أو التجارة، أو الدراسة، وأغلبهم من الماليزيين والإندنيسيين، يليهم العرب والباكستانيون، والزواج من المسلمين الأجانب واليابانيات كثير، وأبناؤه يحصلون على الجنسية اليابانية.

ولا مستقبل للإسلام في اليابان بدون مدرسة إسلامية، فأبناء المسلمين اليابانيين، وأبناء الآلاف من الزيجات الإسلامية مهددون بالضياع والذوبان، إن لم يوجد تعليم إسلامي لهم.

يوم الخميس ٢٩/ ٦/ ١٣٩٧هـ الموافق ١٦/ ٦/ ١٩٧٧م

مغادرة اليابان

كان رفيقي الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع لديه أسباب خاصة تلزمه بقطع الجولة والعودة إلى المملكة، وكان من المقرر أن نزور بعد اليابان الصين الوطنية، وهونغ كونغ، وتايلاند، وسيلان، ولذلك قرر العودة إلى المملكة هذا اليوم من طوكيو عن طريق البحرين، أما أنا فقد رأيت أن ألغي زيارة تايلاند وسيلان، لأنني سبقت لي زيارتهما، وأن أقوم بزيارة الصين الوطنية (تايوان)، وهونغ كونغ، إلى جانب إضافة كوريا الجنوبية إلى الزيارة، لأن هذه الأقطار الثلاثة لم أرها من قبل.

وهكذا كان، فقد خرجنا إلى مطار طوكيو معاً، يصحبنا بعض الإخوان، وليسافر الشيخ عبد الله إلى المملكة، وأسافر أنا إلى كوريا، وغادرت طائرته المطار قبل طائرتي.

وقبل السفر كانت هناك فسحة من الوقت شربت فيها القهوة في المطار مع الدكتور صالح السامرائي، والشيخ نبيل عباس مبعوث رئاسة الإفتاء إلى اليابان للدعوة إلى الله فيها، وتذاكرت معهم في الأحوال الإسلامية في اليابان، كما تناول الحديث الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في اليابان، وكان مما اتفق عليه أنه لو بذل جهده أكثر بإمكانات أفضل، لكانت النتيجة إسلام عدد كبير من اليابانيين، لأن معظمهم لا دين له، إذ دينهم الرئيسي القديم وهو الشينتو لم يعد يؤمن به من الشباب المتعلم إلا القليل، والإسلام بسماحته ونقائه وصفائه، بل ومثاليته هو الذي يوافق طبيعة الشعب الياباني الذي له عادات وتقاليد موروثة في الفروسية والشهامة.

وقال لنا إخواننا أن في مدينة طوكيو وحدها أكثر من خمسمائة كنيسة، وإن أكبر الجامعات فيها، وهي جامعة طوكيو، هي في أصلها جامعة تنصيرية، ومع ذلك فإن عدد المسيحيين بين اليابانيين قليل جداً بالنسبة إلى مجموع عدد السكان، إذ لا يكاد يتجاوز ١٪ ، وإن كان أغلبية هؤلاء مستواهم الثقافي والوظيفي مرتفع.

أما الحديث عن طوكيو نفسها فهو طويل، ويقولون إن الإحصاءات دلت على أن عدد سكان طوكيو في النهار اثنا عشر مليوناً، يغادرها منهم ليلاً ثلاثة ملايين للسكن خارجها، ويدل على ذلك كثرة ركاب القطارات المغادرة في المساء، وقد رأيت ذلك بنفسي، ورأيت بعض الركاب ناعساً في القطار، وبعضهم يقرأ صحيفته، مما يدل على انهم قد اعتادوا على السفر فيه فملوه، فأخذوا يقطعونه بما استطاعوا، ومما يدل أيضاً على أن المسافة بين بيوتهم وبين مقر عملهم بعيدة.

وعندما أنهيت إجراءات السفر كالمعتاد، وودعت الإخوان وجلست في قاعة المغادرة وأنا أفكر في هذا البلد الذي أتيته قبل يومين، ولم تتح لي فرصة زيارته زيارة واسعة ولمدة كافية، ولكن في الغالب تكون هناك ملامح للبلاد يراها الزائر لها لأول مرة، ولا يخطئ في حكمه عليها، وبخاصة إذا كانت انطباعاً وملاحظات عامة لا تحتاج في الحكم عليها إلى أرقام أو دراسات مفصلة.

فأحسست في نفسي أنني أترك مدينة طوكيو غير آسف على شيء فيها، ما عدا معاملة أهلها المؤدبين المهذبين، فالمدينة كبيرة إلى حد التخمة، وغالية إلى حد أن تكون من أغلى عواصم العالم، وضيقة إلى حد أن يشعر المرء في بعض أحيائها أنه في قرية وليس في عاصمة، إلا أن المرء مع ذلك يعجب بمهارة اليابانيين الذي جعلوا المرور فيها رغم ضيقها أسهل بكثير من المرور في أكثر البلدان الواسعة الشوارع، فلا ترى الموت الزؤام

في المرور الذي يخيل إليك أنه سيطبق عليك، وإنك لن تفلت منه، سواء أكنت سائق سيارة أم كنت راكباً كما هي عليه الآن في مدينة طهران عاصمة إيران، ولا ترى السيارات المتدفقة كالسيل في الشوارع وعند الإشارات، كما هي عليه الحال في باريس.

ذلك بأنهم قد أقاموا في العاصمة سبل المرور المختلفة التي تصل إلى حد المعجزة أحياناً، من قطارات تحت الأرض، بعضها تحت بعض، ومن جسور فوقها بعضها راكب فوق بعض، ومن قطارات فوق الأرض أيضاً تسير فوق الشوارع العامة.

ولكن يشاهد المرء في قلب مدينة طوكيو كثافة في مرور المشاة أكثر مما يشاهده في العواصم المختلفة في البلاد المتقدمة، ذلك بأنه لسهولة المواصلات العامة فإن كثيراً منهم يفضلونها على ركوب سياراتهم، لذلك في الشوارع الداخلية يمشون راجلين، وتراهم أمام إشارات المرور زرافات تجتمع ثم تندفع عندما تضاء لها الإشارة الخضراء.

وطوكيو ملوثة الهواء بشكل يحس به السائر العادي، فكثيراً ما كنت أحس في أنفي، وأحيانا في حلقي، بشيء من التلوث، ولا ادري أمردّ ذلك إلى كثرة السيارات، أم إلى رداءة تصفية النفط.

وهي غالية إلى درجة أن فنجان القهوة في فندقنا يكلف دولاراً ونصف دولار، ومثله فنجان الشاي وزجاجة الكوكاكولا، ومن العجائب أنه إلى جانب هذا الغلاء في المعيشة، وكذلك ما حدثونا عنه من غلاء السكن، فإن المصنوعات حتى الدقيقة منها رخيصة في اليابان، فمثلاً تستطيع إذا كنت تنوي أن تتعشى عشاء فاخراً في أحد المطاعم أن تضرب عن أكله وتوفر ثمنه فيكفيك لأن تشتري به ساعة يدوية، أي بثمن وجبة العشاء، أما الآلة الحاسبة الدقيقة، فيكفيك إذا كنت أجنبياً أن تخفف

من إفطارك اليومي، وثمنه كافٍ وافٍ لشراء آلة حاسبة.

أما مطار طوكيو فهو متوسط السعة والنظافة، بل هو كاد يضيق بالطائرات ومنشآت المطار، لذلك يبحثون الآن عن مكان آخر لمطار أضخم منه وأوسع.

كوريا الجنوبية

إلى كوريا الجنوبية:

سيكون السفر مع طائرة الخطوط الكورية، وهي شركة أركب طائراتها لأول مرة، وقليل من الشركات التي تكون كذلك، إذ أكثرها سبق لي أن ركبت معها في بلادها، أو في مكان آخر من العالم، وذلك لكثرة أسفاري.

نادى المنادي على الركاب إلى (سِؤول) عاصمة كوريا الجنوبية بالخروج إلى بوابة المغادرة، فاندفع سيل من الناس ممن مستواهم غير عال كما تبين من مظاهرهم ومناظرهم، فظننت أنهم ربما كانوا من العمال الكوريين الذين يعملون في اليابان.

ورغم كوننا قد تم تفتيشنا عند الدخول إلى قاعة المغادرة بواسطة المسؤولين اليابانيين، ولم يبق إلا الصعود إلى الطائرة دون تفتيش كما هي عليه الحال في جميع أنحاء العالم، فإن الكوريين قد استنوا سنة غير ذلك.

فقد أقاموا منضدتين، إحداهما عليها فتاتان، والأخرى رجلان، يفتشون حقائب الركاب اليدوية وما يحملون بأيديهم، فكانوا يفتحون العلب المختومة، ثم يفتشون الجنوب والجيوب، أما أنا فإن منظري لا يدع أدنى شك بأنني غريب عنهم، لذلك تساهلوا معي، فلم يمسوا جسدي بالتفتيش الكهربائي، وإنما فتحوا الحقيبة وأغلقوها، وكان معي علبة فيها ساعات اشتريتها من طوكيو، فسألتني المفتشة عما بداخلها فأخبرتها فتركتها دون تفتيش احتراماً للغربة عنهم المتمثلة في مظهري، وإلا فهي لا تعرف إلى أي جنسية أنتمي.

وأخذ الركاب يصعدون إلى الطائرة، ويصعدون في شحنات من الحافلة تذهب وتفرغهم، حتى عجبت من كون الطائرة تستطيع أن

تحملهم، وهي من طراز (د.س.١٠) الضخمة المؤهلة لحمل ثلاثمائة راكب وفي الدرجة الأولى كان نحو ثلاثة أرباع المقاعد مشغولاً، ولكن الفيضان جاء من الدرجة السياحية، فقد أدخلوا عدداً من الناس لم يجدوا مقاعد في السياحية إلى الأولى حتى امتلأت.

وداخلني الخوف من هذه الطائرة، فقد كان لهذا الطراز سوابق في السقوط كثيرة، ومن أشهرها كارثة الخطوط الجوية التركية التي سقطت بعد إقلاعها من مطار باريس وهي في طريقها إلى لندن، ومات جميع من كانوا عليها وعددهم (٣٢٤) راكباً، ثم سقوط آخر من النوع ذاته تابعة للخطوط التركية نفسها، إلى جانب أخرى لغير التركية من الخطوط.

وقد غادرت الطائرة مطار طوكيو في الساعة الثانية والدقيقة الخمسين بعد الظهر، متخلفة عن وقتها المقرر بعشرين دقيقة، وأعلنوا أنه من المقرر أن يكون الطيران ساعتين وربعاً.

وكان يقوم على الخدمة للدرجة الأولى فتاتان كوريتان وفتى، كانوا على درجة من الجفاء ليست موجودة لدى اليابانيين، وهم في الحقيقة معذورون لكثرة الركاب، وكون معظمهم من العمال.

أما الطعام فكان متوسطاً، مؤلفاً من اللحم وقليل من الخضار، مع سلطة خضراء فيها خس وأعشاب أخرى لا أعرفها، ثم حلوى. ولم أذق اللحم لكونهم ليسوا من أهل الكتاب الذين تحل ذبيحتهم، مثلهم في ذلك مثل اليابانيين.

في مطار سيؤول:

أمضينا ساعتين من الطيران، ثم بدت لنا الأرض الكورية بعد أن

بدأت الطائرة بالتدني إلى أرض جبلية ذات جبال مخضرة، بل مكسوة بالخضرة، بينها مسايل المياه بعضها فيه ماء وبعضها جاف، وقاربنا الوصول إلى مطار سيؤول، ورأينا نهراً كبيراً ذا حوض واسع قد جفت أطرافه، وهالني سعة مدينة سيؤول عندما رأيتها من الجو، فهي ذات ضواحٍ واسعة، يحجب بعضها عن بعض جبال مبنية عليها بيوت، وفي وسط المدينة عمارات ضخمة حديثة.

وهبطنا في المطار، ووقف ركاب الطائرة في عدة طوابير، ورأيت رجلاً جالساً على مكتب تحت لافتة كتب عليها (كرنتينا)، أي: حجر صحي، فقلت في نفسي: هل بدأنا الوصول إلى بلاد المتأخرين، ذلك بأن البلاد المتقدمة لم أر فيها مكتباً صحياً واحداً، ولا رجلاً يسأل عن البطاقة الصحية الصفراء التي كنا نحملها، ولم أُسأل عنها في أي بلد منذ أن غادرت المملكة حتى وصلت إلى هذه البلاد، وكان من الواضح أنها هنا شكلية فقط، إذْ كان الموظف يكتفي في بعض الأحيان بالنظر إلى الورقة من الخارج، وأحياناً يفتحها وينظر إليها، ولم أره تكلم بشأنها مع أي شخص، هذا مع العلم بأننا قادمون من طوكيو، واليابان بلاد نظيفة ومتقدمة صحياً، فالحجر الصحي يجب عقلاً أن يكون من اليابان للقادمين من كوريا، لا العكس.

وجاء دور الجوازات، وكانوا قد أعدوا نوافذ، بعضها للكوريين وبعضها للأجانب، ولبثنا فترة بسبب كثرة الركاب، وعندما جاء دوري سألني الضابط: أمعك تأشيرة؟ فأجبت: لا، لأنني قد قررت المرور بكوريا في اللحظة الأخيرة، فطلب مني أن أريه تذكرة السفر، فأريته إياها، وكان عليها الحجز بعد سيؤول إلى تايبي عاصمة الصين الوطنية، فمنحني تأشيرة الدخول وهو يبتسم ويقول: المملكة العربية السعودية.

وبعد الفراغ من الجوازات رأيت حواجز للتفتيش شبيهة بالتي توضع

لمن يريد الركوب إلى الطائرة، وهي خاصة بفحص حقائب اليد، والأغراض اليدوية الأخرى، وأجسام الركاب، ورأيت الضابط يفحص جسم أحدهم ويفرغ جيوبه من محتوياتها، ويفتش كل دقائق ما في يده، أما الحقائب المغلقة فهي تفحص أولاً بالكهرباء حذراً من وجود أسلحة فيها، ثم بعد ذلك تفتح.

وجاء دوري، وكان جوازي بيدي، ولم يكن هذا هو الذي دعاه إلى أن يطلب رؤية الجواز، بل هو شكلي المتميز الذي لا يمكن أن يكون له شبيه في بلادهم كلها، فعلاوة على التقاسيم المختلفة عما عندهم، فإنه ليس لديهم من لهم لحية مثلي، ولم أرَ ولا شخصاً واحداً منهم ذا لحية، إلا ما كان من شيخ هرم رأيت له لحية بيضاء قد أرسلها، وترك كل ما في وجهه من شعر ينساب كما يريد حتى شاربه الطويل.

ولما رأى الضابط جوازي قال: المملكة العربية السعودية، ثم أفسح لي الطريق، ولم يمسني، وأخذت الحقيبة الصغيرة التي لم يفتشها، وأتيت معها بالكبيرة إلى تفتيش الحقائب الكبيرة في الجمرك، وكان هناك نحو ثمانية من ضباط التفتيش، كل واحد منهم واقف حول منصة لوضع الحقائب، يقوم بعمله بكل دقة مع الركاب، وقصدت أحدهم فبدأ بطلب جواز السفر، فأريته إياه فقال: (ساؤدي أرابيا)، أي :المملكة العربية السعودية، افتح، فلما فتحت وضع يده في الحقيبة ثم أغلقها وقال: اذهب، وهذا أمر لا يحدث إلا لمن يريدون إكرامه.

وبهذه المناسبة أريد أن أنوه بأنه يكفي المرء أن يبرز جواز سفره فيراه الناس جوازاً سعودياً حتى يفتح له الأبواب المغلقة، وذلك في جميع أنحاء العالم، حتى الأنحاء البعيدة، وهذا شيء أقوله عن تجربة، وليس مجرد استنتاج.

ومن ضابط التفتيش الجمركي قصدت البنك، فصرفت مائة دولار، وكانت دهشتي بالغة حين أعطوني عنها مبلغ ثمانية وأربعين ألفاً ومائة وستين (ون) كوري.

ومن هناك قصدت مكتب خدمات الفنادق، وكان فيه امرأة تبلغ من العمر حوالي (٢٥) عاماً، فلما رأتني ثبتت عينها في وجهي، ورأيتها تنظر إليّ كأنما تنظر إلى مخلوق غريب، فسألتني من أي بلد أنا، فأخبرتها، فقالت: المملكة العربية السعودية. وأخذت تريني أسماء الفنادق وتتحدث عن أماكنها، فقلت لها: إن هذه هي أول مرة أزور فيها هذه البلاد، ولذلك أريد فندقاً من الدرجة الأولى، ويكون في داخل المدينة.

فأخذت تلين القول، وتود أن تتحدث فتطيل الحديث، فسألتني أهذه أول زيارة لكوريا، وعسى أن لا تكون الأخيرة، وأنا أود أن أسير مسرعاً، ثم تحدثت بالهاتف وقالت: لقد حجزت لك غرفة في فندق ممتاز بواسطة رجل في الإدارة أعرفه، وأوصيته عليك، وأن اسمه المستر (نو)، إذا احتجت إلى شيء في الفندق فاسأل عنه، فاستغربت هذا الاسم، فلما رأت ذلك قالت: أنت معذور، لأنه ربما جاء أحدهم وسمى نفسه: مستر (يس)، أي: (نعم) بالإنكليزية، كما أن (نو) هي (لا). ثم قالت: هذه عادتنا في التسمية، أنا اسمي: (لي)، وأرتني بطاقتها الشخصية، ثم ختمت كلامها بقولها: أنا خدمتك لأنني أعزك (لايك يو)، ولا أدري سبب هذا الإعزاز إلا أن يكون المجاملة، وتركتها إلى سيارة أجرة، وأنا متعجب من جرأتها في الحديث مع غريب ووسط أفواج من الناس.

وطول الطريق بين مطار (سيؤول) وبين الفندق الذي حجز لي فيه، وتبلغ مسافته (٢٠) كيلا، كان السائق يحدثني بالإنجليزية عما يتعلق بهذه البلاد، وعرفت بعد ذلك أن الإنجليزية شائعة هنا، وأن هناك عدداً يستطيع التكلم بها، بخلاف ما عليه الحال في اليابان، إذ المتكلمون بها

نادرون، وهم إذا وجدوا فإنهم ينطقون بألفاظها بلكنة يابانية تجعلك كأنك تسمع لغة أخرى لا تفهمها، إلا إذا رزقت قوة خارقة في الحدس والتخمين.

وكان مما قاله: إنه كان جندياً سابقاً مع الجيش الأمريكي، وإنه قاتل الشيوعيين، وإنه يبغض الشيوعيين بعد أن شاهدهم يدخلون العاصمة (سيؤول) ويتجاوزنها إلى جهة الجنوب. وقال إنه سيسافر إلى المملكة العربية السعودية ليعمل سائقاً هناك مع إحدى الشركات بعد شهرين.

وقد مررنا في طريقنا بضواحٍ من ضواحي (سيؤول)، ومررنا فوق نهر (سيؤول)، وهو كبير يساوي عرضه نصف عرض نهر النيل تقريباً.

وبعد أن وصلنا إلى الفندق، وهو فندق (تشوسَنْ)، وهو من فنادق الدرجة الفاخرة التي هي فوق الدرجة الأولى، وأجرته اليومية (٤٣) دولاراً أمريكياً، ليس فيها فطور، واسمه على اسم قديم كان لهذا القطر قبل أن يصبح اسمه كوريا.

وكانت غرفتي في الطابق الخامس، وفيه ستة مصاعد آلية على أحدث طراز وأرقاه، تضغط على جرس فيأتي إليك أقربها فراغاً.

أما الغرفة، فإنني عندما دخلتها دهشت بعد غرفتي في اليابان التي تشبه القبر، لأن غرفتي هذه كما قيل في مثلها: يسافر فيها البصر، ففيها سريران متباعدان، وحمام يساوي وحده في سعته غرفة طوكيو مع حمامها، وفيها مكتب قد استدارت عليه الكراسي، ولو احتاج المرء إلى عشرة كراسٍ لاتسعت لها وللجالسين عليها، دون أن يكون على من يمر بها تعب في المرور، أما خزانة الملابس، فإن الإنسان يستطيع أن يدخلها ويرتب فيها ملابسه، وعلى وجه العموم، فإنه نقيض لفندق طوكيو في السعة، إلا أن كثرة المنافع وتعددها في فندق طوكيو لا توجد هنا، فلا

موقد لصنع الشاي، ولا (روب)، ولا أحذية، ولا أشياء أخرى، أما التلفاز فإنه هنا أبيض، بخلاف اليابان، وأما الجهاز فهو هنا أكبر مما هو في طوكيو.

جولة في مدينة سيؤول:

خرجت من الفندق إلى جولة على الأقدام فيما حوله من مدينة (سيؤول)، وكان الفندق يقع على طرف ساحة واسعة منسقة، تتوسطها نافورة بيضاء كبيرة متشعبة المياه، إلا أن الميدان كله لا يمر عليه المشاة، وإنما هو للسيارات، وتطل عليه قاعة ذات قبة عادية الطراز، أقرب ما إليها القباب التركية، وتسمى (قاعة البلدية)، وبجانبها ساعة كهربائية تعد الساعات والدقائق بمصابيح حمر.

ووجدت درجاً أسفل الأرض ينزل منه الناس فنزلت، وكان درجاً صعباً، ومع ذلك كان أفواج الناس نازلين منه وصاعدين، إذ لا يوجد الدرج الكهربائي الذي يكون في مثل هذه المحطات المقامة تحت الأرض في البلاد الأوربية والبلدان المتقدمة صناعياً، وعندما وصلت الأرض وجدت تحت ذلك الميدان عالماً تجارياً واسعاً، تحف به حوانيت غاصة بالسلع، وأغلبها من الكماليات، ومن المصنوعات الوطنية، ومن أغراض السياح.

والغريب أن أكثر من في هذه الحوانيت هن النساء، إن لم يكن كل من فيه من النساء، ولولا أنني رأيت رجلاً واحداً لقلت كل البائعات فيه من النساء، ولم أر فيهن من العجائز أحداً، بل كلهن من الشابات، أو من المنتصفات في العمر.

وقد دخلت بعض الحوانيت، فرأيت مبايعتهن للغريب ليست عادية، وإنما هي غزل من الغزل، هذا ما شعرت به، حتى إن بعضهن تمسني

بيديها، أو تتمايل وتتحايل وهو تخاطب، مما جعلني أتأكد مما كان قد وقر في نفسي حتى الآن من أن النساء في كوريا أقل حياء وأقل تمسكاً بالأخلاق من اليابانيات، ففي الشارع كل واحدة تثبت عينها عليَّ، وتكاد تأكلني بهما، ولا أدري ما السبب في ذلك، ولعله غرابة الشكل مع اللحية، أما الشكل فليس بين العرب وبين هؤلاء القوم أي علاقة من جهة الشكل والتقاسيم، وأما اللحية فإنها لا توجد في تلك البلاد كما قدمت.

هذا وقد تجولت داخل تلك الأسواق تحت الأرض، ومن ثم خرجت من درج إلى جهة أخرى مقابلة لجهة الفندق، فأفضت إلى شوارع غير واسعة، ولكنها مليئة بالسيارات، أرصفتها منتظمة، والمحلات التجارية التي تطل عليها عامرة بالسلع، ورأيت رجلاً جالساً على الرصيف معه أقفاص فيها سناجب وطيور ملونة جميلة وببغاوات صغيرة، ثم مررت بشيخ على رصيف آخر، معه أشياء لا أدري لماذا تستعمل، وهي كالأقلام على رؤوسها كريش الطيور، وبحثت عن حانوت لبيع الفاكهة فلم أجده إلا بعد لأي، والظاهر أنهم ليسوا من المعتادين على أكل الفواكه، لأنها لا تكثر في بلادهم بسبب سقوط الثلوج عليها بغزارة في الشتاء، ولم يكن عنده إلا موز مستورد غالي الثمن جداً، وتفاح، وبطيخ أصفر لا تزيد الواحدة منه على حجم التفاحة، ومع ذلك قيمة الواحدة نصف دولار، ويستطيع المرء أن يأكل أربعاً منها قبل أن يكتفي، وعلى كل واحدة ورقة ممهور عليها رقمها وسعرها، وقد اشتريت تفاحة واحدة حمراء، متوسطة الحجم بمائتين وخمسين وناً، أي ما يعادل أكثر من نصف دولار، مع قليل من الفول السوداني الغالي الثمن، وتيقنت أن بلاد الشرق الأوسط هي بلاد الخيرات والبركات، وأن الفواكه والخضراوات في بلادنا تتوفر أكثر مما تتوفر في غيرها من البلدان.

وواصلت الجولة، وكان أصعب ما فيها أنهم لا يستعملون الإشارات

الضوئية في أكثر الشوارع المتقاطعة، وإنما يرسمون في الأرض خطاً أبيض للمشاة، وعلى سائق السيارة إذا حاذى هذا الخط أن يتمهل حتى يخلو من المشاة فيواصل سيره، وقد رأيتهم مؤدبين في هذا الأمر بحق، فالسائق يتوقف حتى يخلو الطريق، ولكنني كنت أخشى من ألا يقف، فكنت أنتظر وأنتظر حتى عرفت عادتهم فسلكتها.

في مطعم كوري:

رأيت مطعماً كورياً خالصاً، على واجهته عرض لأنواع من الأسماك والأحياء البحرية، ورأيت الناس يدخلون ويخرجون، وكان قد مسَّني الجوع، إذْ لم آكل اللحم في الطائرة.

فدخلت وبانت الدهشة على صاحب المطعم الذي كان عند بابه الداخلي، فسألته: أتعرف الإنكليزية؟ فنادى عجوزاً عاملة في المطعم، فأتت وكلمتني بإنكليزية ضعيفة، فطلبت سمكاً وأرزاً وسلطة خضراء، فقالت: ما عندنا في هذا المطعم إلا السمك، أما السلطة فلا.

وجلست على مائدة كانت تخدم مَنْ في جهتها فتاة شابة، وسرعان ما أحضرت أربعة أنواع من المقبلات، لا أعرف إلا واحداً منها كان يستعمل في اليابان لغمس السمك المقلي فيه وأكله، وأما الأخرى فهي أعشاب بحرية، وبعضها مخلل فيه شيء يشبه طعمه طعم الثوم، ومع ذلك أحضرت كوباً من الشاي الأخضر الخالي من السكر.

وبعد قليل أحضرت لي شربة أي: حساء ذقتها، لأنهم يقولون إن جميع ما في مطعمهم من البحر، فإذا بها لذيذة الطعم، لم أذق ألذ شربة منها منذ زمن بعيد، ولم أدر ما هي، حتى وجدت أسفل الكأس قواقع السمك التي تكون لدينا على شواطئ البحار، ففهمت أن هذه الشربة هي شربة قواقع،

ولما رآني صاحب المطعم قد أمعنت فيها شرباً، نادى الفتاة التي تخدم مائدتي وكلمها، فأتت إليّ بإناء أكبر من الأول مليئاً بها، وفي أسفله ما يملأ كف الرجل من القواقع، لا أدري لماذا يطبخونها مع الشربة، ولعل فيها بعض الطعم.

وبعد ذلك جاء الأرز كالأرز الياباني أبيض ساذجاً، ليس فيه حتى الملح لم يوضع فيه، وبعده جاء السمك مقطعاً قطعاً خالية من العظام، كل قطعة على مقدار ما يضع الآكل في فمه، وكان الذين في المطعم من الكوريين يأكلونه ويأكلون الأرز بالأعواد، وأنا لا أعرف أن أفعل مثل فعلهم، فطلبت شوكة، ولكنها لم تكن لديهم، إذ لم يكن لديهم إلا الملاعق، ولولا الشربة لما أحضروها، وكان السمك أمامي يدعوني للأكل، والأعواد بجانبه ينهاني عدم إجادتي استعمالها عنه، فحرت في أمري، وأطعت السمك، وتركت الأعواد، ورجعت كما كنت في بلادي أكل بيدي، وأخذت ألتقط قطع السمك بأطراف أصابعي، وأغمسها في ذلك الإدام الحامض الحار المالح الذي لا أستطيع وصفه بأكثر من ذلك، وذلك بين دهشة من في المطعم واستغرابهم، وكان أشدهم استغراباً لذلك تلك الفتاة التي تخدمني، فقد اتسع فوها، وجحظت عيناها لهذا المنظر، ولكنها لا تستطيع أن تفهم ما سأقوله لها، لذا قررت أمراً يجعلها تحترم الآكلين بأيديهم، وهي أن أعطيها قدراً طيباً من الحلوان (البقشيش).

أما السمك فكان لذيذ الطعم رخو اللحم بالنسبة للسمك الذي اعتدنا أن نأكله، فكان لحمه يبدو بين لحم السمك ولحم الكلية، وكان سخياً، أكلت منه حتى شبعت.

أما الأرز فقد فعلت به ما لم يكونوا يفعلون، وتركتهم يتعجبون قدر ما يحبون، إذْ وضعت عليه من ذلك السائل المشهي، ووضعت عليه بعض الفلفل الأسود والملح، وشيئاً من شربة القواقع، فأصبح سائغاً بعض

الشيء.

وعندما انتهيت كان الحساب (٨٠٠) ون، أي حوالي دولارين إلا ربعاً، أو ستة ريالات سعودية، وكانت المائتان، ووضعت معهما مائة ثالثة من نصيب الخادمة، فانحنت بالتحية حتى ركعت، وابتسمت حتى أكثرت، وودعت بما لم أستطع فهم شيء منه إلا إشارتها بيديها، وكأنها تقول لنفسها ولي من خلال تفكيرها: أرجو أن أجد مثلك ممن يأكلون بأيديهم من يجبرني على احترامهم بهذه الطريقة العدد الكبير.

ورجعت إلى الفندق من طريق غير الطريق التي سلكتها، وبدأت اقرأ في غرفتي نشرات الفندق، فإذا به يقول إن لديهم في الفندق خمسة من المطاعم والمشارب، وإن أحدها في قمة الفندق فوق الطابق العشرين، وتستطيع إذا كنت فيه أن ترقب مدينة سيؤول، فقلت: لأرق إليه، وأحاول أن أشرب كوباً من الشاي، وأن أرقب مدينة (سيؤول) من الأعلى كما قال.

وعندما دخلته استقبلتني امرأة نَصَفٌ، ممن ترهلت أجسامهن، وأشارت إلى مكان فيه للجلوس، وكنت لمحت الجالسين فيه، وليس مع أحد منهم شيء من القهوة والشاي، فقلت: لها إنني لا أريد إلا كوباً من الشاي، فقال: هذا لا يوجد لدينا، وإنما يوجد عندنا الشراب، ولا شيء غير الشراب، وعليك إذا أردت الشاي أن تنزل إلى الطابق الأسفل، حيث تجد ما تريد، وانقلبت نازلاً، وكان المكان مزدحماً، ولا يجلس فيه إلا بمرشد، فسألتني المكلفة بذلك أمعك أحد أو تنتظر أحداً؟ فقلت: لا، فقالت: إليك (الكونتر)، لأن الموائد تكون للأكثر عدداً، لكثرة الطلب على هذا المكان، وقصدت (الكونتر) كما قالت، وشربت شاياً، وأنا عجل، لأن المكان غير مناسب للكتابة.

وكانت غرفتي أصلح منه بكثير، إذْ فيها مائدة كبيرة قرب نافذة قد اتسعت حتى شملت كل الجدار، وتطل على منظر فسيح جميل.

وكتبت ما قدر لي أن أكتب، وكانت الشمس قد غابت، وهي عندهم تغيب في حدود الثامنة في هذا الفصل من السنة.

أما الجو فكان معتدلاً، وكانت الشمس صاحية، وأقدر أن الحرارة عندما وصلت إلى سيؤول بعد الظهر كانت (٢٣) درجة مئوية.

ولم أكن أعرف مسجداً قرب الفندق تؤدى فيه الصلاة.

فنزلت أتفرج برؤية هذا الفندق الكبير، فإذا به عالم من العوالم، في الطابق الثاني منه مكاتب لشركات الطيران المعروفة وغيرها من الشركات، وفي الدور الأرضي الاستقبال وعدد من المتاجر، ومكاتب الطيران، ومطعم، ومقهى ومشرب. فجلست في قاعة الاستقبال في مدخل الفندق أرقب الداخلين والخارجين، وكانوا كثرة عجيبة من مختلف الرجال والنساء، وفي هذه المتاجر والمكاتب في الفندق لاحظت أن جميع البائعين والعاملين فيها من الفتيات، وعجبت لذلك وقلت: لعل السبب هو الحرب الكورية التي أفنت عدداً كبيراً من الرجال، وشغلت عدداً أكبر منهم عن التجارة، ولا يزال في الجيش الكوري عدد منهم كبير، إلا أن ذلك لم يقنعني، لأن عدد هذا الشعب هو (٣٥) مليوناً من النفوس، وربما لا يؤثر فيه العدد الذي يلتحق بالجيش.

ومع كثرة النساء العاملات، وما ذكرته عن حالهن من حملقتهن بالغريب، فإن الآداب العامة عندهم، والمعاملة بين الرجال والنساء في ظاهر الأمر جيدة جداً، فلا مغازلات، ولا معاكسات علنية.

المرأة الكورية:

لباس النساء ساتر هنا كما هو في اليابان، فلا وجود للباس القصير في الشوارع.

أما المرأة الكورية، فهي أجمل من اليابانية جمالاً، وأكثر بياضاً، بل إن بياض الكوريات مما يسترعي النظر، فكأنهن في ألوانهن الأوربيات، إلا أن الفرق بينهن وبين الأوربيات هو في التقاطيع، فتقاطيعهن تقاطيع الجنس الصيني، أو هو لا يبعد عن اليابانيين والصينيين كثيراً، وهذا ليس حكماً عاماً، إذْ توجد نسبة منهن تشبه الصينيات، وقلة يشبههن بعض الفلبينيات من غير الجميلات.

يوم الجمعة ١/ رجب/ ١٣٩٧هـ الموافق ١٧/ ٦/ ١٩٧٧م

سياحة في سيؤول:

اعتدنا أن نكتبها ونقرأها في العربية بلفظ (سيؤول) بعد السين ياء ثم واو فوقها همزة، إلا أنني وجدت الكوريين ينطقون بها (سول) بسين فواو عليها ضمة مشبعة قليلاً بالمد فلام، ولكن لا بد من كتابتها على ما اصطلح عليه في العربية جرياً على العادة في المدن الأخرى مثل بكين ووارسو.

الجولة كانت اليوم مع المكتب الكوري للسياحة، فهو الذي ينظم الجولات والرحلات، وقد طلبت من المكتب المختص فيه الاطلاع على بيان الجولات، فأعطاني ذلك، فاخترت واحدة تبدأ في الساعة الثانية ظهراً.

وقد جاءت دليلة سياحية في الساعة الثانية تماماً، وأخذتنا من الفندق إلى سيارة من الحافلات الصغيرة التي تتسع لستة عشر راكباً، ولم يكن فيها إلا سبعة أشخاص غيري وغير الدليلة، وكانت الأجرة ثلاثة آلاف (ون)، أي نحو (٦) دولارات أمريكية، والمدة (٣) ساعات.

بدأت الدليلة الجولة بذكر بعض الفنادق والعمارات السكنية التي مررنا بها، ثم أوقفتنا عند قصر هناك من الخشب، مبنى على الطراز الياباني منذ مائة سنة ونيف، أي عام ١٨٧٦م تقريباً، تحيط به باحات واسعة، وكله من الخشب، وكذلك زخارفه، إلا أنه مرفوع عن الأرض بحوالي المتر والنصف بجدران من الحجارة، وهو مربع الشكل، إلا أن سقوفه وأركانه ليست مبنية على استقامة هندسية، كما هي الأبنية عندنا، ولذلك لا ترتاح إليه من الناحية الهندسية، وإن كان ما فيه من نقوش يستهوينا النظر إليه.

وفي داخله وعلى مداخله بعض التماثيل المنحوتة من الحجارة، وأسواره كذلك من الحجارة، وقد تجولنا فيه، وكان يغص بالمتفرجين الداخلين والخارجين، وبخاصة طلاب المدارس من بنين وبنات تصحبهم المدرسات.

وفيه متحف أنشئ قبل ثلاث سنوات، وهو فقير في محتوياته، إلا أن وقوعه في هذا القصر، وعدم وجود الكثير من المتاحف في هذه البلاد، جعله مقصد الجميع، حتى إن المرء ليضل فيه، ولذلك عينت لنا دليلتنا نقطة خارجه، قالت: يجب أن نجتمع عندها في الساعة الرابعة.

ثم ذهب كل إلى وجهة معينة منه، ورأيت أن أكثر ما فيه رسوم حديثة، ومحفوظات حديثة أيضاً، مما يؤكد أن ثقافة هذه البلاد (كوريا)، أو قل إن وجودها الثقافي لم يمض عليه إلا قرون قليلة، أما قبل ذلك فإن الثقافة الصينية هي الغالبة.

وكانت الدليلة تحدثني خلال الجولة على المتحف ببعض شؤون بلادها، ومن ذلك قولها إنها تبغض الشيوعيين، وأن الناس هنا يبغضونهم بشكل لا يوجد له نظير في البلاد الأخرى، لأنهم قد جربوهم وجربوا البلاء بهم، ثم سألتني عن بلادنا العربية، وهل حكوماتها شيوعية؟ فقلت لها: نعوذ بالله من ذلك، ونحن نحارب الشيوعية أكثر مما تحاربونها، لأن الشيوعية ضد الإسلام، ونحن ديننا ومبدؤنا الذي نسير عليه هو الإسلام، فتهلل وجهها بشراً، وشدت على يدي مصافحة مهنئة بكوني لم أكن من المغترين بالشيوعية والشيوعيين، وبعد ذلك قالت: أنت مسلم؟ فقلت: نعم، فقالت: إنني أعرف شخصاً من المسلمين الكوريين.

وعندما اجتمعنا مع بقية رفقاء الجولة وصلنا في فناء هذا القصر الواسع إلى مكان مسقف، ذي قبة على الطراز الصيني قرب بحيرة كبيرة

يسبح فيها البط، وفي المحل مقصف لبيع الآيس كريم (البوظة)، فسارع أحد الرفقاء وهما زوجان أمريكيان، تزوجا حديثاً، والظاهر أنهما يقضيان شهر العسل، ويعيشان في الفليبين حيث يعملان هناك، فاشتريا لكل منا نصيباً منها، ووزعاه علينا معشر ركاب السيارة الحاضرين، وهذا نادر من الأوربيين والأمريكيين، ونحن العرب به أحق، فأضمرتها في نفسي، وبعد أن انتهت الجولة في هذا القصر الكبير عدنا إلى ركوب السيارة، فصعدت إلى أحد الجبال المطلة على سيؤول، أو الأصح أحد الجبال التي يتكون من المنازل فيها جزء من مدينة (سيؤول).

فصعدت السيارة وسط طريق متعرج تحيط به المنازل على شكل أكواخ جميلة مبنية بالخشب، وأحياناً بالفخار، وأغلبها من طابق واحد، وعند المواضع المشرفة على المدينة رأينا عدداً من الجنود قد صوبوا مدافعهم إلى جهة المدينة، كأنما يستعدون لإطلاقها، وهم قد ركزوا انتباههم، قالت لنا المضيفة إن هذه المناطق كانت قد شهدت معارك دامية أيام الحرب مع الشيوعيين، وبين الفينة والأخرى تمر سيارة عسكرية فيها جماعة من الدورية للحراسة كما فهمت.

ولا غرو في ذلك، فهذه البلاد قد ابتليت بمثل ما ابتلينا به نحن، فنحن قد بلينا بالصهيونية التي تساعدها الشيوعية، وهم ابتلوا بالشيوعية التي احتلت جزءاً من بلادهم باسم (كوريا الشمالية)، وحاولت احتلال الباقي لولا حرب ضروس لا يمكن أن تمحى مآسيها من التاريخ الكوري على مر العصور.

وعلى قمة الجبل كان هناك مقصف صغير ذو طابقين، اشتريت منه زجاجات الكوكا كولا ووزعتها على الرفقة، وعلى السائق رداً على كرم الزوجين الأمريكيين، وليعلموا أن الكرم العربي يغلب الكرم الأمريكي الذي لولا تمشرقه، أي: وجوده في بلاد المشرق، لما كان كرماً

أصلاً، فلولا حياة هذين الزوجين في الفليبين لما كانا قدما لنا (الآيس كريم).

وهذا الجبل يسمى الجبل الشمالي، ويرتفع عن منازل سيؤول مائتي متر، ومنه يطل المرء على أجزاء كثيرة من المدينة، ما عدا الأجزاء التي تحجبها الجبال الأخرى، فيرى منظراً جميلاً، والجبل مكسو بالأشجار، ولكنه ليس كثيف الخضرة.

وكان الجو غائماً بعض الشيء، ولكن لم يسقط مطر رغم أن الفصل فصل الأمطار الصيفية، أما الشتاء فإن الثلوج عندهم تكسو كل هذه الجبال.

عند النزول من الجبل الذي هو آخر مرحلة في هذه الجولة، طلبت الدليلة الإذن من الركاب بأن تغنينا أغنية تحاول أن تسلينا بها، فغنت أغنية أمريكية، وعندما انتهت وشجعها الركاب بالتصفيق قالت: سأغنيكم أغنية كورية، فانطلقت بصوت جميل تغني غناء يشبه الصيني، إلا أنه بصوت شجي بديع، أكثر الحاضرون له من التصفيق.

وقبل الافتراق، طلبوا تعارف الركاب، وبعضهم طلب العناوين، فكان الزوجان أحدهما وهو الرجل إنكليزي الأصل، أمريكي الجنسية، اسمه جيفري، والمرأة أصلها من النرويج، اسمها لوريا، وفي السيارة امرأة صينية تعيش في هونغ كونغ، وحضرت مع زوجها إلى سيؤول، ولكنه كان مريضاً، فلم يخرج للجولة، وهناك يابانيون ثلاثة لا يعرفون إلا اليابانية، ولذلك استأجروا لهم مترجمة خاصة بلغتهم.

أما الدليلة واسمها (أم)، نعم هذا هو اسم عائلتها، أما اسمها فهو (ني)، وهي فتاة جميلة جداً، ملامحها تشبه ملامح التركسانيات، ولونها يشبه لون اللبنانيات، وثقافتها جيدة، وأناقتها عالية، وأدبها جم.

أين نقضي هذا المساء؟

حاولت أن أقضي مسائي في مسجد كوريا، وكنت قد حصلت على رقم الهاتف لإمام المسجد من المركز الإسلامي في طوكيو، وعنوان بيته، ولم يكن معي عنوان المسجد نفسه حتى أصل إليه بالسيارة، فطلبت من الفندق أن يصلني ببيته أو بالمسجد، فحاولت الموظفة المسؤولة، فكان الجواب: لا جواب، وأسف غاية الأسف، لأنني سأسافر غداً، وكررت المحاولة فلم تنجح.

ولم يكن لمثلي أن يخرج من فندقه مساء، وذلك لعدم الرغبة في ارتياد الملاهي، وللرهبة من تبعات ذلك.

فسألت الموظف المسؤول عما إذا كان في الفندق مكان يمكن للمرء أن يقضي فيه ساعة أو بعض ساعة، وقدرت أني أستطيع أن أشرب كأساً من عصير الفاكهة، أو أتفرج برؤية من يكونون فيه، وأكتب بعض أشياء في مذكراتي خلال ذلك.

فقال إنه موجود في الطابق الأرضي، وكان هذا الفندق كما قلت يكاد يكون مدينة وحده، ووجدته ودخلت قاصداً، فناداني منادٍ من القوم وهو يضحك: قف، هل قطعت تذكرة؟ فقلت: ولم التذكرة، وأنا لم أتناول شيئاً حتى الآن؟ فقال: تعال لأريك، هذا رسم الحكومة، وأراني على مائدة في المدخل لافتة تقول: رسم الدخول (١٨٠٠) ون، أي أقل قليلاً من أربعة دولارات، فقلت في نفسي: لو لا أن في الأمر شيئاً لما كان هذا الرسم لمجرد الدخول، وقلت للموظف: إنني لا أريد إلا كأساً من عصير البرتقال، فقال: لك أن تطلب ما تشاء، ولكن لا بد من دفع الرسم، فقلت له: وماذا في هذا المكان؟ فقال: إذا دخلت اخترت المائدة التي تريد، ثم تطلب مضيفة فتأتيك وتجلس على مائدتك، وتطلب لها ما تريد أنت، وما

تريد هي من شراب، فقلت له: وماذا بعد ذلك؟ فقال: ترقصان معاً حتى تملا الرقص، وبعد ذلك يكون ما تريدان من أمر.

فقلت له: ولكنني لست من أهل هذا الشأن، فقال: لك الخيار في أن تطلب وفي ألاّ تطلب، فإذا شئت أن تدخل وتبقى وحيداً دون رفيق أو أنيس فعلت.

فقلت في نفسي: أُنْسي في البعد عن هذا المكان المشبوه، وقفلت راجعاً، وخيبت ظنه في بقشيش ظهر لي من إلحاحه عليَّ في الدخول أنه ينتظره، وربما كان قد عوده عليه الأمريكيون، وأفلتّ منه، وقفلت أُريد الصعود إلى غرفتي، وإذا بغانية مديدة القامة على غير العادة، خمرية اللون ليست بيضاء، على لون أكثر الكوريات في عنفوان الشباب، أقدر عمرها في حدود العشرين، وقد جلست على كرسي وحدها، فلما حاذيتها ونظرت إليها نظر البريء المكتشف، حركت شفتيها، وأشارت بعينيها، فلما استفهمت عما تقصده، أشارت إلى مفتاح غرفتي الذي كان معلقاً بيدي، ويظهر أنها لا تعرف لغة غير لغتها بما معناه: أنت ساكن فوق؟

فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله، كنت كالذي فرمن القطر وقعد تحت الميزاب، وانفلتُّ منها أعدو حتى وصلت القاعة العامة في الفندق، وإذا بها تعج بالداخلين والخارجين والجالسين والواقفين، فجلست في أحد المقاعد، وإذا بجاري يبادرني بالسؤال من أي بلد أكون ؟ فقلت: إنني عربي، فقال: إن سؤالي له سبب، فأنا صاحب مؤسسة للتصدير، وأراسل عدداً من التجار العرب في الكويت والبحرين، ثم فتح حقيبته اليدوية، وأخرج رسائل فيها عناوين بعض البيوت التجارية هناك، ثم اخذ يمطرني بسيل من الاستفسارات، ولما أحس بأنني قد بدأت أمل من كثرة أسئلته، قال: أرجو ألا تؤاخذني، فنحن في هذه البلاد، قد بدأنا العلاقات التجارية مع البلاد العربية، ونحن في حاجة إلى دراسات وافية عنها، لأنه ليس لدينا

عنها معلومات كافية.

وكانت فرصة لا ستزيد من المعلومات عن كوريا وأحوالها منه، كما فعل هو، واستمر الحديث معه طويلاً.

وهكذا أمضيت السهرة مع هذا الكهل الكوري الذي قال إن عمره ست وخمسون، ولكنه متغضن الوجه، معقد الأسارير، ربما كان ذلك من أثر إمعانه في الشراب، وكانت تفوح من فمه رائحة من أكل ثوماً، وهي رائحة تفوح من أفواه أكثر الكوريين، وذلك من شيء يقدمونه مع الطعام يشبه الثوم، ذقته في المطعم فكرهته، وكنت أجد عناء من رائحته فيهم، ولا سيما في المصعد إذا كان مزدحماً، وكانت سهرة ليس فيها من المتعة شيء إلا البعد عن الإثم إن شاء الله.

يوم السبت ٢/ رجب/ ١٣٩٧هـ الموافق ١٨/ ٦/ ١٩٧٧م

أصبحت اليوم وبيني وبين السفر إلى الصين الوطنية أو جزيرة تايوان كما تسمى ساعات، ولذلك أحببت أن أحصل على أكثر ما أستطيع عليه من مشاهدات عن كوريا والكوريين، فقصدت السوق الكبيرة تحت الساحة الرئيسية الواسعة في سيؤول، واشتريت من البائعات فيها بعض المصنوعات الكورية الخفيفة الحمل، ثم واصلت جولتي حتى تعبت، ولما كان السفر سيكون مع الخطوط الكورية، وأهل كوريا ليسوا من المسيحيين الذين تحل ذبيحتهم، فقد توقعت الجوع في الطائرة، لذلك قلت: لا بد من أكلة من السمك والأرز وشربة من حساء القواقع، نودع بها هذا البلد الودود.

ووجدت مطعماً فخم المظهر، واسع المبنى، على واجهته رسم كبير لسلحفاة كبيرة، فقلت في نفسي: هذا سيكون للحوم البحر، فلما دخلت رأيت دنيا عجيبة من العجائب، مطعم كأنه مدينة، فيه قاعات واسعة، وأنوار ساطعة، وأحواض للأسماك فيها من سائر الألوان، وفوق ذلك فيه نافورة صغيرة ملونة قد أطاروا فوقها عدداً من البالونات الملونة، قد يبلغ عددها العشرين، وهي سابحة في الهواء، إذا أرادت السقوط منعها هواء الماء المنبعث من النافورة أن تسقط، فظلت في طيران دائم بين الارتفاع والانخفاض، فهي في منظرها قطعة من الجمال، أما رسوم الأحياء البحرية المأكولة في هذا المطعم فحدث عنها ولا حرج.

وإذا بهم قد اختاروا للخدمة فيه عدداً من الفتيات الجميلات، وناهيك بمن يعدهن الناس بين الكوريات من الجميلات، لأن الجمال هو الغالب العام فيهن.

فدخلت فبادرتني منهن واحدة هي أجملهن جمالاً، وأصغرهن سناً،

وأكثرهن أناقة، مع أنهن في الملابس، سواء قد ألبسوهن حللاً حمراء قصيرة الأسفل، سابغة الأعلى، بحيث إنها تصل إلى ما تحت الحنكين، أما الكمان فهما إلى العضدين وفوق العضدين، وفوق ذلك قبعة حمراء صغيرة كقبعات المضيفات في الطائرات، ولا أدري لم استقبلتني هذه الفتاة، وربما مظهري الغريب قد جذبها، فأحبت أن تستأثر بالحلوان (البقشيش)، وكلمتني بالكورية ثم اليابانية، فلما لم أفهم شيئاً تركتني، ثم عادت ومعها عجوز في أول هرمها، فأخبرتها بما أريد، وأنه السمك والأرز، إلا أن ذلك مشروط بأن تحضر لي شوكة بدل العيدان الصغيرة التي بها يأكلون.

وبدأت الفتاة الجميلة عملها بأن أحضرت عيدان الأكل ومعها شوكة وملعقة، ثم إناء صغيراً فيه الأرز، وكأساً من عصير البرتقال، وحساء القواقع، وأربعة أصناف من المقبلات، أحدها حار شديد الحرارة، والآخر حامض ومع حموضته ملوحة، و(البقية لا تأتي)، فأنا لا أستطيع وصفها.

وشربت حساء القواقع، أو لنقل شربة القواقع، كما اعتاد الناس أن يسموا الحساء، وكانت القواقع أسفل الإناء راسبة.

وجاء السمك، فإذا به مقلي بالزيت، ولكن موضوع في وسطه قرون من الفلفل الأخضر، فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله، أنا لم يسترد بطني عافيته منذ أن مرض بأكل الفلفل في الهند إلا منذ مدة غير طويلة، فما بال هذا الوجه الجميل لم يعرف ما أريد، وتذوقت الفلفل فإذا به حلو لذيذ، ومع أنه صغير فإنه ليس بالحار، فأمعنت فيه أكلاً، وكان لم يبق على الخروج إلى المطار إلا القليل، فنقدت الثمن لخازنة الصندوق عند باب المطعم، وكانت خادمة المائدة الجميلة تتبعني لترشدني إلى مكان الصندوق في الظاهر، ولكنها تنتظر ما يوضع في يدها في الحقيقة، فلم

أخيب ظنها ، فأعطيتها ما شكرته ، وانحنت بالتحية كعادة أولئك القوم من الشرقيين المهذبين.

معلومات عن كوريا:

تتضمن اقتباسات من نشرة حكومية، ومقالاً عن الإسلام في كوريا للدكتور المسلم الكوري (حامد تشوي يونغ كيل):

الموقع: تقع شبه الجزيرة الكورية بين خطي عرض (٣٣) درجة، و(٤٣) درجة شمالاً، وبين خطي طول (١٢٤) درجة، و(١٣٣) درجة شرقاً. ويفصلها عن منشوريا وسيبيريا في الشمال نهرا يالو وتومان، ويفصلها عن الأرخبيل الياباني إلى الجنوب مضايق كوريا.

ويبلغ طول شبه الجزيرة الكورية من الشمال إلى الجنوب نحو (١٠٠٠) (ألف) كيل، أما المسافة من الشرق إلى الغرب، فإنها تتراوح ما بين (٢٠٠) إلى (٣٢٠) كيلاً، وتبلغ مساحة كوريا تقريباً (٢٢٠٠٠٠) كيل مربع، أو ما يوازي مساحة بريطانيا العظمى، أو ولاية نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية، وتمتد مساحة جمهورية كوريا في الجنوب إلى نحو (٩٨,٧٥٨) كيلاً مربعاً، أي أصغر قليلاً من مساحة كوريا الشمالية.

الأرض: إن كوريا بتلالها وجبالها الوفيرة، فيها تضاريس متباينة، فالمناطق الشمالية والشرقية تتألف في معظمها من جبال شديدة الانحدار، وتلال عالية، أما الأجزاء الجنوبية والغربية فإنها سهول ممتدة، وتلال منخفضة، ولا تزيد مساحة الأراضي المنزرعة في كوريا عن (٢٣ ٪) من المساحة الكلية.

ويعد جبل (بيكدو)، وهو أعلى قمة في كوريا، وجبل (هالا)، وهو أعلى جبل في الجنوب، من الجبال البركانية، وكلاهما تعلو قمته فوهة بركانية، غير أنهما الآن أصبحا خامدين، وباستثناء هزات أرضية خفيفة، فإنه لم تحدث زلازل في كوريا.

المناخ: مناخ كوريا معتدل بين المناخ القاري والساحلي، ويتميز المناخ الكوري بوضوح الفصول الأربعة فيه، فالصيف فيه حار، ومشبع بالرطوبة إلى حد ما، بينما الشتاء بارد وجاف، وأكثر الشهور حرارة يونيو ويوليو وأغسطس، ومتوسط درجة الحرارة في أغسطس (٢٤) درجة مئوية فوق الصفر، أما في الشتاء الذي يجيء في شهور ديسمبر ويناير وفبراير، فإن متوسط درجة الحرارة ينخفض إلى ثمان درجات مئوية تحت الصفر في الشمال، وإلى نحو صفر في المنطقة الجنوبية الساحلية، ويبدأ فصل المطر في شهر يونيو، وينتهي في أغسطس، وفي هذا الفصل يسقط على البلاد نحو ما يسقط عليها طوال العام.

الحياة النباتية: رغم أن الجبال تشغل أكثر من (٧٥ ٪) من مساحة الأرض في كوريا، إلا أنها تعد غنية بصورة نسبية في مجال الحياة النباتية، بما ينبت على أرضها من أنواع نباتية متباينة، فهناك في كوريا نحو (١١٠٠) صنف من الأشجار، وأكثر من (٢٠٠٠) نوع من النباتات.

الشعب:

وفقاً للدلائل الأثرية واللغوية، فإن الكوريين يعتبرون بصورة عامة من نسل التنجوس الذين هاجروا إلى كوريا من منشوريا وسيبيريا منذ نحو (٤٠٠٠) سنة قبل الميلاد، وحتى عصر (ثقافة الأدوات الحديدية) التي أدخلت قبيل نهاية القرن السادس قبل الميلاد، فإن الكوريين - على أغلب الظن السائد - كانوا يعيشون على صيد الحيوانات والأسماك من الأنهار، أو من السواحل.

الصفات البدنية: يشبه الكوريون عموماً المغوليين من حيث المظهر، وقد احتفظ الكوريون بسماتهم العرقية والثقافية المميزة لهم على مر العصور، وفي العادة فإن الكوري طويل، ذو بنيان ممتلئ، بالمقارنة مع

أفراد الشعوب الآسيوية الأخرى.

السكان: بلغ تعداد سكان جمهورية كوريا في نهاية عام ١٩٧٤ نحو (٣٣,٤٥٩,٠٠٠)، وهو ما يوازي ضعف سكان كوريا الشمالية تقريباً، والواقع أن الكثافة السكانية في كوريا مرتفعة للغاية، بل إن كوريا واحدة من أكثر دول العالم في الكثافة السكانية العالية، ففي كوريا يعيش كل (٣٣٨,٨) شخصاً في المتوسط في الكيل المربع الواحد، ولقد انخفض معدل النمو السكاني أخيراً من (٢,٨٨ ٪) سنوياً، وهي النسبة التي كان عليها في الستينات إلى (١,٦٧ ٪) في عام ١٩٧٤، وقد أمكن تحقيق ذلك بسبب برامج تنظيم الأسرة التي تطبقها الحكومة.

الكوريون فيما وراء البحار: يعيش نحو (٨٠٠,٠٠٠) كوري فيما وراء البحار (خارج كوريا)، فهناك (٦٠٠,٠٠٠) كوري يعيشون في اليابان، ونحو (١٥٠,٠٠٠) في الولايات المتحدة، ويعتقد أن هناك بعض المجموعات المهاجرة التي استقرت في منشوريا والاتحاد السوفيتي، غير أنه من الصعب تقدير عدد أفراد هذه المجموعات على وجه الدقة.

اللغة: تنتمي اللغة الكورية إلى مجموعة اللغات الأورالية التائية (نسبة إلى جبال الأورال والتاي في آسيا)، وهي المجموعة التي تنتمي إليها أيضاً اللغتان التركية والمنغولية، وتستخدم آجرومية اللغة الكورية البناء اللغوي للجملة المكون من الفاعل - المفعول - الفعل، وقد احتفظت اللغة الكورية بوحدتها إلى حد بعيد، بفضل قوة الأبجدية الكورية الفريدة، والتي تسمى الهانجول، التي تم وضعها في القرن الخامس عشر إبان حكم الملك سيجونج، رابع ملوك أسرة (يي)، ورغم من الاختلافات الطفيفة في اللهجات في بعض المناطق، فإن الكوريين يتكلمون ويكتبون لغة واحدة.

وتتألف لغة الهانجول - التي تعد أبجدية صوتية - من (١٠) أصوات

متحركة، و(١٤) صوتاً ساكناً، وتعتبر الهانجول - التي يمكنها كتابة كل الأصوات تقريباً - واحدة من أبسط وأفضل الأبجديات.

التاريخ:

يبدأ تاريخ كوريا بأسطورة خرافية، تماماً كما هو الحال بصدد قصص تأسيس معظم الدول القبلية القديمة.

وتقول الأسطورة إنه منذ نحو (٤٣٠٠) عام تقريباً، قام (تانجون) الكائن شبه المقدس، المولود عن ملك سماوي، بتأسيس مملكة على شبه الجزيرة الكورية.

وتلك المملكة هي (كوريا القديمة)، أو دولة قبلية في كوريا، ولذا فإن الكوريين غالباً ما يشار إليهم على أنهم نسل تانجون.

وبسبب موقعها الجغرافي بين الصين شمالاً، واليابان شرقاً، فقد عاشت كوريا تاريخاً مليئاً بالكفاح المستمر ضد محاولات لا تهدأ للعدوان والسيطرة الأجنبية، ومع ذلك نجحت كوريا باستمرار في الحفاظ على شخصيتها المتميزة، وتراثها الثقافي.

الممالك الثلاث (من عام ٥٧ قبل الميلاد حتى عام ٩٣٦ الميلادي).

على مر عصور الكفاح الطويلة لرد السيطرة الصينية على أعقابها، شكلت المجموعات القبلية الكورية ثلاث ممالك قديمة في أجزاء متفرقة من البلاد، هي: مملكة كوجوريو (٣٧ قبل الميلاد - ٦٦٨ ميلادية)، ومملكة بايكتشي (١٨ قبل الميلاد - ٦٦٠ ميلادية)، ومملكة سيلا (٧٥ قبل الميلاد - ٩٣٦ ميلادية).

ولقد عاشت الممالك الثلاث لنحو (٦٠٠) سنة قبل أن تقهر سيلا

المملكتين الأخريين بمساعدة تانج الصيني، وفي ظل حكم سيلا وجد كيان سياسي موحد للدولة، كما وضعت أسس أول ثقافة قومية موحدة على أرض شبه الجزيرة الكورية.

دخول البوذية: دخلت البوذية إلى البلاد من الصين أول مرة عندما عرضت أنباؤها وأفكارها في بلاط كوجوريو في عام ٣٧٢ الميلادي، وعقب ذلك انتشرت البوذية بسرعة، وبسطت نفوذها في جميع أنحاء شبه الجزيرة، وأضحت (العمود الأيدولوجي) للممالك القديمة، والخلفية الروحية في نفوس أفراد الشعب، وقد أسهمت البوذية كثيراً في توحيد الفكر القومي.

الإسلام في كوريا الجنوبية:

بحث مقدم من الدكتور تشوي يونج كيل (حامد). أستاذ الدراسات الإسلامية بقسم الدراسات العليا، جامعة ميونج جي، سيؤول - كوريا الجنوبية.

المقدمة:

الحمد لله الذي أكمل لنا دين الإسلام، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام ديناً كما قال الله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة ٣].

والصلاة والسلام على رسولنا ونبينا محمد، قدوتنا وإمامنا الذي بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، حتى تركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك ﷺ تسليماً كثيراً، أما بعد:

فاستناداً إلى البحوث المتعلقة بعلاقة العرب بكوريا، فقد كانت هناك علاقة حيث يرجح بينهما منذ القدم أن يكون زار كوريا في الزمن القديم بعض العرب الذين سكنوا ميناء كانغتون التجارية الدولية بجنوب الصين. يقول الدكتور لي يونج بوم، أستاذ التاريخ الشرقي في بحثه تحت عنوان ((نفوذ العرب والفرس في تاريخ كوريا وثقافتها وشعبها)): إن بعض العرب قد جاءوا إلى مملكة سيلا الموحدة في القرن الثامن الميلادي (٦٦٨ - ٩٣٩ م)، ويؤكد ببحث آخر أيضاً أن اتصالاً بين كوريا والعرب قد وقع خلال عهد سيلا، يقول هذا البحث: إن بلاد سيلا التي تقع في أقصى الصين وافرة، كثيرة الذهب. ويؤكد بحث آخر أيضاً أن الاتصال الأول بين كوريا والعرب قد وقع خلال هذه المملكة، يقول هذا البحث نقلاً عن

ابن روسته: إن بلاد سيلا التي تقع على أقصى الصين وافرة كثيرة الذهب، والعرب الذين نزلوا فيها لم يرغبوا مغادرتها.

ويبدو من معلوماتنا التاريخية عن أول علاقة العرب بكوريا أن مملكة سيلا قد اهتمت بالتجارة بينها وبين العرب والفرس، واعتنت بالتجار العرب الوافدين من الشرق الأوسط.

وفي عام ٩٣٥م انقرض عهد مملكة سيلا، وبدأ عهد كوريو، وهو عهد استمر خمسمائة عام، ونجد ذكراً كثيراً لخبر قدوم التجار العرب إلى كوريو في كتاب (كوريوسا)، ويقول هذا الكتاب: إن الملك وانج كون مؤسس مملكة كوريو كان خبيراً في التجارة البحرية والبلاط فعال في التجارة، ومن المعروف أن اسم كوريا الأصلي كان كوريو، فصار بنتيجة نطق التجار العرب المذكورين القادمين من الصين في هذا العهد بما تعرف عليه الآن كوريا.

إلا أننا نلاحظ أن هؤلاء العرب والمسلمين الذين كانوا قد نزلوا في كوريا واستوطنوها منذ عهد مملكة سيلا إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادي، لم يكن يعرف عنهم أنهم كانوا يقومون بنشر الإسلام كما هو معروف في كتب التاريخ عن التجار العرب المسلمين الذين كانوا نشروا الإسلام في معظم بلدان آسيا.

وفي منطقة منشوريا بالصين الشعبية، كان يعيش عدد وافر من المسلمين، فاتصل بعض الكوريين بهم من الذين ذهبوا هناك قهراً وقسراً من أجل تحقيق رغبة الحكومة اليابانية العسكرية، لاستغلال الموارد الطبيعية، استعداداً لحرب عالمية ثانية، وكان هذا أول اتصال لهم بالمسلمين في العصر الحديث، ومن الواضح أن هذا الاتصال كان له تأثير كبير عند بعض الكوريين هناك، واعتنق الإسلام ثلاثة أشخاص كوريون

لأول مرة في تاريخ كوريا، واحد منهم السيد يون دو يونج الذي أسلم باسم محمد يون دو يونج بإرشاد من مسلم صيني، وبعد أن رجع الكوريون الثلاثة من الصين، أرادوا المزيد من التعرف على الإسلام، لكنهم بقوا في عزلتهم عن العالم الإسلامي حتى سنة ١٩٥٠م عند مجيء الأتراك إلى كوريا، ووصل جيش الأتراك إلى كوريا حاملاً راية الإسلام في يوم ١٧/ ١٠/ ١٩٥٠م، ويمكن اعتبار هذا اليوم نقطة تحول في تاريخ الإسلام بكوريا، وهكذا خلال إقامة جيش الأتراك في كوريا يكون غرس الإسلام بيد الجيش التركي في سنة ١٩٥٥م علامة بارزة في تاريخ الإسلام بكوريا، وذلك بفضل جهود الإمام التركي زبير قوتشي بعد وصوله في سنة ١٩٥٠م.

العوامل الإيجابية التي تساعد على انتشار الإسلام في كوريا:

أ- سهولة فهم الكوري لعقيدة الإسلام.

وقد تجاوب مسلمو الشعب الكوري مع الإسلام، لأن الشعب الكوري يؤمن بإله واحد رب العالمين، ونلاحظ أن الكلمة في النشيد القومي الوطني، أو في اللغة الكورية التي تعبر عن الإله هي كلمة (هانانيم أو هانونيم) تعني أحد، أو الواحد أو الوحيد، وهذا معنى الكلمة الوحيدة التي تستعمل للتعبير عن الإله في روح الشعب الكوري، أو في اللغة الكورية إلى يومنا هذا، يقول حسن محمد كتبي: إن دين الكوريين الذي يقوم على أساس توحيد الله، كفيل بأن يجعل تعاليم الإسلام مقبولة لديهم، لأن الأصل في الخلاف على الأديان بعد توحيد الله وإخلاص العبادة له، أما ما عدا ذلك فإنه تعليم لتنظيم الحياة على الأرض، وقد وجدت في هذه البلاد تقبلاً عظيماً لتعاليم الإسلام، لأنها تحقق للبشر السلام والحرية والمحبة.

وقد عمل مرور الأيام وتطور الأزمان على الأرض الكورية، وانتشار البوذية والكونفوشوسية في تصورات الشعب الكوري لاستيعاب صفات الإله، واتفاقهم على الإيمان بوجود الله، لكنهم اختلفوا في أساليب التوصل إليه، والتقرب منه، سيما بعد أن أخذت المسيحية في الانتشار بكوريا، إلا أن لهم رغبة عميقة في عبادة الإله في اكتساب عقيدة ربانية، وقد وجد من أسلم من الشعب الكوري اتفاقاً مع تقاليده وعاداته العريقة.

ب- بعض العادات والتقاليد التي تتقارب مع الإسلام:

إنه توجد في هذه العادات والتقاليد ما يتلاءم مع الروح الإسلامية والتعاليم الإسلامية، ونذكر وضع المرأة والأخلاق، ومنهاج الحياة العائلية، وبعض العادات الاجتماعية العامة، فنحن حين نتأمل بعض عادات الشعب الكوري وأنماط حياته، نجدها موافقة مسبقاً للشرع العزيز، لأنها متمشية مع الفطرة.

كانت المرأة الكورية في القديم تلبس وتواري وجهها بالحجاب، وكان زواج الفتى والفتاة لا يتم أثر لقاء عبر الشوارع أو المنتزهات العامة أو الأماكن الأخرى، بل يتم بعد رضى والدي الفتى والفتاة، وهذا طبقاً للأحاديث النبوية الشريفة، وقال ﷺ: (لا نكاح إلا بولي)، وقال عمر بن الخطاب ﷺ: لا تنكح المرأة إلا بإذن وليها، أو ذي الرأي من أهلها، أو السلطان.

كما تحدث الدكتور صالح سامرائي، الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز حول هذه النقطة نقلاً عن عبد الرشيد إبراهيم، العالم والمفكر التتاري من روسيا، الذي زار بلدان الشرق الأقصى، وجنوب شرق آسيا قبل أكثر من سبعين سنة، أن من جملة ما لاحظه على النساء الكوريات أنهن كن يلبسن الحجاب، وهذا التستر والحشمة هي سنة ملابس أكثر

الكوريات حتى يومنا هذا، جلابيب طويلة تصل إلى الأرض، أكمام حتى الكفين، ونجد أن تعاليم هاتين الآيتين مثلاً لم تكن غريبة عن الشعب الكوري، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ [الأحزاب]. فغض البصر والعفة والتحشم وعدم التبرج، وعدم دخول البيوت إلا بإذن كان من أخلاق الكوريين.

وللشعب الكوري أيضاً بعض العادات التي كان يدعو إليها النبي ﷺ، فقد كانت النساء الكوريات اللاتي يموت أزواجهن يمكثن مدة

معينة دون زواج، وهذا مصادف لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ البقرة [٢٣٤].

والشعب الكوري كان يفضل الملابس البيضاء اللون عامة، وفي المناسبات خاصة، مما يوافق بالفطرة قول الرسول ﷺ: (البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم).

والشعب الكوري يلازم التيامن في الأكل والشرب، ومازال ينكر اليد اليسرى في الأكل والشرب والكتابة، مما يوافق قوله عليه الصلاة والسلام لعمر بن سلمة: (يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك).

والرجل الكوري كان يطلق اللحية، ومازال بعض كبار السن في الأرياف في الوقت الحاضر يفضل ذلك من أجل جمال الرجولة وزينتها، وأيضاً رمزاً لشجاعتهم، مثل سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام: بإحفاء الشوارب وإعفاء الحية.

ومن الحكم الكورية حول الصلات الاجتماعية، وهي صورة تتفق مع توصيات النبوة الشريفة: إن الجار له حق إذا كان بعيداً، وله أكثر من حق إذا كان قريباً مسلماً. هذه الحكمة المذكورة ترمز إلى معان كثيرة، فيها الاعتراف بحق الجار على جاره من الحقوق والآداب التي تقتضي الفطرة باتباعها ومراعاتها كاملة، والإحسان في ذلك بأن ينصره إذا استنصره، ويعينه إذا استعانه، ويعوده إذا مرض، ويهنئه إذا فرح، ويعزيه إذا أصيب، ويساعده إذا احتاج، وكذلك عدم أذيته، وإكرامه بإسداء المعروف والخير إليه، واحترامه وتقديره، وهذه تتفق مع سنة نبوية في قوله عليه الصلاة والسلام: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)، وقوله ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره)،

وقوله ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره).

وكذلك يشيع الإكرام والترحيب في الشعب الكوري، فهو يلازم سنة الرسول ﷺ ويقول: (من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)

وكان التعليم الكوري المتأثر بالكنفوشوسية يقضي بعدم الاختلاط بين الذكر والأنثى إذا بلغا من العمر سبع سنوات، وهذا يشابه الحديث النبوي الشريف: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع).

وكان الحياء شعبة من شعب الإيمان، فإن هذا الإيمان كان يعمر قلوب الكوريين، وبخاصة قلوب الكوريات.

وإذا كان التواضع سجية من السجايا الإسلامية، فالشعب الكوري قد اشتهر بتواضعه، وقد بلغ احترام الكبار عند من يصغرهم أن الصغار يسكتون إذا تكلم الكبار، حتى ولو أخطأ الكبير في آرائه وأعماله.

أما احترام الوالدين فهو مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية الكورية، إلا أن تعليم الكنفوشوسية في القرون الوسطى قد شابتها شوائب الشرك، حتى بدأ الأفراد من الشعب الكوري ينحنون ويركعون أمام الآباء والأمهات في بعض المناسبات.

والنقطة الأخرى هو أنه في كوريا القديمة سرى الاعتقاد في أن دخول النساء وخروجهن البيوت ووطء أقدامهن لعتبة البيت والجلوس عليها يطرد الخير من الأسرة في اعتقادهم، ومازالت هذه الظاهرة منتشرة في الأرياف الكورية، وقد أمر إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل بتبديل عتبة البيت، عندما وجد زوجته غير مؤدبة لا تحترم الكبار، وكان هذا يعني تطليق إسماعيل لزوجته.

ومن الأخلاق الكورية ما لا يتنافى مع الإسلام، كوجوب طاعة الوالدين، والخضوع لهما، والإحسان إليهما لما قدما له من الجميل، وقد أوجب الله تعالى في الإسلام طاعتهما، وكتب على الأبناء حق الإحسان إليهما وقال تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء].

كما أن الأخلاق الكورية توجب طاعة الحاكم والانقياد له، مثلما يعتقد المسلمون بوجوب إجلال الأئمة وطاعة ولاة الأمر والجهاد معهم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء ٥٩]. وكذلك فإن الكوريين يعتقدون بوجوب طاعة الأخ الأصغر للأخ الأكبر، وبوجوب الوفاء والإخلاص بين الأصدقاء، كما ورد في الحديث الشريف: (حق كبير الأخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده).

وكذلك فنحن نجد في الأخلاق والعادات الكورية كثيراً منها يتلاءم مع الأخلاق الإسلامية، فكأنها منبثقة منها، إلا أن الثقافة الغربية المشؤومة دأبها نشر الفساد الأخلاقي، وإفشاء الشر والرذائل، وتدمير القيم السامية، وتخريب الصفات الحميدة، مما جرّ على البيوت الكورية شراً كبيراً.

جـ- التسامح الديني في التاريخ والواقع الكوري:

أما مستقبل الإسلام في كوريا من حيث السياسة، فإن مما يجدر بالذكر أن نلاحظ أن الحكومة الكورية كانت متعاونة مع المسلمين منذ دخول الإسلام لكوريا، وقدمت للمسلمين معونات، رغم أن الحكومة

تلتزم الحياد في موضوع الأديان.

ومن الحقائق التاريخية أنه لم يحدث خلاف في الماضي بين البلدان العربية والإسلامية والجمهورية الكورية، بل العكس، فقد توطدت علاقات ودية بينها، وكان هناك تبادل ثقافي متين بين العرب والكوريين منذ أن نقل العرب العلوم والطب وبعض الفنون إلى كوريا في القرن الحادي عشر، وقد لقي العرب الذين وصلوا إلى كوريا آنذاك كل حفاوة وتكريم من قبل الملك الكوري ورجال بلاطه، حتى إن السيد تشوي سانغ سو قد أثبت من خلال وثيقة تاريخية أن امرأة كانت ترافق العرب آنذاك قد صارت زوجة للملك تشوينغ يول، وتلا هذا الحديث، وهو تعيين بعض العرب في مناصب حكومية مرموقة (نانغ زانغ داي وانغ كون)، أي رئيس البلدية، واستمر هذا التكريم للعرب في عهد كوريو، وعهد لي كذلك، وقد لاحظ في هذا الصدد الشيخ عبد اللطيف السوادي أنه لم يوجد قط من الناحية التاريخية أي شكل من العداء بين كوريا والأقطار الإسلامية، وما زالت الحكومة الكورية إلى الوقت الحاضر تعمل على توسيعها وتعميقها في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية وحتى الدينية، مما يدل على أن كوريا مصممة على الانفتاح الإيجابي على البلدان الإسلامية.

ومما يساعد على نشر الإسلام بكوريا أن دستور جمهورية كوريا لا يجبر أحداً على الدخول في أي دين، فكل الأفراد له الحرية التامة في اختيار ما يشاؤون من الأديان، فينص الدستور الكوري على: أن للشعب الكوري حرية الاختيار في الاعتقاد الديني، ولا يعترف بأي دين ليكون ديناً رسمياً للبلاد، ويفرق بين الدين والسياسة. كما أن الإسلام لا يجبر أحداً على الدخول فيه، قال تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ [البقرة ٢٥٦].

إلا أن موقف الحكومة الكورية من الإسلام وانتشاره على الأرض الكورية، لا يوجد له شبيه في البلاد ذات الأقليات المسلمة مثل الهند والفليبين وتايلاند وبورما وغيرها، فهي لا تعطي للأقليات المسلمة حقوقها، بل تحاربهم أحياناً لاستئصال الدين الإسلامي، ولكن الله متم نوره كما قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الصف].

فالحكومة الكورية لا تني عن موقفها المشجع للاسم في كوريا، ففي ١٣ / ٩ / ١٩٨٠م أكد رئيس كوريا في لقائه بالضيوف الكبار من الدول العربية والإسلامية أن كوريا في أمس الحاجة إلى توطيد علاقات روحية ودينية مع الدول العربية والإسلامية إلى جانب العلاقات الاقتصادية، وفي يوم ٢١ / ٦ / ١٩٨١م أكد رئيس الوزراء عند اجتماعه بضيوف آخرين: أن كوريا لم تهتم في الأيام الماضية إلا بالتنمية الاقتصادية، والآن بحاجة ماسة إلى تنمية علاقات روحية.

د- الترابط الاقتصادي بين كوريا والعالم الإسلامي:

ومن المشجعات أيضاً على نشر الإسلام في كوريا أن هيكل الاقتصاد الكوري يعتمد كثيراً على الصادرات من الخدمات والبضائع الكورية، فإن الحكومة الكورية تعتمد على تعاون كبير في المجال الاقتصادي مع الدول العربية والإسلامية، وكوريا تستورد (٩٠ ٪) من النفط من الشرق الأوسط.

إن عدد الكوريين الذين عملوا في الدول العربية والإسلامية لا يمكن أن يحصى بدقة، ويقال إن عدد الكوريين سيكون فيما بين ١٩٧٣م وبين ١٩٩٠م مليوناً أو أكثر، وقد تعرف هؤلاء الكوريون في البلاد العربية والإسلامية على طريقة الحياة الإسلامية، وعلى العادات

والاتجاهات ومناهج التفكير في هذه البلاد ، وسيكون هؤلاء وسائل مباشرة لنقل الثقافة الإسلامية ومبادئ الإسلام أو بعض عقيدته.

بالإضافة إلى ذلك أن بعض هؤلاء الكوريين سيساهمون في إزالة الشبهات الجاثمة حول الإسلام في كوريا ، والتي تنشرها أجهزة الإعلام الغربية وغيرها.

ولا توجد في كوريا أية مدرسة أو معهد تعليمي أو كلية أو جامعة تعنى بالتعليم الإسلامي إلا مؤخراً ، فقد فتح قسم اللغة العربية في أربع جامعات كورية ، وفي هذا القسم تدرس المواد اللغوية العربية وآدابها فقط.

وفي الحقيقة يرجع انعدام المدارس الإسلامية إلى انعدام أي مبادرة إسلامية لفتح هذه المدارس، في حين أن أصحاب الأديان الأخرى قد أسسوا في كوريا مدارس عديدة يدرسون فيها تعاليم أديانهم.

والدليل على ذلك نجده في كتاب عنوانه: ((مائة سؤال وجواب)) تلك المائة سؤال التي تقدم بها الكوريون المقيمون بالمملكة العربية السعودية ، وأجاب عليها المركز الثقافي الإسلامي بجدة ، يقول السائل الكوري في السؤال رقم (٨٥): إنه لا توجد في كوريا أية معاهد أو مدارس إسلامية ، فهل يترك الأبناء المسلمون وغيرهم ليذهبوا إلى المدارس المسيحية والبوذية التي تطبق مذهبها في التدريس، علماً بأنه لا يوجد مدارس إسلامية نهائياً.

وقد كان هنالك تجاهل كبير للإسلام في كوريا من قبل الدول العربية والإسلامية في القديم، كما قال السيد شين بونغ هيون نائب رئيس الحكومة الكورية السابق: إن هذه العلاقات العربية الكورية تعتبر جديدة ، وقبل ذلك كان شعبنا يجهل العالم العربي الإسلامي، والعالم العربي يجهل وجودنا.

ونلاحظ أن هناك رغبة عميقة في نفوس الشباب الكوري خاصة منه الذي يتلقى دروساً في اللغة العربية بالجامعات الأربع إلى التعرف على العالم العربي الإسلامي، وعلى أحوال البلدان العربية الإسلامية كالسياسة والاقتصاد والثقافة.

٣- المشكلات المالية:

إن المسلمين في كوريا يلقون بعض المشكلات المالية في مجال المطبوعات الإسلامية، وصيانة المساجد، وإدارة المراكز الإسلامية الخمسة من أجل تنفيذ البرامج وتحقيق الأهداف.

٤- المشكلات الثقافية والعرفية:

يعيش المسلمون في الشرق الأقصى في بلدان أثرت فيها أديان عديدة منذ وقت عريق كالبوذية والكونفوشوسية، خاصة في بلدان ككوريا واليابان والصين وهونغ كونغ التي تأثرت في عاداتها وتقاليدها بالكونفشوسية.

يقوم الناس من الوثنيين في بداية كل سنة جديدة بالانحناء أمام الوالدين، وأمام صور الأجداد، وأمام المقابر، ويقدمون الطعام للموتى...إلخ.

ومن جهة أخرى فقد أحرزت البعثات المسيحية التنصيرية بسبب الدعم السياسي والمالي والتعليمي والصحي والعملي الذي تلقته من الدول الغربية نجاحاً ملموساً، وكل هذه العوامل تعرقل نشر الدعوة الإسلامية، زد على ذلك سوء فهم الإسلام، إذْ لا يزال عدد وافر من الناس يفهمون الإسلام على أنه دين الشر، وتعدد الزوجات، والعقاب الشديد للناس، ونجد الكتب المدرسية في المعاهد الابتدائية والثانوية والجامعية تعج بقدر كبير من المعلومات الخطأ التي تشوه الإسلام، وكذلك تساهم الجرائد

اليومية في التأثير في تشويه الإسلام.

ويقول بعض المؤرخين الكوريين: إن الدين الإسلامي أنشأه محمد، والقرآن هو مجموعة أحاديث محمد بعد وفاته، جمعها تلاميذه، ويقول كتاب آخر: إن الإسلام دين يعبد الحجر الأسود في الكعبة. وقد أثر كل هذا التشويه عند الكوريين، ولا يزال عدد كبير من الناس يعتبرون الإسلام دين القسوة، وتعدد الزوجات، والعقاب الشديد للناس.

انتهى ما أردنا نقله من بحث الدكتور حامد تشوي.

إلى مطار سيؤول ثانية:

وقفت على باب هذا الفندق الكبير أنتظر سيارة أجرة بعد أن نقدت أجرة مبيتي فيه ليلتين (٨٣) دولاراً ونصف دولار.

وأقبلت سيارة أجرة، وكان أحد المسؤولين عن هذا الأمر يقف دائماً عند باب الفندق يعرف أمور السيارات القادمة والراحلة، فبادرني رجل أوربي كنت رأيته اليوم في مطعم الفندق ونحن نتناول الإفطار، ولكننا لم نتحادث، وسألني: أنت خارج إلى المطار؟ قلت: نعم. قال: لنأخذ سيارة أجرة معاً، ولنتقاسم دفع الأجر.

فوافقت، وركبنا إلى المطار، وحدثني عن نفسه بأنه أسترالي من أصل أسكوتلندي، فتذكرت ما سمعنا عن بخل الأسكوتلنديين، وأنست بحديثه، لأنني وحيد، ولما وصلنا المطار أردت أن أدفع عنه الأجرة كلها، فامتنع وأبى وقال: أنا أسترالي، ففهمت أنه يريد أن يدفع عن نفسه التهمة الأسكوتلندية، تهمة البخل. وكانت الأجرة ألفاً وأربعمائة وناً. أي ثلاثة دولارات أمريكية.

وحدث ما لم أشاهد مثله في أي مطار، فعندما دخلنا كانت الموسيقى المنبعثة من المذياع ترسل نشيداً حماسياً كالنشيد الذي كنا نسمعه من البلاد المصرية أيام الهزيمة على عهد عبد الناصر، فتذكرت أن القوم مبتلون بالشيوعية كما أننا مبتلون بالصهيونية.

وكان هناك منصة قبل قطع التذاكر لتفتيش الحقائب الكبيرة تفتيشاً دقيقاً، حذراً من أن يكون فيها سلاح، أو غير سلاح مما هو ممنوع، وفتشت حقيبتي فيما فتش من أمتعة الركاب، إلا أن ذلك كان خفيفاً بالنسبة لي من باب المجاملة، وعرضت التذكرة على الموظف

المختص، فطلب الجواز، فلما رآه سعودياً أخذ يلاطف في القول، وأنهى كل شيء بسرعة، وأخبرني بلطف أن الرسم المقرر على من يغادر إلى الخارج هو ألف ون، أي زهاء دولارين اثنين.

ثم انتقلت من عنده إلى قاعة المغادرة، فمررت بتفتيش آلي، وتفتيش باليد، وكانت تفتش حقيبة يدي امرأة، فلم تفتح علياً كانت فيها ساعات اشتريتها من اليابان، وإلا فهم يفتحون مثلها للركاب، ونفذت إلى قرب بوابة الدخول إلى الطائرة، وكان بقي معي نقود من العملة الكورية، فقلت: ماذا أصنع بها غير أن أشتري شيئاً من هذه السلع المعروضة، وطلبت شيئاً من المناديل الحريرية من صنع كوريا، ولكن الموظفة ابتسمت وقالت: إننا لا نقبل النقد الكوري، إننا لا نقبل إلا عملة صعبة، فقلت: أي في هذا المكان بنك استبدلها منه؟ فقالت: إنه في الطابق الأعلى، وهنا سمعت صوت المذياع ينادي على رحلتنا التي تغادر إلى تايبيه وهونغ كونغ وبانكوك، فأسرعت وحملونا في سيارات كبيرة (حافلات) إلى الطائرة، فوجدناها من طراز (د.س ١٠) كالتي جئت عليها من طوكيو.

وكان معظم الركاب من غير الكوريين، وفيهم عدد من الأمريكيين، إلا أن ن نصف مقاعد الطائرة ظلت خالية.

إلى الصين الوطنية:

غادرت مطار سيؤول في الساعة الثانية والنصف ظهراً، واستمر طيرانها مدة ساعتين وربع الساعة، وكان أكثر الطيران فوق مياه بحر الصين.

وكانت الخدمة عادية، والطعام ليس سخياً، ولم آكل منه شيئاً، لأنني قد اكتفيت قبل ذلك، أما الشراب فإنه الكوكاكولا والشاي

الأحمر المر.

وكان الجو غائماً طول الوقت، ملبداً بالغيوم، فكانت الطائرة تطير بين طبقات من السحب المختلفة، ولم يكن ذلك ليفقدنا شيئاً، لأنها كانت تطير فوق بحر خضم لا معالم فيه.

وعندما نزلت الطائرة إلى ارتفاع منخفض كانت قرب الساحل الصيني لجزيرة تايوان، ثم وصلته، فبدت لنا الجزيرة أرضاً جبلية شديدة الانحدار، يشقها نهر عريض لونه أحمر، مما يدل على أن الوقت هو وقت الأمطار في هذه البلاد، ورأيت له عدة روافد تصب فيه، مما هو أعلى منه من المرتفعات، فأخذت الطائرة تطير فوق اليابسة، إلا أنها عادت ثانية وأخذت تطير فوق البحر، حتى وصلت إلى قرب المطار، وكانت فرصة سانحة لرؤية هذه الأرض الصينية التي لم أكن أتصور أنها بهذا الجمال والخضرة.

في مطار تايبيه:

بدت لنا مدينة تايبيه عاصمة الصين الوطنية قد قربت منها الجبال التي اكتست ثياباً من الخضرة، بل الغابات لم تبق منها موضعاً عارياً.

أما المدينة نفسها من الطائرة فهي حديثة ذات عمارات شاهقة، وشوارع منسقة مستقيمة، وطرق تمتد فوقها الجسور، ولا يتصور المرء وهو يراها إلا أنه يرى إحدى المدن الأمريكية الحديثة، إلا إنها أشد اخضراراً منها.

ونزلت الطائرة في مدرج المطار، وكان ما حول المدرج من الأرض كأنه الحقل العامر بالنبات الكثيف، وهذا أمر لم أشهد مثل خضرته في مطار من المطارات.

كان المطار عادياً في مظهره، ولكنه فوق مستوى المطارات في البلدان العربية التي يبلغ عدد سكانها عدد سكان الصين الوطنية، ويبلغ مستواها الاقتصادي كما تبلغ.

وكان أول شخص مررنا به هو الرجل الذي يفترض أنه يفحص البطاقات الصحية الصفراء، ولكنه كان يكتفي برؤيتها من الخارج، فيشير بها الركاب بأيديهم، فيتركهم يمرون.

وعند ضابط الجوازات كان هناك طوابير من الناس، وقد وصلني الدور، فسألني بعد أن فحص جوازي: أمعك تأشيرة دخول؟ فقلت: نعم. فأسرع يختمه، وشبك به الورقة التي تستعملها بعض البلدان، وينزعونها من الجواز عند مغادرة البلد.

ومن ضابط الجوازات إلى ضابط الجمرك، وفتش الحقيبة تفتيشاً سهلاً، ولم ينظر إلى جوازي الذي هو جواز خاص ليس من العادة تفتيش من يحمل مثله، كما أن العلاقات بين المملكة وهذه البلاد متينة جداً.

ثم انتقلت إلى المكتب الذي يحجز للفنادق، فطلبت من الموظفة أن تحجز لي غرفة من الدرجة الأولى ففعلت، ثم نادت شخصاً أراني بطاقة على صدره وقال: أنا من الفندق الذي حجزت فيه، وهو فندق (مندرين)، ثم قال: إنه ينبغي أن تغير ساعتك فتؤخرها، لأن توقيت بلادنا متأخر بساعة واحدة عن توقيت سيؤول.

ثم حمل حقيبتي إلى الرصيف خارج مبنى المطار وقال: ستأتي سيارة الفندق لتأخذك دون أن تدفع أي شيء.

في مدينة تايبيه:

ومعنى اسمها فيما أخبروني به هو (شمال تايوان)، أو مدينة الشمال،

سارت السيارة بي وحدي، وهي حافلة صغيرة حتى أدخلتني الفندق، فإذا به من الدرجة الأولى، وإذا بالناس عليه مزدحمون، وإن كان صغيراً بالنسبة إلى الفنادق الكبرى.

واختاروا لي غرفة في أعلى طابق فيه وهو العاشر، وكان الذي حمل حقيبتي يعرف كلمات من العربية، مثل: كيف حالك، وخمسة، وعشرة، وأين تذهب، وقال إنه تعلمها من معلم في تايبيه، وقد عرف أني عربي لأن الموظفة التي في مكتب الاستقبال استغربت رقم جوازي وهو (٦٥) فقط، وقالت: هذا قصير لا يكون فأخبرتها أنه جواز خاص، وأن هذا رقم لمكتب مسلسل لسنة واحدة فلم تقتنع، وأتت بزميل لها فلما نظر إلى الرقم في الجواز أقنعها، وعندما وقعت بالعربية ضحكت عالياً وقالت: في أي لغة هذا؟ فقلت: بالعربية.

كانت الغرفة متوسطة السعة، ولكن فيها كل الأشياء التي توجد عادة في فندق الدرجة الأولى، ففيها تلفاز إحدى قنواته ملونة، وفيها سرير واحد يتسع لشخصين، وزوجان من النعال الخفيفة التي تستعمل للغرفة، وفيها ثلاجة قد وضعوا فيها ست زجاجات من المشروبات الغازية المبردة بمثابة الضيافة للنزيل، وفي كل طابق منه مكتب عليه موظف باقٍ الليل والنهار للحراسة وتلبية حاجات النازلين، وأجرة الغرفة المنفردة (٣٩) دولاراً أمريكياً.

الصين مشهورة بالبهلوانين الذي يأتون بحركات خفيفة، ولم أكن رأيتها من قبل إلا في التلفاز، وعندما كنت أجول قبل غروب الشمس في هذا الفندق رأيت إعلاناً يقول: هذه الليلة لدينا في الدور الثالث حفلة صينية لعشاء صيني، تختار أصنافه أنت مع الفن الصيني الأصيل، من الساعة السابعة إلى التاسعة، كل ذلك بمائة وخمسين دولاراً صينية، ونسيت أن أقول إنني صرفت نقوداً أمريكية من خزانة الفندق، فإذا بكل دولار

أمريكي ثمانية وثلاثون دولاراً صينياً، وهذا سهل جداً بالنسبة إلى اليابان الذي في الدولار الأمريكي (٢٤٩) يناً يابانياً، وبالنسبة إلى كوريا الذي فيه (٤٨٠) وناً كورياً.

وقررت مشاهدة هؤلاء البهلوانين الذي يسمونهم فرقة الأكروبات، فالخسارة سهلة، إذْ مائة وخمسون دولاراً صينياً قيمة العشاء والدخول تساوي ستة دولارات أمريكية، أي أحد عشر ريالاً سعودياً.

وجلست في الطابق الأسفل من الفندق، وفي أفنائه المتعددة، فكان فيه بركة حديثة للسباحة، وملعب للتنس، ولكرة الطائرة، وحديقة صينية جميلة، يدخل إليها من كومة من الحجارة مركومة، قد نبتت فوقها الأشجار من مختلف الأنواع، من مزهرة وغير مزهرة، ووضعوا فيها بعض التماثيل الصغيرة التي تمثل بعض التقاليد الصينية العريقة التي لا أفهم إلى أي معنى ترمز، وقد جعلوا فيها ما يشبه النفق بقدر قامة الرجل، تدخل منه فكأنك تدخل من كهف في أحد الجبال، وقد استنبتوا الزهور، وأنبطوا النافورات إلى جانب المياه التي جعلوها تتعرج في الأرض، كأنك في خلجان صغيرة، وأطلقوا فيها الأسماك الصغيرة الملونة من حمر وسود.

وعندما حانت السابعة كان لي موعد مع الفن الصيني، فدخلت ونقدت الثمن المقرر، ودخلت مع الداخلين، ولما كنت وحيداً فريداً في هذه البلاد، فقد اختاروا لي مائدة صغيرة منعزلة، ولكنها غير بعيدة من مسرح العرض.

وكان العشاء مصفوفاً في صوان وأوانٍ على خوانٍ طويل، وجعلت أختار من غير اللحم والشحم ما لذ وطاب، وكان بعضه من الأسماك وبعض من الجمبري، وخضار فيه باميا، تكاد تكون نية لولا أن عليها

آثار القلي، وكذلك خضار يشبه الباذنجان، ثم بعد ذلك صحن الفاكهة وهي شرائح من البابايا ومن البطيخ الأخضر ومن البطيخ الأصفر، ثم صحن صغير فيه الحلوى الصينية، وعندما وضعت بنفسي الطعام على المائدة، جاءت الخادمة بالشاي الصيني المر الذي لا هو بالأحمر ولا بالأخضر، ولا يؤتى معه بالسكر.

وبدأ الأكل، وكان معه بداية العرض، وجاءوا بفرقة تعزف موسيقاهم، وهي قريبة من الموسيقى العربية في درجة الصوت، إلا أنها تخالفها في الآلات، وكيفية النغمات، ومعها كانت الأضواء الملونة تسطع على المسرح، تتقلب ألواناً بعد ألوان، وتضيء ركناً بعد ركن.

فكان أن تقدمت فتاة تقدم فقرات الحفل، فرطنت بالصينية التي لا يستطيع أن يفهمها إلا الصينيون، إذ لا أعتقد أنه يمكن تعلمها على الكبر إلا بعد أن تمضي سنون، وكانت أولى الفقرات أن تقدمت فرقة من البهلوانات الذين يسمون (الإكروبات)، وجعلوا يتقافزون وكأنهم يطيرون، وأذكر أن أحدهم كان يقفز منقلباً على رأسه فيقع رأسه في يد زميل له واقف، فيجعل يده تعتد له، فيقف الأول على رأسه فوق كف صاحبه دون أن يتمايل أحدهما، أو يتأرجح ويصبر صاحبه على ثقله بيد واحدة.

وبعد هذه الفقرة جاءت صينية تغني وما يطرب لها مثلي، إذْ لا أفهم فنها ولا أعرف لحنها، وكانت ترتدي ثوباً أبيض، فغنت أغنية خلت أنها تتحدث عن البياض، ثم سلطوا عليها الأضواء الحمراء، فبدت وهي واقفة في مكانها كأنما خرجت من ثيابها الأول، ولبست ثياباً أخرى حمراء، ثم بعد هنيهة سكتت، فانقلب الضوء أبيض كثوبها ناصع البياض، ثم استأنفت الغناء، فأرسلوا عليها نوراً أخضر، جعلها كأنما ترتدي ثوباً أخضر شديد الاخضرار، وهكذا دواليك حتى كادت تفنى الألوان.

وبعد ذلك جاء اللون المحبب وهو الإكروبات، وكان هذه المرة من الفتيات، فقفزن بخفة الفراشات، وتابعن الحركات والسكنات، حتى ضجت القاعة لهن بالتصفيق.

وبعدهن جاء دور الساحر، أو من يسمى بالساحر، وهو في الحقيقة ماهر، فأحضر منديلاً كان بيده، ونفضه أمام الناس، ثم طواه وأدخله كله في فمه، ثم أخرجه مرة أخرى ونفضه أمامهم، ثم لفه حتى جعله على شكل عصا فأوقفه على حاجبيه، فظل واقفاً فترة، ثم نقله من فوق حاجبيه وهو ملفوف، فجعله على رأسه مواصل الوقوف.

ثم اختفى الساحر بقدرة قادر، وجاء دور الغناء ثانية، فغنت لهم واحدة غير الأولى، وبعدها جاء دور الماهر، إذْ أحضر حلقات جعل يدخلها في رأسه ثم يدفعها بسرعة إلى ما بين يديه، وهو يخفضها ويرفعها، يكاد البصر لا يلاحق حركتها.

ثم تتابعت الفقرات حتى انقضت الساعتان المقررتان، وانتهى معهما العشاء، وأغلقوا المكان.

يوم الأحد ٣/ رجب/ ١٣٩٧هـ الموافق ١٩/ ٦/ ١٩٧٧م

جولة في تايبية:

اشتريت التذكرة من مكتب للسياحة في أسفل الفندق، وكان موعد المغادرة الساعة التاسعة صباحاً، وجاءت فتاة فأركبتني سيارة صغيرة تابعة لشركة السياحة، وذهبت إلى مركز الشركة، فوجدنا في انتظارنا جماعة من السياح، وبعد قليل أركبونا في حافلة صغيرة فيها (٢٨) كرسياً، كلها ممتلئة بالركاب، وكان دليل الجولة فتى صينياً، فكان يتكلم بثلاث لغات: الإنكليزية، والصينية، واليابانية، لأن الركاب خليط ممن يتكلمون اللغات الثلاث.

والمقرر أن تستغرق الجولة خمس ساعات كاملة، وبدأت بالمرور بشوارع رئيسية مستقيمة في مدينة تايبية، لا يشعر المرء فيها إلا أنه في مدينة أوربية لحسن تنظيمها، واستكمال أرصفتها وإشاراتها الضوئية، وكان يبين أسماء العمارات الكبيرة التي تخص البنوك والفنادق، وعندما مررنا بفندق (قراند هوتيل) قال: إنه فندق قديم، وقد مضى على إنشائه عشرون سنة، لأن تاريخ هذه الجزيرة العمراني الكبير حديث النشأة، وأول وقفة كانت أمام مكتب رئيس الجمهورية، رأيناه من الخارج وفيه آثار العمل في طلاء خارجه، وأمامه ميدان فسيح نشر فيه العلم الصيني، يأتي الناس فيأخذون لهم صوراً بجانب ذلك العلم، ويسمى الميدان (ميدان الرئاسة).

ومررنا بنهر عليه جسر، مقام على أحدث طراز، ثم مررنا بنهر آخر عريض، أظن أنه يساوي نصف نهر دجلة عند بغداد، عليه جسر أعظم من الأول، وقد لاحظت كثرة الجسور في هذه المدينة، مما يسهل عملية عبور السيارات في الشوارع، ومما يدل على عناية القائمين بها، وإخلاصهم في

بناء بلادهم.

وشملت الجولة مكاناً يسمى قصر المتحف، وهو ليس متحفاً عاماً، ولكنه قصر مبني على طراز صيني خالص وسط غابة في أحضان الجبال، أنشئ في عام ١٩٦٩م، وكأنه ليرى الناس أن الفن الصيني القديم باقٍ في هذه البلاد لم يتغير بألوانه الزاهية، وتماثيله المتميزة، وقبابه الغريبة بالنسبة إلى ذوقنا العربي الذي اعتاد على الخطوط المستقيمة لا المتعرجة، وبعد أن خرجنا من هذا القصر، وتجولنا في أبهائه، عدنا إلى السيارة، فوزع علينا المضيف فوطاً بيضاء مغموسة بماء الكولونيا، وموضوعة في أكياس من النايلون، يمسح بها المرء وجهه ويديه فتنعشه في هذا الجو المشبع بالرطوبة.

ثم انطلقت السيارة تجول بنا ضواحي المدينة في شوارع واسعة مستقيمة، وعمارات عالية، وأحياناً متوسطة، وترى تلك الضواحي وقد احتضنتها الجبال الخضر التي هي كأنها كلها غابة بين الغابات، ومررنا بنفق طويل داخل جبل مضاء إضاءة كاملة، كما يضاء أمثاله في أوربا، وهو أنظف من مثيله في مدينة طوكيو في اليابان.

ومن أغرب ما رأينا في هذا القصر أن رأينا جنوداً واقفين على مداخله، ولعمرو الحق لقد راجعت نفسي كثيراً أسألها: أهم جنود أحياء؟ أم تماثيل من الشمع أو نحوه؟ وكدت أجزم أنهم تماثيل، لأنه لا يتحرك منهم شيء، وقد وضع الواحد منهم يده اليمنى على بندقيته كأنما يتكئ عليها، والأخرى خلف ظهره، إلا أنني عندما فحصتهم وقربت منهم، ثم بعدت ثم قربت عرفت أنهم أحياء، لأن أجفان عيونهم تطرف في بعض الأحيان، وأمرهم عجب لم أشاهد مثله فيمن شاهدتهم في الدنيا، ولا أظن أن أحداً يستطيع أن يعمل مثل ذلك، ولكن الصينيين إذا أرادوا شيئاً حققوه بقوة الإرادة النفسية.

المتحف الأهلي الصيني:

دخلناه بصحبة الدليل فقال إنه أنشئ في عام ١٩٦٥م، فألفيناه كثير الغرف، متعدد المعروضات، ولكن أكثرها حديث العهد وقليل القيمة إذا قيس بالمتاحف الأخرى في العالم، وفيه وثائق بالصينية لا أعرف عنها شيئاً.

كما أنه يشتمل على رسوم تبين تاريخ الصين عامة، وتاريخ جزيرة تايوان (فرموزا) خاصة، وقد ركز الدليل على شرحها، إلا أن الناس كانوا ينفضون من حوله، لأنهم يريدون التجول أكثر في المتحف.

وقد أنشؤوه على الطريقة الصينية وسط غابة جميلة غاية في الروعة في أحضان جبل شاهق، لو شاء الرسام أن يرسم مثل خضرته لما استطاع، ولكنه صنع الله الذي استغله هؤلاء القوم فأحسنوا الاستغلال.

لذا كان المتحف في نظري لا يستحق الارتياد، وإنما يستحق ذلك هو موقعه الجميل، والتنسيق الذي فيه.

معبد الكونفوشيين:

هذا معبد صيني لاتباع مذهب كنفوشيوس المشهور، كان أول ما يلقاك منه غرفة في مدخله، فيها أشياء تباع تتعلق بهذه الديانة، لا أدري ما هي، وماذا يصنعون من مثل حقائب جلدية بقدر الكف وأصغر من ذلك، كالذي يوضع فيها الحرز، وأمشاط، وأشياء كالأقلام، وأدوية ملونة، رأيت بعض النساء اللواتي كن معنا في السيارة وفي السيارات الأخرى يشترين منها، ثم تجولنا فيه، فإذا به محاط بغرف فيها بعض القوم، وفيها بعض الصور والرسوم، وطلبت أن أرى القاعة الرئيسية، فأرونا إياها فإذا هي ليست بالكبيرة، فيها ثلاث آلات موسيقية، وليس فيها كراسٍ، وإنما فيها بعض التماثيل الملونة، ورسوم على جدرانها، أما سقفها فهو نصف

مقبب، أي: ليس قبة كاملة، وليس منسطحاً.

معبد البوذيين:

ومنه خرجنا إلى معبد عجيب غريب، أول ما رأينا فيه من العجائب أنه محاط بأطواق كبيرة مستديرة من الزهور المتلاصقة على شكل دوائر منتظمة، وهي دقيقة التنسيق، لا شك في أنها صعبة الصنع.

وعند المدخل أخذ النساء اللواتي معنا في السيارة من الصينيات يتعبدن لهذا المعبد، وذلك بأن تضم الواحدة منهن كفيها وترفعهما إلى وجهها، كما يفعل الهنود في تحيتهم، ثم تشتري من بائع المعبد شيئاً كالفنجان من الصيني، فترميه على الأرض فإن انكسر سارت وتركته، وفهمت أن ذلك يعني أنها أنهت عبادتها، وإن لم ينكسر عادت واشترت غيره وتعبدت، ثم أطلقته على بلاط المعبد حتى ينكسر.

ورأيت في غرف مستديرة محيطة به جماعة من الناس، أظن أنهم يتعبدون أو ينتظرون العبادة، ومنهم بعض الكهنة الذين أطلقوا شعر وجوههم كله، حتى الشاربان اختلط شعرهما بشعر اللحية.

وفي داخل المعبد أو القاعة الرئيسية فيه وفيما قرب منها من رواقات رأيت العجب العجاب، مما لم أجد كلمة تصفه إلا كلمة عامية هي (دناديش)، ففيه من الزهور الملونة والأوراق والأقمشة الفاقعة الألوان ما ملأ جدرانه، وعلق بسقوفه على أشكال مختلفة متعددة.

أما الزخارف فحدث عنها ولا حرج.

وأعتقد أنني لو بقيت فيه يوماً كاملاً أحاول أن أذكر تفاصيل تلك النقوش والزخارف والمعلقات والملصقات والمنصوبات والموضوعات على الجدران التي كل واحد منها هو عالم من النقوش والزخارف قائم بذاته،

لما استطعت.

ولكن ههنا أمر شككت فيه، وهو قول الدليل إن هذا معبد بوذي، ذلك بأنني قد دخلت معابد البوذيين في تايلاند منذ أربع سنوات، فلم أر فيها هذه الزخارف، مما يدل على أن الدليل مخطئ، أو أن البوذية في الصين غير البوذية في تايلاند، وقد سألت الدليل عن كيفية العبادة فيه فقال: لا أدري، وأنا نفسي لم أتعبد فيه طول حياتي، ومما زادني شكاً في كلامه أنني لم أر صورة بوذا في صدر المعبد، وهي أمر لازم له، بل هو يقوم عليها.

وقبل انتهاء هذه الجولة جاء بنا الدليل إلى محل كبير لبيع المصنوعات الصينية الوطنية من التحف أو الأشياء الخفيفة، كالخواتم والأساور والقلائد.

فاشتريت خاتماً عليه حجر أحمر، ولما رأته امرأة يابانية من رفقائنا في الجولة سألتني لمن اشتريت هذا الخاتم؟ فقلت: لزوجتي، ففتحت حقيبتها وأعطتني مروحة ورقية جميلة، وقالت: خذ هذه هدية مني لها. هذا مع العلم بأنني لم أعرفها من قبل إلا في هذه الجولة.

وبعد أن خرجنا من هذا المكان وركبنا السيارة، وكان الفراغ من الجولة قد أزف، صعد السيارة رجل معه صحون مغلفة بأغلفة من البلاستيك، ولدهشتنا وجدنا عليها صوراً لنا، ولا أدري كيف أخذها، ولا الطريقة التي نقشها بها على الصحون، وقال: إن ثمن كل صحن مع حامله مائة وخمسون دولاراً صينياً، أي أربعة دولارات أمريكية ونصف، ولم اشتر منه لا استكثاراً للمبلغ، وإنما لكونه يأخذ صور الركاب دون أن يستأذنهم.

وفي تمام الساعة الثانية بعد الظهر كانت السيارة توزعنا على

فنادقنا، وكانت جولة ممتعة اطلعت فيها على ما لم أكن أعلم من معالم هذه المدينة الجميلة (تايبيه) التي تستحق أن تكون (طايبة) من الطيب، لا تايبة من التباب الذي هو الخسران، هذا إذا أخذنا معنى اسمها بالعربية، وإلا فهو أعجمي بطبيعة الحال.

في جامع تايبة:

قبل غروب الشمس بساعة ونصف قصدت جامع تايبيه الواقع في حي تاهن من مدينة تايبيه، وقبل الوصول إليه رأيت كنيسة عليها رسم صليب، وكنت في تأملي لما أمر به من شوارع في هذه المدينة قد غفلت عن كوني قاصداً للمسجد، فقلت في نفسي: يا رب، أين مسجدنا في هذه البلاد؟ وما أسرع أن رأيته شامخ المنائر، عالي الشعائر، إذ هو لم يكن عن تلك الكنيسة ببعيد، يطالعك منه أول ما يطالعك منارتان أماميتان، عليهما هلالان كبيران، وهما شامخان، بل هما أعلى بناء في ذلك المكان، وبعدهما تأتي قبة كبيرة قد توسطت سقف المسجد، تشبه القباب العربية، وإلى الخلف منها قبتان أخريتان صغيرتان، وعلى القباب الثلاث ثلاثة أهلة ظاهرة، ذات شكل جميل يجعل المسلم في هذه البلاد يشعر بالأنس والبهجة.

ويتألف المسجد من المسجد الرئيسي للصلاة، وهو واسع جداً بالنسبة إلى هذه البلاد، وإلى جانبه من الخارج قاعة للاجتماعات، وقد رأيت فيها صفوفاً من الكراسي أمام مكاتب صغيرة، كالتي تكون في المدارس، وعلى الحائط سبورة منصوبة عليها كتابة باللغة الصينية، وكان الذي معي في هذه الجولة شاب لقيته في المسجد اسمه (يوسف ماه)، وقال: ماه تعني محمداً. وهو طالب في الجامعة، ويسكن مع عدد من الطلاب في المنزل بالمسجد، فقال: إن لدينا درساً دينياً كل صباح من يوم الأحد، يلقيه

الإمام، وهذا الذي رأيته هو درس هذا اليوم الأحد.

وسألته عن الإمام فقال: إنه (داود تين)، وإنه يعرف العربية قراءة، ولكن ربما يصعب عليه التكلم بها، وأنه غير موجود الآن في المسجد، وربما يحضر لصلاة المغرب، ولكن ذلك ليس بالمؤكد.

ثم واصلنا الجولة في ملحقات المسجد، ومنها مكتب، ومخازن، ثم المطبخ، وهناك وجدنا خمسة أشخاص من إخواننا المسلمين يتناولون طعام العشاء، ودعوني إلى مشاركتهم في الأكل، فأجبت لأنني بعيد عهد بأكل الحلال من اللحم، إلا أنهم بادروني فقالوا: إنه لا يوجد لحم، وإنما هو الخضار، وأشاروا إلى فتى منهم وقالوا: إنه هو الذي طبخ هذا الطعام، وكان ألواناً ملونة في أوانٍ يبلغ عددها سبعاً، ومع ذلك ليس فيه اللحم.

وغرفوا لي من القدر طعاماً أكثره المكرونة، أو شبيه بالمكرونة، ووضعوا عليه خضاراً لا أعرفه، ثم بصلاً مقطعاً مطبوخاً، وخضاراً آخر يشبه الباذنجان، وقالوا: أنت من محبي الفلفل الحار؟ فقلت: كلا، فوضعوا شيئاً كالصلصة عليه ليس بالحار، وإذا بالقصعة قد امتلأت، فأكلت طعاماً هنيئاً مريئاً حتى شبعت، وهو دسم رغم أنه ليس فيه لحم.

وسألتهم في هذه الأثناء عن أسمائهم، فإذا بها محمد، وعلي، وعبد الله، إلى جانبها أسماء صينية، وسألوني عن اسمي فأجبت بأنه محمد، ففرحوا بذلك، بل طربوا.

وعرفت من حالهم أنهم منذ مدة لم يأكلوا اللحم، فأخرجت عدداً من الدولارات الأمريكية وأعطيتها الطباخ، وقلت: أرجو أن تشتري بها لحماً تجعلونه في عشائكم غداً، وحاولوا أن يمتنعوا عن قبولها، بل امتنعوا، إلا أنني قلت لهم: أتمتنعون عن قبول ضيافة محمد؟ فقالوا: لا، وأخذوها شاكرين.

وسألتهم عن موعد صلاة المغرب ومتى يحين، لأن الجو كان غائماً؟ فقالوا: إنه عند الساعة السابعة، وإنه قد بقي عليه ساعة إلا ربعاً.

فقلت للأخ (يوسف ماه): إنني أريد أداء صلاة المغرب في المسجد، ولكنني أريد أن أمضي الوقت الباقي في التجول في هذا الحي (حي تاهن) من تايبيه، فقال: إنني سأرافقك.

وخرجنا من المسجد، وكانت السماء غائمة، والرطوبة ثقيلة، والهواء حاراً، فأعجبني تنظيم البلدية لشوارع ذلك الحي وأزقته، حتى إنني أجزم جزماً بأنها لا تقل عن مثيلاتها في المدن الأوربية المتقدمة، فهي كلها حتى الضيقة مسفلتة سفلتة جيدة، والأرصفة حديثة، حتى كأنما فرغ منها راصفوها اليوم، ومسايل المياه متوفرة في كل شارع وزقاق، لأن بلادهم تعتبر بلاداً مطيرة، وبخاصة في فصل الصيف.

وكانت المتاجر التي مررنا بها تحفل بالبضائع، وبخاصة الأثاث الذي قال الأخ يوسف ماه إنه كله من مصنوعات تايوان.

وكانت لافتات المتاجر كلها تكتب بالصينية، وأحياناً قليلة تكون معها الإنكليزية، أو أسفل منها، وبخاصة في المتاجر الكبيرة منها، أما المتوسطة والصغيرة فتكتب الصينية وحدها، وقابلنا مسلم اسمه (عبد الله ماه)، لا يعرف إلا الصينية، قال لي الأخ يوسف ماه: إنه الجزار الذي يذبح للمسلمين فيوفر لهم اللحم الحلال، لأنه لا تحل ذبيحة غير المسلمين في هذه البلاد، لأنهم ليسوا من أهل الكتاب.

ووجدت بائع فواكه على رصيف شارع خلفي، لديه من فواكه الصين الكثير، قد اجتمعت فيها فواكه البلاد الحارة مثل الباباي ويسمونه (بابايا)، والمانجو، ومن فواكه البلاد المعتدلة كالبطيخ الأخضر (الحبحب)، والبطيخ الأصفر (الشمام)، إلى جانب البرتقال واليوسفي،

وفواكه أخرى لا أعرفها ، وقد اشتريت بعضها لأعرف قيمتها وأتذوقها ، فكان مما اشتريت ست ثمار من ثمار المانجو صغيرة ، ولكنها جيدة الطعم، بستين دولاراً صينياً ، أي: حوالي ستة ريالات ، وثلاث برتقالات بستين دولاراً مثلها ، وثلاثاً من فاكهة يسمونها بير باثين وأربعين دولاراً صينياً ، وهي شبيهة بالتفاح، إلا أن لونها بين الرمادي والبرتقالي ، ولا أعرف لها مثيلاً في بلادنا العربية.

وهذه الأسعار كما ترى غالية ، مع أن البلاد خضراء ذات أمطار كثيفة ، وزراعة أشجار الفواكه لا تتعب في السقي.

وعدنا إلى المسجد قبل الأذان بدقائق ، وجعلت أتأمل بناءه فإذا به من الخارج محاط بأسوار من الحجارة السوداء المنقوشة ، وبخاصة أسطواناته التي عليها الأروقة ، وتحيط به حديقة صغيرة ، ولكنها منسقة أجمل تنسيق ، فيها حشائش وزهور ، بينها أشجار من أشجار الزينة.

ومكتوب على واجهته بحروف ذهبية كتابة بالصينية تحتها بالعربية ما نصه: (مسجد تايبة الجامع بالجمهورية الصينية) ، وتحتها مكتوب بالإنكليزية: (المسجد الكبير في تايبة).

وعلى جهة أخرى مكتوب بالصينية والعربية والإنكليزية ما نصه بالعربية: (مركز الجمعية الإسلامية في تايبيه).

أذن أحدهم لصلاة المغرب ، وكان لا يكاد يستطيع أن ينطق بالحروف العربية ، كما ينبغي أن تنطق ، وقد حضر القوم في المسجد ، فأقام الصلاة مباشرة إقامة كالأذان ، إلا أنه زاد فيها (قد قامت الصلاة-قد قامت الصلاة) ، وتقدم لإمامتنا رجل تبين بعد ذلك أنه جزار المسلمين (عبد

الله ماه)، وإذا به إلى جانب عمله في الجزارة ينوب عن الأيام في الصلاة، ولا أدري أهي نيابة عامة أم هي لهذا اليوم فقط، وكانت قراءته فيها ثقل إذ لا يستطيع اللسان الذي تعود على النطق بالكلمات الصينية أن ينطق بالعربية نطقاً سليماً إلا بعد مران طويل. وكان الجو داخل المسجد حاراً، إلا أن هناك (٦) مراوح، أشعلوا ثلاثاً منها، فكانت كافية لتبديد الرطوبة، ولتلطيف الجو، وصلى معنا سبعة أشخاص غيري وغير الإمام، وكان وداع هؤلاء الإخوة حاراً بعد أن طلبوا مني عنوان المراسلة.

هذا وقد بني المسجد عام ١٩٦٠م.

عرس صيني:

تلفت حوالي فندقي عسى أن أجد ما أنفق فيه جزءاً من مطلع هذه الليلة، فرأيت في الطابق الأول أضواء ساطعة، وأناساً يدخلون ويخرجون، وبينهم نساء قد أخذن زينتهن، فقربت من القاعة الكبيرة، وإذا فيها الناس على موائد متحلقون، وبينهم أطفال يمرحون، فعرفت أن ذلك لأمر خاص، ولكنني اقتربت من خارج الباب الذي عليه امرأة صينية كأنها ترحب بالداخلين، فسألتها لماذا هذا الاجتماع؟ فلم تعرف من الإنجليزية شيئاً، فأقبل رجل من داخل القاعة رآني وأنا واقف، فجاء إلي وقال: هذا عرس صيني، ولم يدعني للدخول، ولو دعاني لما استجبت بطبيعة الحال.

ولم أرهم من الخارج يفعلون شيئاً سوى أن المسرح عليه أضواء ملونة بهية على عادة الصينيين في حبهم للأضواء الباهرة والأنوار الساطعة.

يوم الإثنين ٤/ رجب/ ١٣٩٧هـ الموافق ٢٠/ ٦/ ١٩٧٧م

الجنس واللغة:

نحن في بلاد صينية، لذلك لا غرابة في أن تقول إن الناس هنا هم من الجنس الصيني، إلا أنه يمكن القول هنا إنهم يتألفون من فريقين: فريق هم أهل الجزيرة الأصلاء، وفريق هم من أهل البر الصيني الرئيسي، هجروه عندما استولى عليه الشيوعيون، أما الفريق الأول فهم أضعف أجساماً، وأكثر اصفراراً، وأقل وسامة. أما الثاني ففي أجسامهم قوة، وبعضهم أكثر بياضاً، وأوجه وجوهاً. ولا أدري عن اختلاف اللهجة بين الاثنين، فالجميع بالصينية يرطنون، وهي لغة عجيبة، تستغرب عندما يتكلمون كيف يتفاهمون، لا سيما إذا كان في ذهنك ما ذكره الكاتبون من أن اللغة الصينية فيها من الأصوات التي تقوم عندهم مقام الحروف، ألوف معها ألوف، وأنهم بعد عملية طويلة شاقة استطاعوا أن يختصروا ألوفها، فيجعلوا حروفها معها سبعة من الألوف لا تزيد.

وقد حاولت من باب المطايبة لأحد الصينيين الذين يعرفون الإنكليزية أن أعرف منه الأعداد بالصينية من واحد إلى عشرة، فإذا بها كلها مختصرة، تكاد تتألف من مقطع واحد مؤلف من حرف متحرك يليه حرف ساكن، وأقلها ما يكون من أكثر من ذلك، إلا أن الصعوبة هي في كيفية نطقها الذي هو أصوات لا يحسنها إلا القوم المدربون.

أما الكتابة الصينية، فهي لا تقل عجباً عن النطق الصيني، فهي إذا رأيتها لأول مرة وقد كتبوها نازلة من أعلى إلى أسفل ظننتها قافلة من العناكب متتابعة، أو خلتها سلسلة غير مترابطة الحلقات، متدلية من أعلى إلى أسفل.

وهي لغة قوية بلا شك، بدليل أنهم يعتمدونها في كل أنحاء الصين، ويعتمدون حروفها في غير الصين، مثل كوريا واليابان.

وغني عن القول أنها لغة قديمة، ذات آداب عريقة لأمة تكون من البشرية خمسها في العدد، وإن كانت في الوقت الحاضر لا تؤثر في الأحداث العالمية إلا بمقدار لا يتناسب مع هذا العدد، ولا يقرب منه.

أما ملامح الناس، فإنني إذا رأيتهم ذكرت نكتة قرأتها في الطبعة العربية لمجلة (ريدرز دايجست) الأمريكية، التي كانت تسمى (المختار)، وانقطع طبعها بعد حرب عام ١٩٦٧م، وهي قول أحد الأمريكيين لصديق له من الصينيين: إنني لأعجب كيف يعرف بعضكم بعضاً أيها الصينيون، فأنتم أمامنا متشابهون! وجواب الصيني له: أنتم أيضاً أيها الأمريكيون أمامنا متشابهون، ونعجب كيف تتعارفون. أما أنا فإنني والحق يقال: قلت في نفسي هذا القول: عندما كنت في كوريا، ورأيت القوم فيها يبدون أمام عيني متشابهين، ورددت هذا القول عندما رأيت الصينيين، ولا يمكن القول بأن ذلك شأن النظر إلى كل قوم غرباء عن الناظر، لأنني لم أشعر مثل هذا الشعور أمام الأجناس الأخرى، كالأوربيين والإفريقيين والهنود.

والصينيون الذين قابلتهم في هذه البلاد أقل مستوى في الذوق والتهذيب والآداب العامة من الكوريين، والشراب شائع فيهم، حتى إنني ركبت مع سائق سيارة أجرة، فأخذ يتفوه بكلمات لا معنى لها، لا يفعل مثل ذلك إلا المخمور أو المخبول، وركبت مع سيارة أخرى فطلب مني أن يتوقف لحظة، ثم دخل مشرباً، ولما عاد قال: لقد تناولت كأساً من البيرة.

كما أن النساء يلبسن اللباس القصير الذي هو فوق الركبتين بكثير، وهو لباس لم أشاهده في اليابان ولا في كوريا، هذا إلى أن نساءهم هن دون الكوريات في الجمال بمراحل.

والحقيقة أنهم إذا قورنوا بالكوريين، فإن المقارنة لن تكون في صالح الصينيين في هذه البلاد، أما اليابانيون فإنهم أمامهم بمراحل.

المسلمون في جزيرة تايوان[1]:

تايوان جزيرة صغيرة تقع (١٥٠)كم بعيدة عن ساحل جنوبي البر الصيني، وفي منتصف الطريق بين الفليبين واليابان، ومساحتها لا تزيد عن (٣٦.٠٠٠) كيلومتر مربع، أرضها طيبة، وتربتها خصبة، غزيرة الأمطار، وبين الجبال الشاهقة والأودية العميقة تتدفق مياه الأنهار، وعلى تلالها وهضباتها تكثر الأشجار الخضراء، وتزهو الأزهار، وفي سهولها مزارع الأرز والحبوب والخضروات، وفي حدائقها الغناء تتدلى الفواكه والأثمار، فمنتجات أرضها الطيبة تكفي لسد حاجيات السكان البالغ عددهم الآن أكثر من (١٧) مليون نسمة.

كانت هذه الجزيرة تحت سيطرة اليابان أكثر من خمسين سنة، فردت إلى حضانة الصين الأم عام ١٩٤٥م بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، وانتصرت الصين على اليابان، وكانت حكومة الصين الوطنية تحلم بأن تبقى أقوى دولة في الشرق الأقصى، غير أن الشيوعيين الصينيين الذين ساعدهم الاتحاد السوفيتي على منازعة الوطنيين، وزودهم بالأسلحة والمعدات للسيطرة على الصين، قد نجحوا في الاستيلاء على السلطة في بكين، بعد أن استولوا على جميع أرجاء الصين الواسعة من سنكيانج إلى هاينان، ومن خيلونكيانج إلى حدود بورما والهند، حدث هذا في أواخر عام ١٩٤٩م، فلم يبق عندئذ للوطنيين غير الانسحاب إلى جزيرة تايوان، واتخذت تايبيه عاصمة مؤقتة لهم، على أمل أن تعود أرض

---

(١) بحث مستل من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة. وهوبقلم بدر الدين ولي جماية.

الصين الأم يوماً ما من أيام المستقبل القريب، وفي هذه الجزيرة بدأت حكومة الصين الوطنية بإعادة تنظيم أجهزتها، وصممت على العمل على أساس (المبادئ الثلاثة للشعب - وهي الوطنية والديمقراطية ورفاهية الشعب) بكل جهد وإخلاص ويقظة، فقامت باستتباب الأمن والاستقرار، وتحسين المعيشة، وتعميم العدل والمساواة بين المواطنين، كما قامت بتنفيذ مشروع (المزارع للمزارعين)، يليه مشروع (المساكن للساكنين)، وقررت بتساوي المواطنين أمام الدستور والقانون والعدالة، بدون تفريق ولا تمييز بين لون ولون، وبين جنس وجنس. فللمواطن حق العمل والتعبير، وحرية تامة للعقيدة والعبادة، ومزاولة الشعائر الدينية، والحكومة لا تتدخل في أمورهم، شريطة ألا تتنافى نشاطاتهم مع سياسة الجمهورية الصينية العليا، وهي الوطن فوق الجميع كما يقولون، والشيوعية عدو الوطنية، وعدو الدين والتقاليد الصينية الموروثة، يجب أن يحاربها كل مواطن إلى أخر رمق.

نسبة اتباع الأديان المعترف بها في تايوان:

من بين مجموع سكان تايوان البالغين (١٧) مليون نسمة أو أكثر، يوجد حوالي (٨) ملايين من البوذيين، ولهم (٢٥٠٠) معبد، و(٧٥٠٠) راهب وراهبة في أنحاء تايوان، كما لهم جمعية بوذية في كل بلدة وقرية داخل الجزيرة، وجمعيات لما وراء البحار، حيث يوجد عدد من البوذيين بين الصينيين المغتربين، كما لهم مدارس مختلفة، ومعاهد عالية للدراسات البوذية. وفي مدينة (تشانج هو) يوجد أكبر تمثال لبوذا، يذهب إليه البوذيون في اليوم الثامن من الشهر الرابع من كل عام قمري.

ومن بين سكان تايوان من يتبع الطاوية، وهي نوع من فلسفة الحياة التي يحسبها الصينيون في زمرة الأديان، وهي في الحقيقة ليست من الدين

في شيء، لعدم إيمانهم بالبعث واليوم الآخر، وأما أصحاب الطووية فيتخذونها طريقاً لممارسة الحياة السليمة بين طبقات الناس، ومؤسسها كان أحد حكماء الصين السالفين يسمى (لوتز)، واتباع هذه النحلة في تايوان كثيرون، لهم (٢٠٠٠) معبد في تايوان، يعبدون فيها (هوان تيان شانتى) أي الإمبراطور السمائي الأعلى، وطقوسهم تشبه عبادة الطبيعة أكثر من عبادة الأوثان والأصنام.

وعلاوة على الطاوية فالصينيون في تايوان يشيدون معابد في كثير من مدن الجزيرة للحكيم كنفوشيوس، يضعون فيها تماثله، ويقدمون أمام تماثيله النذور والضحايا، وأتباع الكانفوشية أيضاً كثير، ومن المتصور أن كل صيني يتحدث عن سمو الأخلاق والقيم المعنوية والسلوك الحسن ينتمي إلى الكنفوشية سلوكاً وحياة، وهؤلاء يوجدون بين أتباع الأديان الأخرى، مثل البوذية والطووية والمسيحية، لأن فلسفة كنفوشيوس لا تتنافى مع تعاليم الأديان المذكورة، ويقول الصينيون المسلمون: إن المبادئ الخلقية في فلسفة كنفوشيوس وتعاليمه تتفق مع بعض ما عند المسلمين من مكارم الأخلاق، ومحاسن الخصال في معاملة الناس في هذه الحياة الدنيا. أما الأمور المتعلقة بيوم البعث والآخرة فيمتاز بها المسلمون.

أما المسيحية فالطائفة **الكاثوليكية** منها دخلت تايوان عن طريق مانيلا عام ١٦٢٦م، وقد وصل عددهم إلى أكثر من ثلاثمائة (٣٠٠) ألف مسيحي على المذهب الكاثوليكي، ولهم (٨٩٤) كنيسة، و(٤٩) مجلساً، كما لهم (٢٦) مستشفى، و(٩٤) مستوصفاً، و(٣٦٢) مدرسة ابتدائية وروضة للأطفال، و(١٣) مدرسة فنية ومهنية، والتعليم فيها مجاني، وجامعة واحدة، و(٣) معاهد عالية، و(٥) معاهد ثانوية، وهم يطبعون الكتب والنشرات باللغة الصينية والإنكليزية، وتوزع في كل بيت، والمرافق العامة والفنادق والمستشفيات ودور المطالعة وأندية الشبان

والشابات.

البروتستانتية: دخلت تايوان عام ١٨٦٥م، وأما الآن فيوجد فيها (٥٠٠٠٠٠) بروتستانتياً ينقسمون إلى فئات فرعية موزعة في أنحاء الجزيرة على (٣٠٠٠) كنيسة بروتستانتية.

عدد المسلمين ومساجدهم في تايوان:

من بين هذا الحشد الكبير من البوذيين والمسيحيين والطاويين والوثنيين عابدي الأصنام والتماثيل والأوثان، جماعة صغيرة من المسلمين في تايوان اليوم، وهم في الواقع من المهاجرين من البر الصيني الذي استولى عليه الشيوعيون في عام ١٩٤٩، وفي تلك السنة نقلت حكومة الصين الوطنية مقرها إلى تايبية عاصمة تايوان، ومع انتقال الحكومة انتقل بعض المسلمين قبل ذلك العام أو بعده من الذين ساعدهم الحظ على ذلك، فتمكنوا من الهروب من طغيان الحكم الشيوعي بالصين إلى تايوان، واستقروا فيها.

كان هناك مسلمون قبل ١٩٤٩ لكنهم اندمجوا في أهالي الجزيرة:

وإذا سئل هؤلاء: هل كان هناك مسلمون قبل تلك السنة؟ فالجواب يكون في الجانب الإيجابي، مؤكداً بالواقع التاريخي، ويعتقد الناس على وجه عام أن المسلمين وصلوا تايوان في زمن الجنرال تشينج تشنج مونج أحد القواد الصينيين، لما ذهب إلى تايوان لطرد الهولنديين منها في القرن السابع عشر الميلادي، فذهب مع جنوده عدد من المسلمين من سواحل جنوبي الصين، مثل فوكين وكانتون أو هانيان، واستوطنوا فيها، غير أنهم لم يتركوا فيها أثراً يذكر، ثم جاء اليابانيون وبسطوا سيطرتهم على الجزيرة، التي استغرقت أكثر من خمسين سنة حتى نهاية الحرب العالمية

الثانيـة (١٩٤٥)، وعندئـذ أعيـدت تـايوان إلى الصـين الأم نتيجـة لانتصـار الصين الوطنية على اليابان في نهاية الحرب المريرة.

خلال الحكم الياباني منع الأهـالي مـن الاتصـال بـالمواطنين في أرض الصين الأم، فبقي المسلمون مثل إخوانهم في الوطن منعزلين عن إخوانهم في الدين بالبر الصيني، وبانقطـاع الصـلات بـين المسـلمين في الجزيـرة وبـين المسـلمين في بـراري الصـين ذابـوا في المجتمـع التـايواني مـن ناحيـة الحيـاة الاجتماعية والعادات والتقاليد.

غير أن هنـاك جماعـة مـن النـاس في مدينـة لوكـانج معروفـة بأسـرة (كيو)، وعددهـم يزيـد عـن (٥٠٠٠٠) نسـمة يقولـون إن آبـاءهم وأجدادهـم كانوا مسلمين، بدليل أن معظم أفـراد هـذه العائلـة يمتنعـون مـن أكـل لحـوم الخنزير، ويتجنبونه في أكثر المناسبات.

لقد قال أحد الشبان من أسرة (كيو) المشار إليها بأن أجداده وأجداد عائلـة (كيـو) في قريتـه والقـرى حـول قريتـه، كـانوا مـن المسـلمين، وأفـراد هـذه الأسـرة حتـى الآن يتجنبـون أكـل لحـوم الخـنزير، ولذلـك يسـخر التايوانيوان الآخرون، ويسألونهم لماذا يمتنعون من أكل لحوم الخنزير؟ فلا يجدون جواباً إلا بأن يقولوا إنهم يمتنعون احتراماً لأجدادهـم، كمـا قـال إن عدد أفراد العائلة يزيد عن خمسين ألفاً على أقل التقدير، ويود أن يرسل إليهم داعية للإسلام ليشرح لهم لماذا يحرم المسلمون أكل لحوم الخنزير.

ومـن كـلام هـذا الشـاب نفـهم أن هنـاك فرصـة طيبـة لاسـتعادة أفـراد أسرة (كيو) إلى حظيرة الإسـلام إذا كـان لـدى المسلمين في تـايوان تنظيـم قوى مدعم بالوسـائل الكـافيـة اللازمـة لنشـر الديـن الإسـلامي بـين طبقـات النـاس في تايوان على وجه عام، وبين أسرة (كيو) على وجه خـاص، وذلـك لا يمكـن إلا بتقويـة الجمعيـة الإسـلامية في الجمهوريـة الصينيـة بالدعـاة

المؤهلين، وتجهيزها بما تحتاج إليه من الوسائل واللوازم.

وأما عدد المسلمين في تايوان فقيل أربعون ألفاً، والحقيقة أن الحكومة لم تجر إحصاءات، كما أن المسلمين أنفسهم لم يقوموا بتسجيل عددهم تسجيلاً دقيقاً.

والمسلمون موزعون على مجموعات، وكل جماعة لها مسجد واحد، وهذه الجماعات موزعة في المدن الآتية: جماعتان في تايبيه عاصمة تايوان، وجماعة في كاوتشونغ بجنوب تايوان، وجماعة رابعة في تايتشرونج بتايوان الوسطى، وجماعة خامسة في تشونج لي بين تايوان الوسطى وتايبيه.

وفي تايبية مسجدان: أحدهما جامع تايبيه، وهو أكبر المساجد، قائم بمظهره وجلاله على جادة (الحياة الجديدة) بوسط أحياء تايبيه، وهو المسجد الذي صلى فيه الملك فيصل عام ١٩٧٢ غفر الله له، كما زاره وفد رابطة العالم الإسلامي برئاسة معالي الشيخ محمد الحركان، وخطب فيه وأم وصلى بالمسلمين صلاة الجمعة.

وعادة يحضر هذا المسجد أيام الجمعة نحو (٢٠٠) مصلٍ، وأما في أيام العيدين فيتجاوز عددهم ثمانمائة مصلٍ.

ومسجد آخر في تايبية هو مسجد الثقافة، يتولى أموره الحاج إسحاق شياو يونج تاى، وفي أيام الجمعة يحضره عادة خمسون مصلياً، وأما في العيدين فيصل عددهم مائتين أو يزيد قليلاً. وفي مسجد تايتشونج يحضر نحو (٣٠٠) مصلٍ أيام العيدين، وفي مسجد كاوهسيونج نحو (٦٠)مصلياً في أيام الجمعة، ونحو (٣٥٠) أيام العيدين، وفي مسجد تشونج لي نحو (٣٠) مصلياً أيام الجمعة، وفي أيام العيد نحو (٢٠٠) أو أكثر قليلاً.

فمجموع المصلين أيام العيد في هذه المساجد الخمسة لا يتجاوز ألفين (٢٠٠٠) مصلٍ.

ولنفرض أن مثل هذا العدد من النساء والأطفال والغائبين خارج البلاد لم يستطيعوا أن يحضروا، ويقدر مجموع عدد المسلمين في تايوان بما بين أربعين ألفاً إلى خمسين ألفاً.

أكابر المسلمين الذين نزحوا من الصين الأم إلى تايوان:

كان من الذين نزحوا إلى جزيرة تايوان بعض كبار المسلمين الذين كونوا نواة الجماعات المسلمة الخمس الموجودة الآن في تايوان، ومنهم الجنرال عمر باي تشونج هسى، وكان وزيراً للحرب في حكومة الصين الوطنية، ورئيس أركان الجيش في القوات المسلحة الصينية، وكان له سجال مع الشيوعيين الصينيين قبل استيلائهم على البر الصيني كله، وبعدما هاجر إلى تايوان أخذ زمام رئاسة الجمعية الإسلامية الصينية في يده لجمع شتات المسلمين في هذه الجمعية من جهة، ولمساعدة حكومة الصين الوطنية من جهة أخرى في هذه المحنة العظيمة، فوفق في توثيق عرى المسلمين، وتقوية أوضاعهم مع مرور الزمن، وقد توفي رحمه الله في عام ١٩٦٧م.

ومنهم السيد يالبارزخان حاكم مقاطعة سنكيانج سابقاً، وبعد هجرته إلى تايوان أثبتته الحكومة في المنصب نفسه لإدارة شؤون تتعلق بمقاطعة سنكيانج، ولو في نطاق ضيق، وبعد وفاته عين ابنه يعقوب خان محله لاستمرار التصرف في شؤون سنكيانج وما يتعلق باللاجئين منها إلى تايوان، أو إلى البلدان الأخرى من العالم.

ومنهم السيد حسين مابوفانج. لقد فر مع أسرته وبعض أقربائه من ولاية تشنقهاي التي كان حاكماً عليها إلى مصر عن طريق المملكة، ومكث في مصر مدة، ثم هاجر إلى المملكة نهائياً، وحصل على الإقامة فيها بواسطة معالي الشيخ المرحوم محمد سرور الصبان، فاشترى بيتاً في

منطقة الكندرة بجدة، وزاول التجارة لإعاشة عائلته.

وقد اشتهر بتدينه بين الجيران ومن اتصل به من أهل المملكة، ثم عين سفيراً للجمهورية الصينية لدى المملكة العربية السعودية عام ١٩٥٨، وتوفي رحمه الله عام ١٩٧٦ تاركاً ولده نور ماتشي يوان مستشاراً في الشؤون العسكرية لدى رئاسة الجمهورية الصينية، وحفيده علاء الدين حسين ماشياو تشوان في المملكة، وقد تخرج في جامعة الملك عبد العزيز في الاقتصاد والإدارة، وحصل على الجنسية السعودية، وأصبح الآن من رجال الأعمال الناجحين في جدة.

ومن بين القواد الكبار الذين هربوا من الطغيان الشيوعي الجنرال عماد الدين ماهونغ كوى، وقد كان حاكماً على ولاية نينج تشا بغربي الصين، وأغلبية سكان ولايته كانوا مسلمين، فلجأ إلى أمريكا، واستوطن فيها، وترك أولاده هناك وتوفي في سنة ١٩٧٢م.

ومنهم الجنرال ماتشين هسانج، وقد كان قائد الحامية في سنكيانج، فهرب مع أتباعه المقربين أولاً إلى الهند في شتاء ١٩٤٩ عبر جبال هملايا، إذ كان الشيوعيون الذين استولوا على الحكم في سنكيانج، خيروه بين الاستسلام للسلطة الشيوعية بإلقاء السلاح والتوقف عن المقاومة، وإما أن يفر بحياته مع من يرغب، وقد وصل إلى تايوان حيث مقر حكومة الجمهورية الصينية، وعين قائداً لحامية جزر بانهو الساحلية، واستمر في هذا المنصب مدة حتى تقاعد، كما يوجد في تايوان بعض الضباط المتقاعدين من المسلمين، بعضهم قد توفوا، وبعضهم مازالوا يعيشون فيها عيشة مرضية.

وهناك عدد من المسلمين غير أولئك الذين ذكرناهم آنفاً، وهم من أعضاء المجلس التشريعي، أو من مجلس الرقابة، أو من مجلس الأمة، وقد

كان من هؤلاء صالح صون، وكان له نشاط ملموس في خدمة الإسلام في تايوان، وقد انضم إلى رابطة العالم الإسلامي عضواً تأسيسياً فيها، وبعد وفاته في ١٩٧٥م أصبحت عضوية مسلمي الصين في المجلس التأسيسي للرابطة حتى اليوم للحاج داود تينج، وهو عضو الجمعية الإسلامية الصينية، وهي أهم وأشهر جمعية إسلامية في الصين الوطنية.

ومنهم المرحوم السيد خالد شيه تزتشيو، وقد كان مستشاراً في الديوان الرئاسي، وترأس لجنة الترجمة لمعاني القرآن باللغة الصينية، فانتهى من عمله، وطبعت الترجمة، وتوزع على من يطلبها من المسلمين وغير المسلمين مجاناً. مع أنها غير سليمة، وتحتاج إلى المراجعة الدقيقة وإعادة النظر فيها من قبل المؤهلين في اللغة العربية واللغة الصينية والمعلومات الدينية والعلوم المعاصرة الواسعة.

ومن الذين هاجروا إلى تايوان فبل ٣٠ أو ٣٥ عاماً الحاجة عائشة تونج تاو يونج، وزوجها الشيخ ميشا نفانج، وقد كان مديراً عاماً للمالية في مجلس الوزراء، وأما الحاجة عائشة فهي عضو في المجلس التشريعي، لقد قاما بخدمة إسلامية جليلة للمسلمين في تايوان.

ومن المهاجرين المسلمين إلى تايوان السيد أحمد شيم سونج تاو، وحكمت مامنتاو، الأول أستاذ في إحدى الجامعات، وكان أحد المؤسسين لدار المعلمين شندا الإسلامية في بكين في الثلاثينات، قبل السيطرة الشيوعية على الصين بعشرين سنة تقريباً، ويكتب مقالات عن تاريخ الإسلام وأوضاع المسلمين في جنوب شرقي آسيا والشرق الأوسط من حين لآخر، كما أنه عضو عامل في الجمعية الإسلامية الصينية، وأما الثاني فهو حكمت مامنتاو، وهو أيضاً أستاذ في جامعة تشينج تشي الوطنية في معهد اللغات الشرقية، واختصاصه اللغة التركية.

وهو من مواليد بكين، وكان أبوه صاحب مكتبة لنشر العلوم الإسلامية في بكين التي كان فيها (٥٠) مسجداً، ومدارس إسلامية تلتحق بالمساجد، وكانت المكتبة تعتبر من أكبر المكتبات الإسلامية في الصين كلها قبل استيلاء الشيوعيين، ولكن هذه المكتبة خربت، وأحرقت الكتب بأيدي الشيوعيين.

وقد عكف الأستاذ حكمت مامنتاو على دراسة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بواسطة اللغات التي يعرفها، مثل اللغة التركية والإنكليزية وقليل من اللغة العربية، ونتيجة لذلك أخرج كتابين؛ أحدهما يسمى أحكام الإسلام السمحاء، والثاني دراسات في العلوم الأساسية، وقد نال هذان الكتابان - وهما باللغة الصينية - الإعجاب والتقدير من قراء المسلمين، ومن المثقفين غير المسلمين في الجمهورية الصينية.

إلى هونغ كونغ

من تايبية إلى هونغ كونغ:

خرجت إلى مطار تايبية على أمل السفر إلى هونغ كونغ مع طائرة الخطوط الجوية الصينية، ولم أكن حجزت قبل ذلك، إذْ لم يوفر الفندق هذه الخدمة لنزلائه، وإنما اتصل بالشركة وقال: الموظف المسؤول غير موجود فيحسن أن تذهب بسيارة أجرة إليهم، فقلت: لا، أذهب إلى المطار، وإذا لم تتيسر لي الرحلة الأولى التي تقوم في الثانية عشرة أذهب مع الرحلة الثانية التي تبدأ في الواحدة والنصف، أي بعد ساعة ونصف، ولن أفلس من إحدى الرحلتين بإذن الله.

وهكذا غادرت الفندق إلى المطار، وعندما وصلت المطار وجدت ازدحاماً كثيراً فيه، ورأيت الأستاذ خالد الحمدان فيه يحاول أن يركب في هذه الطائرة، ولكنهم أفهموه أنها مليئة، وأنه لا بد من أن ينتظر إلى الرحلة الثانية، وقال لي: الظاهر أنك لا بد من أن تنتظر، ولكني قلت: سأحاول ولا ضير في ذلك.

ووقفت في طابور من الركاب، حاول بعض من كانوا بعدي أن يتقدموني، ولكنني أبديت احتجاجي على ذلك وقلت: يجب عليكم أن تحترموا حق من كان قبلكم، فخجلوا وتأخروا، وكان خمسة من الركاب أعطوا تذاكرهم وجوازاتهم لأحدهم، وحملوه على أن يتقدم، ولو تم ذلك لانقضى جزء من الوقت الباقي على قيام الطائرة، وهو قليل، قبل أن يصلني الدور.

وعندما وصلني الدور نظرت الموظفة إلى جوازي، وهو جواز خاص، فأسرعت تطلب مني دفع رسم المغادرة، وقدره مائة وخمسون دولاراً صينياً، وهو أقل قليلاً من أربعة دولارات أمريكية، وطلبت مني وضع حقيبتي في الميزان، وخشية من أن تغتر هي، أو يكون في الأمر لبس، أفهمتها بصراحة

أنه ليس لي حجز، فقالت: أعرف ذلك، ثم أضافت اسمي إلى أسماء المسافرين، وطلبت منها أن تضعني بجانب نافذة من نوافذ الطائرة، لأن ذلك يمكنني من أن أشاهد الأرض عند التحليق والهبوط، فقالت: لك ذلك.

وسرت من عندها فرحاً، ومررت مع غيري من الركاب بحاجز التفتيش المعتاد، ولم يفتحوا حقيبتي اليدوية، ونسيت أن أقول إنهم فتحوا الحقائب الكبيرة لجميع الركاب قبل السفر، ومنها حقيبتي وفتشوها تفتيشاً صورياً، أما الآخرون فقد رأيتهم يشددون التفتيش عليهم، حتى النساء الأوربيات، ولا أدري عماذا يفتشون.

وقصدت البوابة المعينة لرحلتنا أعدو حذراً من فوات الوقت المقرر الذي قارب أن يفوت، ولكنني لم أر البوابة مفتوحة، ولم أر حولها من يتولى شرح الأمر، وسألت موظفاً في هذه الشركة فقال: إن الرحلة ستتأخر بضع دقائق، ويمكنك أن تنتظر عند البوابة حتى يعلنوا عن الرحيل.

وبعد الوقت المقرر بثلث ساعة نادونا، فخرجنا إلى حافلات واقفة في الساحة الداخلية من المطار، وكان المطر يهطل، والسماء قد اسودت من كثافة الغيوم، وبين الحافلة وسلم الطائرة كان هناك سلم مغطى أعلاه عن المطر، إلا أنه لم يكن يتسع للركاب مجتمعين، فكانوا يرسلون واحداً تلو الآخر.

وفي تمام الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً تحركت الطائرة متأخرة نصف ساعة.

وكانت جميع مقاعدها مليئة بدون استثناء بالركاب، مع أنها طائرة صغيرة بالنسبة إلى الطائرات العملاقة التي اعتدنا أن نطير عليها طوال هذه الرحلات، إذ هي من طراز (بوينغ ٧٣٧) ذات المحركين الاثنين.

وكان المضيفان فتى وفتاتين من الصينيين، كانت خدمتهم جيدة، أما الطعام فقد جاؤوا به في علب من الورق المقوى، مما ذكرني بالطعام الذي كانت الخطوط السعودية تقدمه على طائراتها غير النفاثة، وفتحت العلبة فإذا بها طعام كثير، وإذا باللحم أربعة أنواع، فشريحة من الدجاج، معها قطعتان من لحم البقر، وإلى جانب ذلك ثلاث من الجمبري الجيد، وقطعة من لحم السمك المقلي، وأكلت السمك والجمبري، ولم آكل اللحم، لأن القوم ليسوا بكتابيين.

وكانوا قد أعلنوا أن الطيران إلى هونغ كونغ سيستغرق ساعة وخمساً وثلاثين دقيقة، وبينما كانوا يقدمون الطعام كانت الطائرة تسبح في لجج بيض من السحاب المتكاثف، وكانت تضطرب وتنتفض، وترتفع وتنخفض، فأوقف المضيفون الخدمة، ولزموا مقاعدهم، وكان الطيار قد أضاء إشارة ربط الحزام، وأمسك كل منا بطعامه لئلا يسقط من أمامه.

وداخلني الخوف من هذا الاضطراب الذي لم أعرف له نظيراً منذ سنوات، ودعوت الله أن يحفظنا وينجينا، وطرأت على ذهني صورة من كانوا من السابقين في العصور القديمة يبحرون في لجج هذا البحر الصيني المسمى البحر الأصفر الذي تحتنا، وكيف أنه ليس بيننا وبينهم فرق الآن في الخوف.

إلا أن الله سبحانه وتعالى لطف فأسرع الفرج، فهدأ روع الطائرة قليلاً، وكانت علامة ذلك أن المضيفين عادوا إلى الخدمة ثانية، وأرجعت سبب الاضطراب إلى تكاثف السحب مع صغر حجم الطائرة نسبياً، بحيث لا تستطيع مقاومتها مقاومة كاملة، ولا تستطيع أن تعلو عليها، وبعد أن تدنت الطائرة قرب هونج كونج، وكانت تطير على البحر، بدت لنا بعض الجزر الجبلية الصغيرة في البحر، وهي خضراء مكسوة بالأشجار.

مطار هونج كونج:

قاربت الطائرة أن تهبط في المطار وأنا أرقب (هونغ كونغ) من النافذة، فإذا بمنظرها عجب لم أكن أتصوره من قبل، لأنها ميناء في خليج صغير تحاصره الجبال العالية المجللة بالخضرة القاتمة، وتنتصب تحت أقدامها العمارات الشاهقة المتجاورة التي تشعرك كأنك قادم إلى مدينة أمريكية، إلا أن المدن الأمريكية قد أخذت تباعد ما بين العمارات الشاهقة التماساً للكفاية من الهواء النقي لسكانها، ولذلك يمكن القول بأن هونغ كونغ في الحقيقة: جبل وبحر، بدون سهل، إلا أنهم استعاضوا عن ذلك بالسماء يرفعون إليها أبنيتهم، حتى ربما نقول إنه لا توجد مدينة في العالم تماثل هونغ كونغ في كونها تتألف كل مساكنها، أو أكبر نسبة من مساكنها من العمارات الكبيرة ذات الشقق الكبيرة، وليس من البيوت المنفردة ذات الطابق أو الطابقين التي أخذ العالم الحديث في البلاد المنفسحة في أوربا وأمريكا، يميل إليها ويفضلها على الشقق المشتركة في العمارات.

وحاولت أن التمس بنظري موطئ قدم للطائرة في هذه البلاد التي يلتصق فيها الجبل بالبحر، فإذا بي أراه ضيقاً، أشفقت على طائرتنا من الهبوط فيه، إلا أنها هبطت ووجدت فيه عدداً من الطائرات العملاقة ولمحركاتها ضجيج لضيق ساحات المطار.

ويقع المطار في كولون التي هي منعزلة عن جزيرة هونغ كونغ بعازل من ماء البحر الضيق، أقاموا فوقه أسطولاً من العمارات، وتحته نفق لمرور السيارات، وعندما نزلنا من باب الطائرة إلى حافلة قريبة، قابلنا الهواء الحار الرطب الذي كنا نعهده في بلادنا الساحلية في الصيف، وأقرب جو إليه هو جو بيروت في الصيف، إلا أن جو بيروت يكون حاراً في النهار

ويطيب قبل الغروب.

ودخلنا البناية الرئيسية، فوجدنا التعليمات واللافتات في المطار مكتوبة باللغتين الصينية والإنكليزية.

ولم يكن في جوازي سمة دخول إلى هونغ كونغ، وكان الذين في مكاتب الجوازات ستة أشخاص هم ثلاثة رجال وثلاث نساء، وكلهم قد لبسوا نظارات دقيقة الأطر متماثلة، مما جعلني أتساءل عما إذا كانت السلطة قد أعطتها لهم ليستعينوا بها على فحص التفاصيل الدقيقة في الوثائق التي يحملها المسافرون، وأستبعد أن يكون ذلك جرى بالمصادفة.

وقصدت ضابطاً استسمحت وجهه، وكأن شكله شكل الهجين الذي هو من أصلين: صيني وأوربي، ولم يخيب ظني، وإنما قال بعد أن فحص الجواز: كم ستقيم في هذه البلاد؟ قلت: يومان، فختم على الجواز بالإقامة لمدة سبعة أيام، وتجاوزته بمنتهى السهولة.

وفي الجمرك رأيتهم قد أقاموا للتفتيش منصات محدودبة الظهر، أول من رأيت استعملها الأمريكيون، يضع المسافر على طرفها الأدنى إليه حقيبته، فإذا انتهى الضابط إليه حرك زراً بيده، فسارت الحقيبة حتى توازيه. ورأيتهم يفتشون الناس تفتيشاً دقيقاً، ولا يسمحون بتجاوز أية حقيبة دون تفتيش، ولم يكن معي ما أخشى عليه من التفتيش إلا ساعات اشتريتها من طوكيو هدايا للأولاد وبعض الأقارب، لا أريد أن تنزع عنها أختامها، إلا أن فتح الحقائب وإغلاقها أمر غير محبب للمسافر.

وقصدت إحدى الضابطات المفتشات، وقد عودتني التجارب أن المرأة أحسن معاملة لي من الرجل، ورأيتها فتشت نفراً من الأوربيين قبلي تفتيشاً دقيقاً، فأخرجت المفاتيح من جيبي موقناً بالتفتيش، ولكن عندما وصلني الدور نظرت إليّ المفتشة وقالت دون أن تنظر إلى جوازي: اذهب. فلم

أصدق، فتلكأت، فقالت: أسرع بالذهاب. وأسرعت ولا أدري الذي حملها على عدم التفتيش.

ومن عندها خرجت إلى القاعة التي تفضي إلى خارج المطار، فقصدت لافتة كتب عليها عبارة ((خدمات، استعلامات، وحجز الفنادق دون مقابل))، وكان عندها فتاتان، كلمتني إحداهما بطريقة جافة لم أستطع تعليلها إلا بعد أن عرفت أحوال الناس في هذه البلاد، وهي أن الناس في اللطف وحسن المعاملة دون أهالي اليابان والكوريين بمراحل، وهم دون الصينيين الوطنيين بمرحلة، ولعل ذلك من أثر الجو الحار الذي يؤثر على الأعصاب، أو من أثر معاناتهم لأناس غير مهذبين في تعاملهم.

واخترت فندق (هونغ كونغ) في كولون، وقامت الفتاة على جفائها بخدمة كبيرة، إذ أتمت الحجز بالهاتف، وأعطتني ورقة برقم الغرفة وخارطة لهونغ كونغ، ثم قامت وقالت: تعال معي حتى نبحث عن مندوب هذا الفندق في المطار، حتى أسلمك إليه لينقلك بسيارة الفندق دون مقابل، وكانت تعمل ذلك وهي مقطبة الأسارير.

ووجدناه فتى عليه زي خاص، فقادني إلى سيارة صغيرة من صنع (مرسيدس بنز) مكيفة الهواء، ركبت فيها مع اثنين من الأوربيين، وتحركت بنا في طريق قصير أوصلنا إلى الفندق.

هونغ كونغ:

في الطريق رأيت البلاد، وعليها أمارات الازدهار الاقتصادي، فالعمارات شاهقة، عليها ملامح الغنى والترف، والمتاجر غاصة بالسلع، والطرق العامة عامرة، بعضها تركبه الجسور.

أما الفندق فهو من فنادق الدرجة الفاخرة التي هي فوق الأولى، وقد

تضاءل عنده فندق مندرين الذي تركته في تايبيه، حتى أصبح لا يستحق أن يكون إلا من الدرجة الثانية.

أنزلوني في غرفة في الطابق الثاني عشر، وهي مريحة مجهزة بكل وسائل الراحة، وتجهيزها على أحدث طراز، ومن ذلك أن مفتاح التلفاز وصمامات تبديل القنوات موجود عند رأسك، تستطيع أن تعمل ذلك كله وأنت نائم في سريرك تحت غطائك، وإذا أردت إغلاقه فعلته وأنت كذلك، والغرفة ليست واسعة سعة الغرف في الفنادق الأمريكية، ولا ضيقة ضيق الغرف في الفنادق اليابانية.

وهم يتسلمون حقيبتك عند الدخول، فلا تراها إلا في غرفتك قد أحضرها الخادم، وللحقائب مكتب عليه مختصون في إدارة الفندق يتسلمونها ويسلمونها.

ومن انفرادات هذا الفندق أنه لا يزال يتمسك بنظام قديم عفا عليه الزمن، وتجاوزه الناس، وهو أنه قد جعل في كل مصعد من مصاعده عاملاً باقياً فيه طول الوقت يستقبل الناس، يصعد بهم وينزل، مع أن المصاعد من أحدث طراز، ولا تحتاج إلى عامل، ولكنهم فعلوا ذلك من أجل المحافظة على أمن النزلاء، وحفظ أشيائهم من الضياع، وأكثر ما رأيت ذلك العامل بعد الظهر وخلال الليل كل ما دخلت صاعداً أخرج ورقة وكتب بها، فسألته: ماذا تفعل؟ فأجاب: أكتب كل من أصعد به، ورقم الطابق الذي يذهب إليه، فقلت له: هذا شيء طيب، فقال: بالنسبة لكم، أما بالنسبة لي فهو عمل شاق.

وفي هذا الفندق كما في فندق مندرين في تايبيه خصصوا موظفاً متفرغاً على مكتب في كل جناح من أجنحته باقياً فيه طول الوقت، يرقب الداخلين والخارجين، وهو رئيس لعدد من الموظفين الرجال الذين رأيتهم في

الليل، يكونون طول الوقت واقفين، يراقبون الممرات ليعرفوا من يدخل ومن يخرج.

ومن انفرداته أنك كلما خرجت خالفوك إلى غرفتك، فأصلحوا ما يحتاج منها إلى إصلاح، ولم يقتصروا في ذلك على مرة واحدة أو مرتين في اليوم كما يفعل أكثر الفنادق.

وأذكر أنني بعد أن وضعت حقائبي، وأخرجت ما أحتاج إليه من الأشياء، ومن ذلك سجادة الصلاة، قال لي الموظف المسؤول عن الحراسة: أنت عربي ؟ فقلت له: كيف عرفت ذلك؟ قال: من السجادة التي في غرفتك، والتي لا يستعملها غيركم أيها العرب للصلاة.

ولما سألته عن استمرار الحراسة في هذا الفندق، قال: إن هذا أمر لازم للأمن، وإن هذا الفندق من مزاياه أنه لا يسمح بأن تعمل النساء في الغرف، ولا أن تدخلها محافظة على شرف الفندق.

وهذا أمر طيب، يستغرب أن يكون في هونغ كونغ التي اشتهرت بأنها (بلد التجارة والدعارة).

وهذا الفندق كبير بالنسبة إلى كثرة عدد الغرف فيه، ولكنه ليس لذلك بالنسبة إلى المساحة، لأنه واقع في مكان ضيق على سفح جبل، ومن الغريب أن بركة السباحة فيه تقع في الدور السادس، ذلك بأن جزءاً منه واقع في الجبل فأبقوه على حاله، أما الأجزاء الأخرى فقد كانت على مستوى الأرض التي تجاورها.

وهو مربع الشكل، محاط بالغرف التي بينها فناء مربع شبيه بالطراز الأندلسي، لولا أنه لا أروقة فيه، وقد جعلوا بركة السباحة وما يتبعها في وسط هذا المربع.

وفيه مطعمان، وأربع مقاهٍ تقدم الأطعمة السريعة المسماة بالإنكليزية (سناك)، وحانتان إحداهما في أول طابق، والأخرى في السادس، ومقهى بجانب بركة السباحة إلخ. وبجانبه سوق تجاري كبير مُلحق به.

خرجت بعد أن أتممت جولتي في هذا الفندق إلى الأسواق القريبة منه، وهي كلها محلات تجارية تغص بالسلع والحاجات الكمالية، كالساعات وآلات التصوير وأجهزة الاستقبال الإذاعي (الراديو)، وإذا بتلك المنطقة تحفل بالفنادق الكبرى الشهيرة، مثل فندق (هولدي إن)، و(حياة رجنسي)، و(إمبريال)، والعمارات هنا عالية، وقد استغلوا ممراتها وما تحت الأرض فيها في المحلات التجارية، لها سلالم كهربائية تصعد وتنزل، ومن تلك المحلات التجارية الحديثة الفاخرة تنطلق فتشاهد محلات صغيرة وبسطات متفرقة أهلها من الصينيين، واقعة في الدروب الضيقة بين العمارات، وفيها ما هو حافل بالمجلات الماجنة القذرة من كل أنحاء العالم، وكذلك الكتب التي تبين من صورها الخارجية أنها كذلك، إلى جانب رسوم وتصاوير تمثل مناظر خليعة، وإذا رفع المرء رأسه عن هذه القاذورات وجد في بعض الأحيان لافتات تعلن عن ملاهٍ، وأندية ليلية مختلفة، ورأيت أحدها يعلن عن نفسه بأنه ينقلك إلى عالم ليلي آخر، أما المحلات التي تعلن عن نفسها بأنها للمساج أي: التدليك فهي متعددة.

وأما المطاعم والمشارب فهي لا بأس بعددها، وأكثرها صينية، إذ البلاد كلها صينية، لا تشعر بغير الصينيين فها، وكنت أتوقع أن أرى فيها أعداداً من البريطانيين، أو من الهنود، ولكن الهنود قلة قليلة، والبريطانيون الذين قد يكونون في الشوارع أقل من القليل.

وأما اللغة فلا ترى مكتوباً إلا بالصينية، ولا تكاد تسمع المتحدثين إلا بها، وإن كانت المحلات التجارية الكبيرة تكتب لافتاتها بالإنجليزية

إلى جانب الصينية، وقد رأيت عدداً من الصينيين الذين يبيعون النواكه والخضار في بسطات، أي: الباعة المتجولين، فرأيت أكثرهم لا يعرف إلا الصينية، وذكرني مرأى العجائز من الصينيات اللائي يبعن الأشياء الخفيفة في الأرصفة، وبخاصة الفاكهة، بأبناء عمهم الصينيين الذين هم في عاصمة ماليزيا مدينة كوالا لامبور، مما أقنعني بأن الصينيين شعب عامل لا يتأفف من احتراف أي مهنة تدر عليه الرزق.

وبحثت عن مطعم أوربي أو هندي أجد فيه طعاماً غير السمك الذي مللته طيلة مقامي في اليابان وكوريا والصين، وقابلت رجلاً هندياً عابراً، فسألته، فوصف لي مطعماً في ركن قصي من الطابق الأول في إحدى العمارات، ووجدته بعد بحث طويل.

وقابلني هندي أسمر شديد السمرة مرحباً وقال لي: أنت من دُبَيْ؟ فقلت: لا، وكن أخبرني عن طعامك ما هو؟ وهل فيه اللحم والمرق، والأرز البرياني، أي المخلوط بالبهارات؟ فقال: أجل. قلت: أحضره، ولكن بشرط ألا يكون فيه فلفل. فقال: ليس فيه من الفلفل إلا القليل، فقلت: هذا هو دأبكم أيها الهنود، إذا قلتم ليس فيه إلا القليل كان شديد الحرارة، ثم أحضره، فإذا به نار تأجج من الفلفل، ولكن ذلك لن ينجيه مني، فأكلت حتى اكتفيت، ثم سألته عن الثمن؟ فقال: إنه (١٦) دولاراً هو نكوكيا - إن صح التعبير -، أي ما يعادل: ثلاثة دولارات أمريكية وربعاً.

وقفلت راجعاً إلى الفندق وقد غابت الشمس، فلبثت أجول في أنحائه، وأتفرج برؤية من فيه وما يحتويه، حتى قادني التجوال إلى ركن قد كتب عليه بحروف مضاءة (ركن الصحة)، وانطلق سهم يسير إلى جهة مدخله، فقلت في نفسي: ما للصحة وركنها في هذا الفندق؟

فلأستعلم الأمر، وحاولت أن أدخل من الباب، ولكنه كان مغلقاً

حتى فتحه بالكهرباء رجل جالس على مقعد في الداخل، وفوق مكتبه لوحة كتب عليها (حمام بخار، ومساج)، فتجاهلت ما أعرفه عن هاتين الكلمتين، وقلت: لأعرف ما خلفها من أمر، فسألته: ماذا عندكم؟ فقال: هو ما كتب على هذه اللافتة، فقلت: ما كتب أمر مجمل، وأريد التفصيل فاعتبر سؤالي دالاً على الجهل، وقال: لن أشرح لك، وإنما أريك، اتبعني. وقادني إلى غرفة واسعة مفتحة الأبواب، رأيت رجالاً على أسرة ممسوحة الظهور، وقد تعرى كل منهم من ملابسه ما عدا سروالاً قصيراً، وقد أكبت عليه فتاة عليها لباس سابغ مؤلف من صدرية وسروال طويل، وبيدها فوطة بيضاء تجعلها كالوقاية بين يديها وبين جسم الرجل، وهي منكبة عليه تدلك رجليه، وأحياناً يديه. وبعضهن رأيتها قد تعلقت بحاجز من الحديد معترض بين جداري الغرفة قرب السقف، وهي تطأ ظهر رجل قد انقلب على وجهه، وتمشي عليه من أسفل وركيه حتى أعلى كتفيه، وهو مطمئن لذلك لا يتحرك ولا يتململ، وبعضهن قد أتت الرجل من تلقاء رأسه وهو مستلقٍ على ظهره، وهي تمسح بأطراف أصابعها شرايين الدم في رأسه وفي جبهته وفي صدغيه.

واستغرقني المنظر، ولكن الرجل نبهني قائلاً: هذا ما رأيت، وهذا هو المساج، أما حمام البخار فلا يمكن التفرج عليه، وعدت إلى مكتبه وقال: هذه هي الأسعار، فالتدليك الذي رأيته لا يكلفك أكثر من أربعين دولاراً من عملة هونغ كونغ، أي ثمانية دولارات أمريكية، فقلت له: ألا يوجد عندكم رجال يقومون بتدليك الرجال؟ فقال: بلى، ولكن أي رجل يجد فتاة تدلك جسمه فيتركها، ويطلب أن يدلكه رجل؟

وكنت قد شعرت بالنوم، فذهبت إلى الغرفة وصليت، وفتحت التلفاز، فإذا فيه خمس قنوات، ثلاث بالصينية، واثنتان بالإنكليزية، وهي قنوات ملونة.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح، ولما كان في:

يوم الثلاثاء ٥/ رجب/ ١٣٩٧هـ الموافق ٢١/ ٦/ ١٩٧٧م

نزلت إلى مطعم الفندق، فأفطرت ولو لم يكن إلا الشاي الأسود الجيد الذي اعتدت على مثله لكان كافياً، إذْ مللت الشاي الياباني الأخضر المر، والشاي الصيني الذي هو بين الأحمر والأسود، وهو كالياباني، لا طعم فيه.

وجلست أكتب في مقهى بجانب البركة بعض الشيء، ثم خرجت أتمشى على رجليَّ.

جولة في هونغ كونغ:

اشتريت تذكرة من مكتب في الفندق خاص ببيع التذاكر السياحية أو الرحلات حول المدينة، كما تسمى في الخارج، وكانت القيمة (٤٠) دولاراً من دولارات هونغ كونغ لجولة تستغرق أربع ساعات مع شركة ذكرت في نشرتها أنها صاحبة امتياز القيام بمثل تلك الرحلات.

وقبل الساعة الثانية ظهراً بخمس دقائق، أقبلت فتاة أنيقة الهندام، رشيقة القوام، شكلها بين شكل العرب وأهل الصين، فنادتنا معشر الذين دفعوا الكراء، فلبى دعوتها من فندقنا خمسة أشخاص، كنت أحدهم، فأركبتنا في حافلة كبيرة (أتوبيس) مكيفة الهواء، واسعة الممرات، مريحة المقاعد، ثم أخذت تمر على الفنادق الكبرى الأخرى تأخذ من الفندق منها واحداً أو اثنين، وأحياناً أكثر من اثنين، حتى امتلأت مقاعد الحافلة.

فأخذت مكبر الصوت وقالت: أنا دليلتكم، اسمي - ونسيت

اسمها -، وأنا من مواليد هونغ كونغ، وسأتكلم بالإنكليزية، وجعلت تذكر أسماء الأبنية الكبيرة المتميزة التي نمر بها، إلى أن وصلنا إلى نفق عظيم، قد حفر تحت مياه البحر في أضيق نقطة تفصل بين جزيرة هونغ كونغ ومستعمرة كولون التي تتصل بالبر الصيني، وقد جعلوا حواجز على مداخل النفق توقف السيارات، بحيث لا يجتاز منه إلا سيارة دفعت الرسوم، وهو يتسع لسيارتين ذاهبتين وسيارتين آيبتين، ويفصل بين خط الذهاب والإياب جدار كامل، وقد أضيء إضاءة مناسبة.

وعند خروجنا منه ووصولنا إلى البر فوق جزيرة هونغ كونغ، رأيناهم قد اعتنوا بطرقها عناية فائقة، فبنوا فيها الجسور فوق الشوارع، جسوراً للسيارات، وجسوراً للمشاة، وأحياناً تعترض الجسور جسوراً غيرها، كل ذلك لتسهيل حركة المرور.

ثم مضت الحافلة حتى وقفت في سفح جبل مع عدد من الحافلات التي تنقل السياح، والسيارات الأخرى، وهنا تقدمت الدليلة وقادتنا إلى مرتفع في الجبل، حتى وصلنا إلى درج صاعد فيه، وقالت: هذه هي الحديقة المحفورة في الجبل.

ورأيت عملاً لم أر مثله قبله، كل الحديقة قد حفرت في الجبل حفراً على ارتفاعات مختلفة، فيها النباتات المتسلقة، وفيها اللوحات المحفورة على سفح الجبل، وفيها الصخور التي نحتوها ونسقوها، وفي بعض المواضع أهملوا تنسيقها حتى تبدو كأنها طبيعية، ولكنهم صبغوها كلها تقريباً بالألوان الزاهية التي تتناسب مع الذوق الصيني الذي يحب الألوان الصارخة، وبهرجة الأصباغ، وجعلوا بين الصخور تماثيل من الحجارة منحوتة، تمثل أشياء من تاريخ الثقافة الصينية لم أفهمها، ولا أرتاح لرؤيتها، ومن أهم ما عندهم في جميع الأماكن التي يبرز من فيها ثقافتهم منظر شخص ذي بطن كبير جداً، وقد رسموه ضاحكاً يكاد ينفجر من

الضحك، ولا ادري كيف ترتاح أبصارهم إلى النظر لهذا التمثال، فضلاً عن أن يكرروا رسمه، لأنه ليس أبغض على نفسي من منظر البطن البارز في الأشخاص.

وفي هذه الحديقة العجيبة انتقلنا إلى قمة أحد جبال هونغ كونغ، وظلت السيارة تصعد طويلاً في طريق متوسط السعة، ولكنه جميل، إذْ يطل في بعض الأحيان على مدينة هونغ كونغ، من ورائها مياه الخليج، وأحياناً يطل على جهة أخرى، فهو يسير في جبل بين بحرين، وفي القمة قرب رأس الجبل وقفت الحافلة، واتبعنا الدليلة حتى وقفت بنا على شفير المنحدر الذي يكاد يكون واقفاً، وتحتنا العمائر الشاهقة في هونغ كونغ وقد تطامنت وتضاءلت، حتى أصبحت أشبه بلعب الأطفال من فرط الارتفاع، وكان السحاب يغشانا ونراه أسفل منا.

ثم عادت السيارة إلى الأسفل ميممة شطر شاطئ هونغ كونغ، فرأينا فيه من أفواج السابحين عدداً كبيراً، وفيهم طوائف ممن هم على زوارق في البحر ذاهبة أو آيبة بهم يتنزهون، ثم تركناه إلى شاطئ آخر رأيناه من مسافة غير بعيدة، ولكننا لم نقف عليه نفسه، وإنما أوقفت الدليلة السيارة وطلبت ممن يرغب من الركاب أن يأخذ صورة له، فرأيت الناس فيه أكثر من الأول، بل كأنهم الجراد المنتشر فيه، وعلى شاطئيه وقالت: إن الناس يقصدون هذا المكان لقضاء الإجازات فيه، وهناك رأينا عدداً من قوارب التزلج على الماء، تجر طائفة من المتزلجين، فأعجب بها الأوربيون الذين معنا، وأخذوا لها الصور من بعد.

وعقب الشاطئ انطلقنا في شوارع تحيط بها العمارات الشاهقة، وذكرتْ أسماء عدد من الكليات الجامعية، ومستشفى حكومياً.

إلى أن أوقفتنا على منظر غريب ومقرف، ذلك هو منظر حي من

أحياء هونغ كونغ، يسكنه الصينيون، وهو ليس على الأرض، وإنما هو مقام على البحر، جميع بيوته ومنافعها ومرافقها في الماء.

قالت الدليلة: إن أهالي هذا الحي في البحر يولدون، وفي هذه البيوت الخشبية الطافية في مياهه يعيشون ويهرمون، ولا ينتقلون عنها إلا بعدما يموتون.

ونزلنا لرؤيته ودخلت فيه، وقد أقاموا ما يشبه الطريق فيه من الخشب الذي اسود من الماء، أو هو كان أسود قبل أن يضعوه، وللحي رائحة كريهة، هي رائحة شاطئ البحر عندما تختلط به الأوساخ، ويكفي أن تعرف أن فضلات هذه البيوت الخشبية تنزل في هذا المكان.

وقد بادرنا عدد من الصبية من سكان الحي من الصينيين، وهم يمدون أكفهم بالسؤال والاستجداء، وهذا منظر نسيته منذ مدة طويلة، ولم أره طيلة الرحلة، وكان منظرهم منظر البؤس، ونقصان التغذية، وأحدهم كانت ملابسه ممزقة، وكادوا يمسكون بي يستجدون، لولا أن نفرت منهم حذراً من أن يكون فيهم بعض الأوساخ، أما مظهر تلك البيوت الخشبية في هذا الحي العجيب، فهو مظهر كئيب المنظر، لا يتناسب معه إلا مظهر سكانه البؤساء فيما ظهر من حاله.

وأخذ رفقاء الرحلة من الأوربيين صوراً له، وانصرفوا إلى السيارة، أما أنا فقد استغرقت في تأمله حتى نادت الدليلة عليَّ، وخلال تحرك السيارة سألت نفسي: لماذا لا تفكر الحكومة في تغيير حال هؤلاء القوم، وهي التي رأيناها تعمل الكثير من جسور وأنفاق؟ وكان الجواب: ربما كان تركهم على حالهم يحقق غرضاً من أغراض السياحة.

وفي تمام الساعة السادسة، أعادت السيارة كل واحد منا إلى الفندق الذي يسكن فيه، بعد جولة ممتعة، لولا أنها كلها كانت حركة، فلم يكن فيها فرصة لاستراحة، كما يكون في بعض الجولات.

يوم الأربعاء ٦/ رجب/ ١٣٩٧هـ الموافق ٢٢/ ٦/ ١٩٧٧م

اعتزمت أن أجعل النصف الأول من هذا اليوم عطلة، أقضيها في شرب الشاي بجانب البركة في المقهى الجميل الذي يقع في الطابق السادس من الفندق، وألا أنقص منه إلا بعض ساعة في مراجعة مكتب شركة الطيران التي سنسافر معها من هونغ كونغ إلى البحرين.

فذهبت إلى مكتب شركة بان أمريكان للطيران، فأفهمتني الموظفة أنهم ليس لديهم رحلة إلى البحرين إلا بعد غد الجمعة، ولم أكن لأطيق البقاء في هونغ كونغ إلى ما بعد غد، فقد ضاق فيها صدري، فطلبت منها أن تبحث عن شركة أخرى، فبحثت ثم قالت: لا توجد رحلات قبل ذلك، قلت: ليكن على طريق بلد آخر مثل بانكوك، بشرط أن أسافر غداً، فبحثت ثم قالت: لا يوجد إلا رحلة لنا في الساعة الحادية عشرة ليلاً، فقلت: لا أريد التأخر إلى الليل.

ثم ذهبت منها إلى شركة (كاثي باسفيك)، وهي شركة تعمل في منطقة شرقي آسيا، وطلبت من فتاة صينية فيها أن تبحث لي عن سفرة تغادر هونغ كونغ ظهراً، فبحثت ثم قالت: وجدتها، إنها شركة تايلاند للطيران، تغادر في الثالثة والربع ظهراً، وهناك تبقى في مطار بانكوك حوالي (٤) ساعات، تسافر بعدها مع خطوط سنغافورة إلى البحرين في الليلة نفسها.

فذهبت إلى التايلاندية، وحجزت معها حجزاً مؤقتاً، وطلبت من موظف فيها أن يحجز لي بالهاتف من شركة سنغافورة، فخابرهم بالهاتف، إلا أنه قال: إنهم يقولون: إنه لا مكان لديهم، فقلت: لأذهب إليهم بنفسي، وهم قريب، وذهبت وقالت لي الموظفة: إن الحاسب الآلي (الكمبيوتر) متعطل لديهم، ولذلك لا تستطيع أن تعطي الجواب إلا بعد إصلاحه بعد

ساعة أو تزيد.

فجلت جولة في البلدة، ثم رجعت إليها فقالت: قد صلح (الكمبيوتر)، وقد حجزت لك، وكان الوقت ظهراً، وضاعت الاستراحة بين بان أمريكان وبقية شركات الطيران.

مع عضو الجمعية الإسلامية:

اسمه عبد الكريم إسماعيل شيخ، وشيخ هذه هي اسمه العائلي، هندي الأصل، وجنسيته الآن جنسية أهالي هونغ كونغ، أي البريطانية، وهو يعمل في تجارة التصدير والاستيراد، إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يكون أحد المهتمين النشيطين بالدعوة الإسلامية، فهو عضو في الجمعية الإسلامية التي تضم المسلمين في هونغ كونغ على اختلاف أحوالهم، من هنود وباكستانيين وصينيين.

أما رئيس الجمعية فاسمه عبد الرحمن بخاري سيد، هندي الأصل.

وسألته عن الكلية الإسلامية في هونغ كونغ فقال: إنها أنشئت في الأصل لأبناء المسلمين، أنشأها شخص قدم إلى هونغ كونغ من مدينة بكين في البر الصيني اسمه: و. س. قاسم، وإنها تدرس الآن اللغة العربية والعلوم الإسلامية، إضافة إلى البرنامج العام، وإن طلبتها يبلغ عددهم الآن أكثر من ألف طالب، بينهم مائة طالب من المسلمين.

وقد قابلت السيد عبد الكريم المذكور في مكتبه في هونغ كونغ، وكان قد أرسل إليَّ شخصاً على الفندق ليدلني إلى مكتبه، لأن فندقنا في كولون، وخرجنا من ميناء صغير مجاور لفندقنا، فركبنا مع الراكبين عبارة كبيرة أخذت رسم دخول ركوب على كل شخص مقداره (٣٠) سنتاً، أي جوالي: أربعة قروش سعودية، وذلك لعبور البحر من كولون إلى

هونغ كونغ، ويستغرق العبور مدة خمس دقائق فقط، وتسعى العبارات المذكورة سعياً، هذه داخلة وتلك راحلة، بحيث لا يتعطل من يريد اجتياز البحر من أحد الاتجاهين.

ويبلغ عدد سكان هونغ كونغ أربعة ملايين ونصفاً، منهم حوالي (٣٥) ألفاً من المسلمين، وتلك نسبة ضئيلة جداً بالنظر لما كان متوقعاً، لأن هونغ كونغ مستعمرة بريطانيا، فكان المفروض أن يكون هناك عدد كبير من المسلمين الذين يكونون قد وصلوها من البلاد التي كانت خاضعة للحكم البريطاني كالقارة الهندية، إضافة إلى الأعداد التي تكون قد هاجرت إليها من البر الصيني من المسلمين هناك.

يوم الخميس ٧/ رجب/ ١٣٩٧هـ الموافق ٢٣/ ٦/ ١٩٧٧م

في جامع كولون:

ذهبت إلى زيارته وتفقده مع الأخ محمد يونس سكرتير جمعية المسجد، ويقع المسجد في المحل التجاري في كولون، ويضاف إلى كولون لأن هناك جامعاً آخر في هونغ كونغ اسمه (جامع هونغ كونغ)، إمامه في الوقت الحاضر أحمد شوينغ، أحد المسلمين الصينيين، كما أن هناك مسجداً آخر في مكان غير هذين المكانين أيضاً.

أول ما رأيت المسجد أعجبت بموقعه في وسط حي تجاري مزدحم بالمحلات التجارية، والعمارات التي بنيت بعد بنائه، وقد أقيم الجامع على ربوة صخرية مرتفعة، لذلك يصعد إليه على درج.

وعلى مدخله لوحة تتضمن قصيدة باللغة الفارسية مؤلفة من ثمانية أبيات، كتب ملخصها أسفل الأبيات باللغة الإنكليزية، وقد صدرت القصيدة بالبسملة بخط جميل، وملخصها: أن هذا المسجد قد بني لأجل أن يصلي فيه جنود الجيش البريطاني من المسلمين، وكان بناؤه في عام ١٨٩٦م.

فهو قديم الإنشاء كما ترى.

واستقبلنا عند المدخل إمام المسجد، وهو الشيخ (سيد رسول شاه) من شمال باكستان، وهو شيخ ذو لحية بيضاء كبيرة مستديرة حول وجهه الوقور، وقادنا إلى منزله الملحق بالمسجد، وقدم الشاي بينما كنا نستزيد من المعلومات المتعلقة بالمسجد، وعدد المصلين في الأوقات الخمس، وفي صلاة الجمعة والعيدين، وهو يتكلم اللغة العربية إلى حد جيد جداً.

وكان مما قاله: إننا نصلي الصلوات الخمس كلها جماعة، وإنه

يحضر لدينا عدد لا بأس به في كل وقت صلاة، أما في صلاة الجمعة فإنه يحضر عدد كبير يتراوح بين خمسمائة وستمائة شخص.

وأما صلاة العيد، فإنهم يصلونها مرتين لعدم اتساع المسجد وباحاته للمصلين.

وقال إنه يقوم على عمارة المسجد والإنفاق عليه، وهناك جمعية خاصة بذلك، رئيسها السيد عمر صادق، ثم قمنا بجولة في أنحاء المسجد، فألفينا في ساحته التي يلقاها الداخل أول ما يصل إليه بركة مليئة بالماء للوضوء، ثم الدخول إلى المسجد نفسه، وهو متوسط السعة، نظيف الأثاث، عليه آثار العناية الظاهرة، مفروش كله بالسجاد، وقد علقت على جدرانه الداخلية بعض اللوحات التي هي جميعاً بالعربية، مثل الشهادتين وآية الكرسي، وعلى المسجد قبة ظاهرة يزينها هلال، ولكن لا منارة له.

وقد رأيت في داخله كومتين من القلانس (الطواقي: جمع طاقية) المصنوعة من قش الأرز، قد أعدت لكي يضعها المصلون على رؤوسهم عند الصلاة، لأن الإمام حنفي المذهب، ممن يرون أنه ينبغي تغطية الرأس في الصلاة.

وقد أرونا قطعة أرض حكومية، قالوا: إن بعض الكفار يريدون شراءها، وإقامة عمارة عليها، وإنهم إذا فعلوا ذلك يضار المسجد، لأنها ستسد عنه النور والهواء، إلى جانب ما قد يكون فيها من منكرات، لا ينبغي أن تكون قرب المسجد[1].

وفي الختام ودعنا الإمام شاكرين اهتمامه، ورأيت لوحة عند الباب الداخلي مكتوباً عليها الشهادتان باللغة العربية، ومكتوباً تحتها معناهما

(١) اشترى المسلمون هذه الأرض بعد ذلك، وهدموا هذا المسجد الذي زرته، وجعلوا مكانه جامعاً ضخماً حديثاً يسر العين والقلب ولله الحمد.

باللغتين الإنكليزية والصينية، ثم جدولاً لأوقات الصلوات.

الاستعداد للسفر:

حزمت حقائبي، وأخبرت مكتبياً في الفندق، كنت قد قرأت الإعلان عنه في نشرة في الغرفة بموعد سفري، فأرسل إليّ في الوقت المحدد عاملاً حمل حقيبتي، ثم جهز سيارة خاصة من طراز مرسيدس بنز جديدة مكيفة الهواء، وقد سارعت إلى خازن الفندق، فنقدت الأجرة وقدرها (٢٩) دولاراً أمريكياً لليلة الواحدة، وكانت هذه رخيصة جداً بالنسبة إلى مستوى هذا الفندق وخدماته.

وغادرت الفندق بسيارته وحدي، وكانت المسافة إلى المطار نحو ثمانية كيلات، قطعتها السيارة في نصف ساعة بسبب ازدحام المرور في هذا الوقت الذي هو قرب الثانية بعد الظهر.

من هونغ كونغ إلى بانكوك:

كانت تذكرتي في الأصل من هونغ كونغ إلى بانكوك، ثم كولومبو، ثم البحرين، فالرياض، ولكن لضيق الوقت اختصرت الرحلة، فجعلتها تنتهي بدخول هونغ كونغ، وألغيت المرور بكولومبو عاصمة سيلان (سيرالانكا حالياً)، أما بانكوك عاصمة تايلاند (سيام سابقاً)، فإن المرور في مطارها فقط لعدم وجود طيران مباشر إلى البحرين من هونغ كونغ هذا اليوم.

وهكذا غادرت هونغ كونغ على طائرة الخطوط التايلاندية المسماة اختصاراً (تاي) في تمام الساعة الرابعة بعد الظهر بتوقيت هونغ كونغ، وكانت الطائرة من طراز (بوينغ ٧٠٧) ذات المحركات الأربعة، وكان ما يلفت النظر فيها الألوان المميزة التي صبغت بها، وهي ألوان مكونة من

اللون القرمزي، واللون الأرجواني، محاطاً بخطين برتقاليين، أحدهما في الأعلى، والثاني في الأسفل، وهذا تلوين غريب.

وعند مدخل الطائرة استقبلت المضيفات الركاب بتحية تايلاند التقليدية التي تشبه التحية الهندية، وهي ضم الكفين كليهما، ثم رفعهما إلى محاذاة الوجه ثم التحية بالانحناء إلى الأمام، وكان لباسهن مميزاً أيضاً، فهو فوطة قد شدت في الوسط تضرب إلى الكعبين، فوقها صدرية، وهناك وشاح على أحد الكتفين ينحدر إلى الجهة الأخرى من الجسم، فيكون تحت الإبط، وهن بلباسهن الفوط كالمضيفات الماليزيات كما عهدهن قبل أربع سنوات، أما جمالهن فهو متوسط، وهن دون الكوريات بمراحل، وأقل من الصينيات، كما أنهن أصغر أجساماً، وأكثر نحافة منهن، إلا أن عيونهن أكثر اتساعاً، وأقل ميلاً.

ولكنهن أكثر أدباً، وأحسن خدمة من الجميع، ولم أستغرب ذلك من التايلانديين، فقد سبق لي أن ركبت مع الطيران التايلاندي منذ أربع سنوات من جاكرتا عاصمة إندونيسيا إلى بانكوك، وكنت أشبه أدبهم في المعاملة بأدب الأحباش في زمن الإمبراطورية، ولا أدري ماذا فعل بهم الزمن بعد الفوضى التي أصابت بلادهم ولا تزال.

أما ركاب الطائرة فيهم خليط من الأوربيين ومن الجنس الأصفر، الذين كان بينهم بعض الإندونيسيين، وأنت لا تستطيع أن تميز بين سكان تلك البلاد قبل أن يخبروك بذلك، إلا إذا كنت خبيراً بهم، وكان الجو مظلماً عندما غادرنا هونغ كونغ، لأن السحاب كان مطبقاً، وكان المطر يسقط منذ يومين فيها على فترات متباعدة، إلا أن الطائرة ارتفعت فوق السحاب، فأشرقت عليها الشمس، فصارت الطائرة تطير إلى جهة الجنوب، فكانت شمس العصر تشرق على جانبها الأيمن، ولكن بعد أن قطعت حوالي ثلثي المسافة انحرفت إلى الاتجاه المعاكس، فصارت الشمس

تشرق على جانبها الأيسر، وذلك لأنها تتلافى الطيران فوق الأراضي الشيوعية في الصين وفيتنام وكمبوديا، ولولا ذلك لكانت المسافة أقصر بكثير.

وقدموا طعاماً متوسطاً، فسألت المضيف عن اللحم، فقال: أنت مسلم؟ فقلت: نعم. فقال: سأحضر لك بعض السمك، فجاء به ومعه بعض الخضار وقطع من البطاطس مقلية، وهكذا كان السمك رفيقاً ملازماً لي في بلاد الشرق الأقصى، وكان الشراب عصير البرتقال، كرروا سقينا منه نحن الذين لا نشرب إلا هو وأمثاله مرتين.

وكان معظم الطيران فوق مياه بحر الصين الجنوبي، وعندما وصلنا أرض تايلاند، أخذت الطائرة تخفض الطيران، وتنزل شيئاً فشيئاً، وقد جاءت إلى بانكوك من جهة الجنوب الشرقي، وكان ينبغي أن تأتيها من الشمال الشرقي، على حد تعبير قائد الهزيمة في عام ١٩٦٧م.

وبدت أرض تايلاند أرضاً حقلية ذات سهول مزروعة بالحقول التي هي الأرز، أو أكثرها الأرز، وقد شقت فيها بعض الترع من نهر كبير رئيسي رأيناه، ومن أنهار صغيرة غيره، وليس فيما رأيناه منها الآن جبال ولا غابات كثيفة.

في مطار بانكوك:

حطت الطائرة بعد طيران استمر ثلاث ساعات ونصفاً، وذلك في الساعة السادسة والدقيقة العشرين بتوقيت تايلاند المتأخر ساعة عن توقيت هونغ كونغ، وكان ينبغي أن يساويه أو أن يتقدم عليه، وجددت عهداً برؤية هذا المكان الذي نزلت فيه قبل هذه المرة مرتين، كلاهما كانت منذ أربع سنوات.

وكان يبدو أحدث مما عهدته، فقد أدخلت عليه تحسينات كثيرة، إلا أنه رغم ذلك لا يزال غير معتبر من المطارات الكبيرة، رغم أنه محطة مهمة من محطات الطيران الدولي في جنوب شرقي آسيا، ومع ذلك فإن مدارج الطائرات فيه طويلة إلى حد كافٍ لأن تنزل فيها الطائرات العملاقة التي منها الجامبو والترايستار.

وعند الوصول إلى قاعة العابرين في المطار، بحثت عن ممثل لشركة خطوط سنغافورة للطيران التي حجزت على السفر عليها الليلة إلى البحرين في الطريق إلى الرياض، فوجدت فتاة من عدة فتيات موجودات لخدمة الركاب العابرين، وهن يتحادثن ويتصايحن بلغتهن التايلاندية التي إذا سمعتهن يتحدثن بها خلتهن يمزحن، وهن بأجسامهن اللطيفة، وصحتهن الضعيفة، كأنهن لا يستطعن أن يتكلمن إلا بصوت خفيض.

وأريت التذكرة الفتاة المسؤولة، فأخذتها مني وقالت: انتظر حتى أحضر، وبعد قليل حضرت ومعها التذكرة مقطوعة، وقد وضعوا عليها بطاقة تسلمهم للحقيبة لحملها إلى البحرين، وكان التفكير بأن المرء سيقيم في هذا المكان الذي لم أسترح فيه، وهو مكان العابرين لمدة خمس ساعات ونصف غير باعث على الارتياح، وقضيت معظم الساعات المذكورة محملقاً في المسافرين الذين كانوا يزدحمون في المكان حيناً، ويخلونه تماماً حيناً آخر، وإذا مللت من الحملقة أغمضت عيني أحاول أن يواتيها النعاس فلا أستطيع، حتى نادت المنادية على الخروج إلى الطائرة، فلبينا النداء، وذلك في الساعة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل.

وكان أن مررنا بتفتيش حقائب اليد، مع أنني قادم عابر، ولم أدخل البلاد، ومع ذلك فتح موظف عليه لباس عسكري علبة في الحقيبة فيها ساعات، فدفعه فضوله إلى أن يريها رئيسه الذي تجاهله فردها.

ومن انفرادات هذا المطار في هذه الرحلة أن الذي يفتش الناس من رجال ونساء تفتيشاً يدوياً هي امرأة شابة، عليها لباس المضيفات، ولم يكن تفتيشها مهذباً، بل كانت تتحسس أجسام الرجال، وكانت تدخل يديها بين الرجلين تبحث عما قد يكون الرجال قد أخفوه من سلاح، وهذا أمر مخزٍ لم أر مثله في حياتي إلا مرة واحدة، عندما كنت في مدينة أوسلو بالنرويج، كان هناك رجلان وامرأة من ضباط الشرطة، الرجلان يفتشان الرجال، والمرأة تفتش النساء، إلا أنني عندما دخلت وأقبل الرجل ليفتشني، بادرت المرأة فسبقته، وقامت بالتفتيش وهي تبتسم.

ولكن ذلك ليس قاعدة في بلاد إسكندنافيا، أما في تايلاند فذلك ما لم أكن أتصور وقوعه، والشيء الذي ينبغي أن يفعلوه إن لم يجدوا رجلاً يفتش الرجال، أن يفتشوهم بآلة كهربائية، ولو أمسكت بها امرأة، لأنها لا تحتاج إلى أن تمس أجساد الرجال.

إلى البحرين:

خرجنا من المطار إلى حافلة قد امتلأت، وكان الجو حاراً رطباً، لأن هذا هو موسم الأمطار في هذه البلاد، وبعد فترة وصلت الحافلة إلى الطائرة التي كانت قد انتبذت لها مكاناً قصياً، وأدخلونا إليها، فإذا بها من طراز (جامبو ٧٤٧) العملاقة التي تحمل أربعمائة راكب، وإذا بها قد امتلأت بالركاب، ولا غرو في أن تزدحم هذه الطائرة بالركاب، لأنها تختصر كثيراً من الوقت لمن يكونون في جنوب شرق آسيا، إذ لا تقف دون أوربا من بانكوك إلا وقفة واحدة في البحرين، وهي التي سأنزل فيها، وكان الجو داخلها خانقاً، لأن التكييف لم يكن يعمل، إضافة إلى أنها مشرعة الأبواب، مما جعل الرطوبة الحارة تدخلها، وأغلقوا الباب بعد انتظار طويل.

وكانت تنبعث من الناس رائحة كريهة كرائحة الثوم، تأذيت بها حتى كدت أختنق، ولم أدر مصدرها إلى أن جاء الطعام وذقته، وإذا به فيه ثوم، فترددت في أكله، ولكنني ذكرت قصة نهر الجنون فأكلته، وملخص القصة أن وزيراً عالماً حكيماً عرف بعلمه أن النهر الذي يشرب منه أهل بلدته سيأتي عليه يوم معين في الدهر لا يتكرر كل من شرب منه في ذلك اليوم أصيب بالجنون، وأنه لا يجوز لمن عرف بهذا السر أن يخبر به إلا رجلاً واحداً لا يزيد عليه، وآثر الوزير بهذا السر ملك البلاد الذي لا أولى منه به.

وقبل اليوم المحدد اختزنا من ماء النهر ما يكفيهما خلال اليوم الموعود، وشرب الناس من النهر، فأصيبوا بالجنون، ولم يبق في البلدة من العقلاء إلا الملك ووزيره الحكيم، ولكن المشكلة حدثت عندما أخذ أهل البلاد جميعاً ينظرون إلى ما يفعله الملك ووزيره بعين الاستخفاف والاستهجان، حتى رموهما بالجنون، ولم يستطيعا إلا أن يشربا آخر اليوم من النهر مع الشاربين، حتى يعيشا مع الناس أجمعين، سواء كانوا من العقلاء أو من المجانين.

ولقد أكلت منه لأن من بجواري، بل كل من في الطائرة، قد أكلوا من هذا الطعام الذي فيه الثوم، أو سيأكلون منه، فلن يبقى إلا أنا.

هذه الطائرة هي طائرة الخطوط الجوية السنغافورية، وهذه أول مرة أركب فيها طائرة هذه الخطوط، وإن كنت سبق لي أن هبطت في مطار سنغافورة نفسها مرتين.

أما المضيفون، فهم من أهل البلاد، فتيان وفتيات، وعلى الفتيات فوط ملفوفة من الوسط حتى الكعبين، وفوقها الصدريات كما تفعل التايلانديات والماليزيات.

وعندما قدمت المضيفة الطعام سألتها عن اللحم، فقالت: إنه لحم خنزير، هل أنت لا تأكله؟ قلت: نعم لا أكله. فقالت: سأغيره لك، وأخذت الطبق كله، ثم أحضرت غيره طعاماً لحمه من الجمبري اللذيذ، وكانت وجبة خفيفة شأن الوجبات التي لا تكون في أوقات الوجبات المعتادة من عشاء أو غداء.

وكان مضيف الطائرة قد أعلن أن الرحلة إلى البحرين ستستمر ست ساعات وثلاث دقائق، مع العلم بأن الطائرة قد بدأت الطيران في الساعة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل حسب توقيت بانكوك، وعلى هذا لو كان الطيران إلى بلد هو على خط الطول الذي تقع عليه مدينة بانكوك أو مقارب له لما كنا قد وصلنا إلا بعد طلوع الشمس، لأن الوصول سيكون في الساعة السادسة والنصف وثلاث دقائق، ولكن البحرين تقع غرب بانكوك بالنسبة إلى خطوط الطول، لذا يتأخر توقيتها عن توقيت بانكوك.

في مطار البحرين:

بعد مضي ست ساعات وثلاث دقائق بالضبط، هبطت الطائرة في مطار البحرين، وذلك في الساعة السادسة والنصف وثلاث دقائق بتوقيت بانكوك الذي يوافق الثانية والنصف وثلاث دقائق بعد منتصف الليل بتوقيت البحرين، لأنه يتأخر عن توقيت بانكوك (٤) ساعات.

كان مطار البحرين مما رأيته في قاعة العابرين فسيح الممرات نظيفاً، وقد وضعوا فيه حماماً خاصاً للعجزة، إلى جانب الحمامات المخصصة للرجال، والحمامات المخصصة للنساء، التي توجد في كل المطارات.

وقد رأيت عدداً من الرجال والأطفال الذين يرتدون الزي العربي، ولباسهم ليس نظيفاً، ومعهم بعض نسائهم المحجبات، وقد تركوا المقاعد الخالية المريحة النظيفة، وافترشوا بلاط المطار في الممر بين عجب العابرين في هذا المطار من الأوربيين وغيرهم.

ولا شك أنه كان بإمكان القائمين على المطار إفهامهم أولئك القوم بالحسنى، ومنعهم مما يفعلون، كما أن بإمكانهم أن يمنعوا مناظر أخرى رأيتها فيه، وهي أن قوماً من النائمين ممن يرتدون الزي العربي قد ناموا وأناموا أطفالهم كيفما اتفق، حتى إن بعضهم قد انكشف ثوبه، فباتت ملابسه الداخلية القذرة، مما جعلني أرى التأفف والتقزز بادياً على وجوه من يراه، وبخاصة من النساء الأجنبيات.

وقصدت مكتب تحويل الرحلات، لأطلب منه الحجز على أول طائرة تسافر إلى الرياض، وكان جميع العاملين فيه من الفتيات العربيات، وكانت فرصة لمقارنة مناظرهن بمناظر غيرهن من الأجنبيات في الشرق الأقصى، وجنوب شرق آسيا، بعد هذه النقلة السريعة التي لا تمحى خلالها الأشكال من الذاكرة، فوجدت الفرق بينهن وبين غيرهن شاسعاً، فهن أرشق أجساماً وأوسع عيوناً، وأكثر حيوية، بل هن الأوربيات وقد خلعن عنهن الجلد الأبيض، وارتدين الجلد الأسمر، بل هن أبهى طلعات منهن، وأكثر ملاحة، وكان الحديث بالعربية مع الموظفين في المطار شيئاً غريباً بالنسبة لي، إذْ كان كل حديثي طوال الرحلة مع الموظفين في المطارات بالإنكليزية.

وأخبرتني إحداهن أنه لا يوجد طيران إلى الرياض من البحرين إلا في الليل، ولكن يمكن أن تحاول أن تركبني مع طيران الخليج إلى الظهران، ومن هناك أحاول السفر إلى الرياض، وكان هذا رأياً صائباً، إلا أنه لا يمكن الجزم بوجود مقعد خال إلا في الصباح.

وذهبت أتجول في أركان قاعة العابرين، فلفت نظري وجود عدد من العاملين فيها من الهنود، كما أن فيها حوانيت لبيع البضائع والهدايا المعفاة من الرسوم الجمركية، وكان من أكثرها وجوداً الأجهزة الكمالية والساعات، أما الخمور فإن لها ركناً خاصاً كبيراً، وهو أمر لا ينبغي أن يوجد في هذه البلاد الإسلامية، وإن كانوا قد كتبوا إعلاناً يقول: ممنوع إدخال شيء مما يشترى من هذه الخمور إلى البحرين، وممنوع شرب شيء منها داخل هذا المطار.

يوم الجمعة ٨/ ٧/ ١٣٩٧هـ

البحرين:

وينطق الأجانب باسمها (البهرين)، ولكنهم لا يبينون الهاء فتكون (البرين)، أو قريبة من لفظ (البرين)، ولم يعلموا أنهم بذلك ينقلون معناها من النقيض إلى النقيض.

سألت عن رحلة السعودية إلى الرياض، وكانوا ذكروا لي أنها تكون في صباح هذا اليوم الجمعة، ولكن مندوب شركة الخطوط السنغافورية، وكذلك مكتب الحجز في المطار، أكدوا أنه ليس في هذا اليوم رحلة إلى الرياض إلا في الساعة التاسعة مساء.

فأبديت أسفي لذلك، فقال مندوب الشركة السنغافورية: لا داعي للأسف، فأنت قد جئت معنا، ولذلك سوف أحجز لك غرفة في أحد الفنادق الراقية على حساب الشركة، وأتولى حجز مقعد لك على الخطوط السعودية مساء اليوم، وسنهيئ لك سيارة تنقلك من المطار إلى الفندق، ومن الفندق إلى المطار عند السفر مساء.

وهكذا ركبت السيارة حتى أنزلتني في فندق اسمه (تايلس) في حي النعيم من مدينة المنامة، ولا أدري معنى هذه التسمية، ولكن هذا لن يستغرب إذا علمت ما بعده، فقد دخلت هذا الفندق وأنا شامخ الرأس مسرور بأنني سوف أكلم الشخص الذي يكون في مكتب الاستقبال فيه بالعربية، ووقفت عنده وقلت له: أنا الذي حجز لي عندكم غرفة، وأريد غرفة خاصة، فقال: ((عربي ما في))، ولم أفهم ما يقول، فقد ظننت أنه قد حسب أنني أسأل عن شخص اسمه (عربي)، أو أنه يقول غرفة ما في، فكررت القول، فكرر القول وزاد: إنقلش، فقلت: لا حول ولا قوة إلا

بالله، ما زلنا بالإنقلش حتى في البلاد العربية، ورضخت للأمر، وكلمته بالإنقلش، فسر بذلك وأعطاني استمارة فيه بيان يملأه النزيل، فقلت له: أملأه بالإنجليزية أم بالعربية، فقال: بما شئت، فقلت: أشاء العربية ولا أشاء غيرها إلا مضطراً، وهكذا نزلت في فندق غرفه في مستوى غرف الدرجة الأولى، ولكن الحي الذي فيه في مستوى الأحياء الشعبية التي لا يكون فيها إلا فنادق الدرجة الثالثة.

وتناولت الإفطار في مطعم الفندق الذي أسموه (المجلس) بالعربية، وتحتها بالإنجليزية: المجلس: مقهى، وكان إفطاراً سخياً جعلني أتأكد أنني الآن في بلادنا العربية بلاد السخاء الذي يصل إلى حد التبذير في بعض الأحيان، وحاولت أن أخرج إلى الشارع أتمشى لأجدد عهداً بالبحرين، ولكن الجو كان حاراً، وإن كان أقل مما كنت أتوقع من حرارة البحرين في الصيف، وكان بي من النوم ما يمنعني من المشي، إذْ لم أنم الليل كله بطوله ونصف طوله، لأننا قدمنا من جنوب شرقي آسيا، وكان فرق التوقيت أربع ساعات أضيفت إلى طول الليل، فذهبت للفندق لأستريح، وجعلت أطل من نافذتي على الجهة الغربية من الفندق وهي قريبة من شاطئ البحر، لا يفصل بينهما إلا نحو مائتي متر من الأرض الخالية، ورأيت منظراً استغربته، بل استهولته، فليس في كل ما يقع عليه النظر من هذه الجهة أي عود أخضر، ولا شجيرة نابتة لا مزروعة ولا طبيعية، ولم يكن هذا مألوفاً لدي بعد هذه الجولة حول العالم التي لم تنقطع فيها الخضرة عن عيني طوال الرحلة، وإنما كانت تتفاوت مناظرها قلة وكثرة، وأما هو هنا فليس من شيء إلا التراب والبحر الضحل، ولا شيء غير ذلك، وذهبت في ممر الفندق أبحث عن نافذة فيه تطل على الجهة الأخرى، ووجدتها فرأيت منها منظراً سرني، هو منظر عدد من النخيل، وعليها أوقارها عُذُوقاً، كان النظر إليها من أحب المناظر إلى عيني منذ أن

كنت صبياً.

ولم أستطع مغالبة النوم فنمت، وعندما حان وقت الغداء، كان غداء الفندق وافراً دسماً عربياً، مع أن أكثر العاملين فيه هم من الهنود الذين لا يعرفون العربية، وكان أكثر النزلاء من الأوربيين الذين لا يعرفون العربية بطبيعة الحال، وبعد صلاة العصر ذهبت أتمشى في سوق البحرين القريب من الفندق.

وتذكرت ما قاله لي سائق السيارة الذي أحضرني من المطار إلى الفندق: هل هذه أول مرة تزور فيها البحرين يا شيخ؟ فقلت له: لا، هذه هي المرة الثانية، ولكن المرة الأولى كانت قديمة لا أشك في أنها كانت قبل أن تولد أنت، وربما قيل أن يتزوج أبوك أمك، فقال: أنا عمري ٢٣ سنة، فقلت: كانت الزيارة الأولى للبحرين في عام ١٣٧٠هـ أي: منذ ٢٧ سنة، ولم أرَ البحرين بعدها إلا هذه المرة.

كانت زيارة البحرين القديمة غير مقصودة لذاتها، وإنما جاءت بناء على اقتراح صديقي الشيخ الجليل محمد بن عبد الله بن عودة السعوي الذي هو الآن وكيل وزارة العدل، وكان في ذلك الحين رئيس محكمة الدمام بالنيابة، فكتب إليَّ وإلى صديقي الأستاذ الأديب علي بن عبد الله الحصين رحمه الله، يدعونا إلى زيارة الظهران الذي كانت رؤيته في ذلك الوقت تعادل رؤية أمريكا في الوقت الحاضر، بل كانت أغرب وأعجب، فعلى سبيل المثال نحن كنا في نجد لا نعرف بيوتاً إلا البيوت الطينية، ولم نكن نتصور أنه يوجد بيوت تبنى من غيرها، وكانت أبواب بيوتنا من خشب الأثل، وكانت أبواب الأفنية الخارجية تكون من جذوع النخيل، وهي معرضة لتأثير الجو وللشمس وجفاف الصيف ورطوبة الشتاء، فكانت أحياناً تتشقق، وأحياناً تتقلص، فكان بعض الناس يحاولون رتق ما تلف منها بتركيب رقعة من خشب آخر، وفي بعض الأحيان تكون الأبواب

الخارجية على بيوت الفقراء ذوات فجوات بينها وبين جدار الطين، أو عتبة المدخل، أو سقفه مما يجعلها معرضة لأن تدخل الهررة منها من فوقها ومن تحتها.

وعندما وصلنا الظهران في ذلك الوقت، ورأيت الأبواب في مساكن الأمريكيين من موظفي الشركة، وفي مكاتب الشركة نحوها، وهي أبواب متقنة الصنع، مطلية بطلاء الجدران، محكمة الإغلاق، بحيث لا تكاد تميزها أحياناً إذا كانت مغلقة عن بقية الحائط، وسألني أحد إخواننا عن أغرب شيء رأيته؟ فقلت: إنه شيء لا تتصورونه، إنه عدم موضوعية اللغة ودقتها، إذْ كيف يسمى بابنا في نجد باباً، ويسمى هذا الذي في مساكن الأمريكيين باباً، وبينهما من الفرق أعظم مما بين العرب والأمريكيين من المعرفة باستخراج النفط وتكريره في ذلك الوقت.

وقال لنا صديقنا الشيخ محمد بن عبد الله بن عودة السعوي جزاه الله خيراً: إن رحلتكما إلى هذه المنطقة لن تكون كاملة حتى تزورا البحرين، فهي منكم رمية حجر، وأستطيع أن أسهل أمر الرحلة، فرحلنا على قارب بخاري بأجرة قدرها لا يزيد على ريالين، ورأينا البحرين، وعندما دخلت سوق البحرين في هذا اليوم خيل إليّ أنه لم يتغير عما كان عليه منذ ٢٧ سنة.

ولا شك أن هذا من الوهم الذي مبعثه التغير الذي أصابنا في المملكة العربية السعودية، إذْ قفزت بنا الحياة - ولا شك - قفزاً من المنازل ذات الأبواب التي وصفتها، إلى منازل هي في حقيقتها أرقى من كثير من المنازل التي يسكنها الأوربيون والأمريكيون في بلادهم - ولله الحمد -، بل هي إذا قيست بمساحتها واتساع المرافق فيها أفضل من مساكنهم.

ولذلك يمكن القول إنه لو كانت البحرين سارت في سبيل التطور

منذ ٢٧ سنة نصف المسافة التي قطعتها المملكة لما أصبحت على ما هي عليه اليوم.

على أن السوق الذي رأيته هو السوق الشعبي، ولكنني أقارنه بما كان عليه السوق الشعبي في البحرين في ذلك الحين، فلا أجد الفرق كبيراً.

العودة إلى الوطن:

ما أجمل أن يشعر الإنسان بأنه يباشر العودة إلى وطنه، وبخاصة إذا كانت وسيلة العودة قطعة من الوطن، مثل الطائرة السعودية، فقد غادرنا مطار البحرين على طائرة الخطوط السعودية من طراز (بوينغ ٧٣٧)، ونظراً لقرب العهد بالطيران الأجنبي، فإن المرء يستطيع أن يقارن، وكانت المقارنة في صالح الطائرة السعودية، فتنجيد المقاعد فيها تنجيد فاخر، يتسم بالذوق، ويفيض بالجمال، والمقاعد واسعة تدل على سعة الحال، وسخاء النفس، والمضيفون والمضيفات يدل هندامهم على الذوق الرفيع، وتدل أجسامهم على اعتدال الخلق.

والملاحظة الوحيدة التي أسفت على وجودها في هذه الطائرة السعودية هي خلط الركاب من مدخنين وغير مدخنين في المقاعد، فقد كان أمامي أحد الركاب من مدمني التدخين، أو ربما كان يفعل ذلك في الطائرة، لا أدري ولكن ضايقني أنه أخذ ينفث سحائب من الدخان تنتشر فيما حوله، وتلوث جو الطائرة، وإذا فتر أو قصر انبعثت سحب أخرى من مدخن آخر في الصف نفسه الذي أنا فيه، وذكرت الطائرات الإسكندنافية التي يحرم فيها كلها شرب الدخان، كما تذكرت الطائرات العالمية الأخرى التي تجعل للمدخنين مساحة من الطائرة، ولغير المدخنين مساحة أخرى.

ولكن حتى هذه الملاحظة لم تجعل متعتي بسماع اللغة العربية الحبيبة ناقصة، فكان الصوت ينساب في أذني فيفعل فيها أكثر مما تفعله الموسيقى في الطائرات الأخرى.

ثم وصلنا الرياض بعد طيران استغرق من البحرين إلى الرياض خمساً وأربعين دقيقة.

وكانت نهاية رحلة حول العالم.

الفهرس